باب الكتب

مؤرخ العراق ابن الفوطي

بحث في أدوار التاريخ العراقي ، من مستهل العصر العباسيّ إلى أواخر العصر المغولي .
تأليف الأستاذ العلامة الجليل محمد رضا الشبيبي .

الجزء الثاني في ٣١٦ صفحة من الورق الأبيض من قياس ١٧ ـ ٢٤ سم وهو من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ ، وقد طبع في مطبعة المجمع .

وكان مؤلفه الأستاذ الجليل قد أخرج الجزء الأول سنة (١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م) مطبوعاً بمطبعة النفيض الأهلية ، ثم تهيأ له طبع الجزء الثاني في هذه السنة ، وقد احتوى على فوائد كثيرة ومادة غزيرة ، من التاريخ والأدب فضلاً عن عدة فهارس سهلت فوائده وقيدت شوارده وأوابده ، وهي في الأعلام والقبائل والفرق والجماعات والبلدان والأمكنة والبقاع والكتب والمراجع والمستدركات ، وفي صدرهن فهرس محتويات الكتاب الشامل لجميع الأبواب ، ومنها الكلام على الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب[1] ، وخصائص النسخة ، وتدقيق المؤلف ابن الفوطي وتحقيقه ، وأسلوب تحريه للألقاب والتشويش الطارئ على نسخة الجزء الرابع والجزء الخامس ، وأسلوب مؤلفه في كتابة التاريخ ، وبيان الأقدار المشتركة بين ابن الفوطي وابن خلدون ، والتصوُّف عند هذا المؤرخ المؤلف ، ووراقته وأسلوبه الخاص ، ومهنة التعليم

---

(١) هذه تسمية مختصرة دالة ، واسمه الكامل « تلخيص مجمع الآداب المرتب على معجم الأسماء في معجم الألقاب » كما جاء في آخر الجزء الرابع بخط المؤلف كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي المعروف عند المؤرخين بابن الفوطي .

والنسخ عنده ، والعلم بالمخطوطات والخطوط ، والعناية بتسجيل التاريخ الخاص بالأدب والثقافة ، ويلي ذلك الكلام على تشويش النسخة المشار اليه آنفاً والاعتذار عن وقوع الأستاذ الجليل في أوهام عند النقل والاقتباس منها ، قبل زمن غير قليل ، وذلك للدلالة على السلامة من الوهم ومن الغلط في الاقتباس هذه المرة ، ثم الاشارة إلى مثال آخر من الفساد والتحريف ، والكلام على ابتذال الألقاب ، وطرائقها ، وعلى كتب المؤرخين التي استمدت من معجم ابن الفوطي هذا ، وقد استغرق هذا البحث « ٥١ » صفحة من الكتاب — أعني هذا الجزء — .

وتكلم المؤلف الفاضل في الصفحة ٥٦ وما يليها على كتاب الأخبار والحوادث التاريخية الضائع اسم مؤلفه ، الذي كان قد سمي ، « الحوادث الجامعة » استرجاحاً ، فأيدت أنا ذلك الاسترجاح ، وقمتُ على طبعه سنة ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م باسم « الحوادث الجامعة » . ثم تبين لي أنه ليس الحوادث الجامعة ولا يمكن أن يكونه أبداً ولو على ظن ضعيف ، وذلك لاختلاف الخطين وتباين الاسلوبين ، واختلاف مناحي الكتابين في ذكر التراجم ، وخفاء ذاتية مؤلف الحوادث ، وظهور ذاتيـــة ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب ، ولكون « الحوادث الجامعة » مؤلفاً في الوفيات كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب [1] وكشف الظنون لحاجي خليفة ، ولأن مؤرخاً من المؤرخين الذين عاصروه أو الذين جاؤوا بعده لم ينقل منه ولا ذكره في غير ترجمة المؤلف أي ابن الفوطي ، حتى شمس الدين الذهبي وقد كان أعلم المؤرخين بتآليف ابن الفوطي وأنقلهم منها ، وأوقفهم عليها . وفي ذلك برهان على ضآلة شأنه فلا يصح

(١) قال ابن رجب نقـــلا عن الذهبي : « وله — يعني ابن الفوطي — كتاب التاريخ على الحوادث وكتاب حوادث المائة السابعة والى أن مات ... وذكر غيره أنه جمع الوفيات من سنة ستمائة سماه الحوادث الجامعة والتجارب النافعـــة الواقعة في المائة السابعة ، وهذا هو الذي أشار اليه الذهبي » . (ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٧٥) . وقال حاجي خليفة في كشف الظنون : « تاريخ ابن الفوطي منعدد كالذيل على الجامع المختصر لشيخه ابن الساعي (والحوادث الجامعة في الوفيات) وتجمع الآداب » . « ١ : العمود ٢٧٦ طبعة وكالة المعارف التركية » . ويجوز كون حاجي خليفة ناقلا من ذيل طبقات الحنابلة المذكور لتأخر عصره عن عصر ابن رجب .

أن يقال : لم يؤلف كتاب الحوادث الجامعة ليكون معجماً ...

وأما الذي يرى من التقارب القليل أو الكثير بين ما في كتاب الحوادث وما في غيره من كتاب ابن الفوطي ، وكتب التاريخ الأخرى فسببه أن ابن الفوطي ومؤلفي تلك الكتب ينقلون جميعاً من تواريخ تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي إلى سنة ٦٧٤ هـ وهي سنة وفاة ابن الساعي [1] ، أو تواريخ من نقل من كتبه . ومن البديهيات عند علماء التاريخ أن المؤرخين القدماء قد ينقل بعضهم من كتب بعض ويأثرون المنقول أحياناً بالنص ، فلو كان التشابه دليلاً على اتحاد المؤلفين لوجب أن يكون مؤلفو التواريخ المتشابهة مؤلفاً واحداً ، مع ثبوت اختلافهم في الذاتيات والعصور ثبوتاً لا يتطرق الشك عليه . قال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في ذكر التواريخ الجامعة : « وتاريخ الاسلام لشيخنا شمس الدين الذهبي ، وهو كتاب علم نافع جداً ، قرأت عليه المغازي التي له وسيرة النبي — ص — وإلى آخر أيام الحسن — رضي — وحوادثه إلى آخر سنة سبعمائة ولم انتفع بشيء مثله (وعليه العمدة في هـــذا الكتاب ، وهو القطب لهذه الدائرة ، واللب لهذه الجملة السائرة) [2] » ، وقال شهاب الدين ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه الإنباء : « وغالب ما أورد فيه ما شاهدته وتلقفته ممن أرجع اليه ووجدته بخط من أثق به من مشايخي ورفقتي كالتاريخ الكبير للشيخ ناصر الدين ابن الفرات ... ولصارم الدين ابن دقاق وقد اجتمعت به كثيراً وغالب ما أنقله من خطه ومن خط ابن الفرات عنه ، والحافظ العلامة شهاب الدين أحمد بن علاء الدين بن حجي الدمشقي ... والفاضل البارع المفنن تقي الدين أحمد المقريزي والحافظ العالم شيخ الحرم تقي الدين محمد بن

---

(١) قال عماد الدين بن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية يذكر وفاة ابن الساعي سنة ٦٧٤ : « ابن الساعي المؤرخ ... سمع الحديث واعتنى بالتاريخ وجمع وصنف ولم يكن بالحافظ ولا بالضابط المتقن — يعني في الحديث — وله تاريخ كبير عندي أكثره ، ومصنفات أخر مفيدة ... » ، وقد حقا تاريخه من تاريخ ابن الساعي المذكور .

(٢) الوافي بالوفيات ٥ ١ : ٥٠ ، ١٥ .

أحمد بن علي الفاسي القاضي المالكي بمكة ، والحافظ المكثر صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد الأقفهسي وغيرهم . وطالعت عليه تاريخ القاضي بدرالدين محمود العيني[1] ... » . وقال عماد الدين ابن كثير في حوادث سنة ٧٣٧ من البداية والنهاية : « قلت : هذا آخر ما أرّخ شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذيل ، ذيّل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة ... وقد ذيلت على تاريخه — رح — الى زماننا هذا ، وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة أحسن الله خاتمتها » . وبذلك علمنا أنه قد ينقل من كتب لم يرها اعتماداً منه على علم الدين البرزالي .

وقد استخلص الأستاذ الشبيبي من كتاب الحوادث القديم ذكره ، فوائد جليلة ، في سيرة الشعب العراقي الاجتماعية ، وفي أمور سياسية قليلة ، وزيّنها بالأشباه والنظائر من تواريخ أخرى لجأت كبحث اجتماعي نفيس ، ووازن في أثناء ذلك بين كتاب الحوادث ، هذا المجهول المؤلف على تحقيقنا ، وبين[2] ما قدّر هو أن يكونه الحوادث الجامعة ، وخلص من ذلك الى التسوية بينهما ، فاستوعب ذلك أكثر هذا الجزء ، وشبك آخر البحث بالكلام على التنجيم والأحكام لمناسبة بينهما ، ثم تكلم على خزانة كتب الرضي ابن طاوس ، وخزانة علي بن المنجم ، وعلى بني المنجم الرواة الأدباء الثقات[3] ، وانجرّ به البحث إلى موازنات أدبية ، وتكلم من التراجم تروق قراءتها ، لظرافة كاتبها ولطرافة محتوياتها ، وبها ختم الكتاب المستطاب ، الذي هو متعة ذوي الألباب ، وحديقة أدب فيها كل غرض بهيج .

وقد رأيت فيه ما تركُ التنبيه عليه يعدُّ إخلالاً بالواجب العلمي في النقد ، فأقول مطلقاً

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ، نسخة المكتبة الأهلية بباريس ١٦٠١ الورقة ٢ ، ونسخة مكتبة الأوقاف ببغداد .

(٢) كررنا « بين » بعد الأحرف الظاهرين مخافة الالتباس مع ضعف التكرار في مثل هذا الوضع .

(٣) وردت كلمة « الثقات » في الصفحة ٦٥ بصورة « الثقاة » ولم تسكن من غلط الطبع فقد كررت في الصفحة ٢١٢ ، وغيرها وهي غلط في الرسم والصواب « الثقات » لأنها جمع « الثقة » كالهبة والهبات .

بحسب ترتيب الصفحات :

(١) — ذكر الاستاذ الجليل في الصفحة الثامنة من الكتاب أنّ أول نسخة الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب ، هو ترجمة « عزالدين الحسن بن يوسف البغدادي الفقيه » . وكان قد نشر ثلاث صفحات مصورة من أصل هذا الجزء ، وذلك في الجزء الأول من كتابه هذا « مؤرخ العراق ابن الفوطي » وعلق على الصفحة الأولى والثانية منهن ما هذا نصه « أول الجزء الرابع من معجم ابن الفوطي » . وفي أول الصفحة الأولى ترجمة « عز الدين الحسن بن يوسف » المذكور ، وليس ذلك بصواب ، فان أول المنشور عليه من هذا الجزء [1] هو ترجمة « عزالدين بن الحداد » وقد وقعت الترجمة في الورقة « ١٢٠ » من النسخة المصورة ، تليها ترجمة رجل مجهول الاسم دون اللقب ، تليها ترجمة « عز الدين أبي الفتح أحمد بن اسماعيل الشيرازي » وتأتي بعدها ترجمة رجل مجهول الاسم ، يليه « عزالدين البطائحي » فرجل مجهول الاسم ، وتعقبه ترجمة « عزالدين أبي بكر أحمد بن أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن علي بن موسى القنائي الأصل الكاتب » فترجمة لرجل مجهول ، وتأتي بعدها ترجمة « عز الدين أبي العباس أحمد بن سلمان بن أبي بكر المستعمل المعروف بابن الاصفر الحريمي » [2] ، وهي آخر تراجم الصفحة المذكورة . ومن الواضح البين أن الاسم « أحمد بن اسماعيل » والاسم « أحمد بن سلمان » يأتيان في ترتيب حروف المعجم قبل « الحسن بن يوسف » الذي ذكره الأستاذ الجليل ، وبذلك تثبت صحة قولي ، ويؤيده أنّ الأستاذ محمد بن عبدالقدوس القاسمي أحد الأساتذة في جامعة بشاور

---

(١) الجزء الناقص الأول ، وكان واجباً التنبيه على ذلك .

(٢) راجع المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ١ : « ١٨٢ » ، ومما ضاع من هذا الجزء أي الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب وقدرناه « عزالدين ابراهيم بن الحسن والي القاهرة » و « عز الدين ابراهيم ابن عبد الله المقدسي الزاهد » و « عزالدين إبراهيم بن علي بن عبد السلام الموصلي » و « عز الدين إبراهيم ابن أبي علي الشيرازي » و « عزالدين إبراهيم بن محمد السويدي الطبيب » و « عزالدين ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم » و « عزالدين ابراهيم بن محمد بن دوناق الطبيب » و « عزالدين أحمد بن ابراهيم الفاروثي » و « عزالدين أحمد بن جعفر البصري » .

بالباكستان وهو ناشر الجزء الخامس من تلخيص معجم الألقاب ، وقد شرع في نشر السالم من الجزء الرابع وأخرج منه ثلاث ضميمات في « ٤٩٨ ترجمة » ننبّه الى أن الصفحة الأولى من المنشور عليه من الجزء الرابع هي الصفحة التي ذكرتها ، فقدمها في النشر على جميع الموجود من الجزء ، على أنه مع فضله وأدبه لم يعثر على اسم عز الدين أحمد بن الحسين القنائي ولا على اسم عز الدين أحمد بن سلمان ابن الأصفر المستعمل ، وأنا قد عثرت عليهما بوساطة ما بقي من تراجمها ، ولذلك ذكرت أسماءهما .

(٢) — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة المذكورة أعني الثامنة : « وهي هذا يتراوح عدد الأجزاء التي يتألف منها الكتاب — يعني تلخيص معجم الألقاب — بين الستة إلى الثمانية على أقل تقدير أكثرها مفقود » . ثم قال في الصفحة ٤٤ : « يتراوح عدد أجزاء هذا المعجم بين الستة والسبعة جلُّها ضائع مفقود » . فبأي القولين يأخذ القارىء ؟ أما أنا فأقدره بسبعة أجزاء .

(٣) — وقال في الصفحة التي تليها أي التاسعة : « وتوجد سورة أخرى لنسب ابن الفوطيّ على نسخة من تاريخ ابن الأثير نسخها ابن الفوطي بنفسه في بغداد سنة ٦٩١ تشتمل على حوادث سنة ٣٤٩—٣٦٢ وهي من أنفس مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس » وقال في الحاشية : « ووصف مؤلف فهرست المخطوطات العربية الموجودة في المكتبة الأهلية بباريس نسخة من الكامل لابن الأثير تبتدئ من سنة ٣٣٩ وتنتهي في سنة ٦٢٠ فقال ... » ، وهذا التعليق يشعر القارئ بأن هذه النسخة المذكورة في الحاشية هي غير النسخة المذكورة في المتن ، والصحيح أن المجلد واحد وأنه يبتدئ بحوادث سنة ٣٤٩ لا سنة ٣٣٩ كما جاء في الحاشية وأنه ينتهي بسنة ٦٢١ لا بسنة ٣٦١ كما جاء في المتن ولا بسنة ٦٢٠ كما جاء في الحاشية ، وما يثبتك مثل خبير رأى ذلك المجلد وقرأ فيه ونقل منه ، فأرقامه في دار الكتب الوطنية المذكورة هي « ١٤٩٩ » جاء في الصفحة الأولى منه « المجلد الثاني من الكتاب [الموسوم] بالكامل في

التاريخ ، بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . ذكر ظهور المستجير بالله ... » . وجاء في آخر المجلد في الورقة ٢٨٨ : ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة ، ذكر استيلاء غياث الدين على شيراز وصلحه مع صاحبها : في هذه السنة استولى غياث الدين بن خوارزمشاه على مدينة شيراز وبعض بلاد فارس وكان قد سار إليها ، أواخر سنة عشرين وستمائة . آخر الكتاب الموسوم بالكامل في التاريخ والحمد لله حق حمده وصلواته كتبه المحتاج [1] إلى رحمة الله وعفوه عبد الرزاق بن محمد (كذا) بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن عمر بن أبي العالي الشيباني المعروف بالفوطي — عفا الله عنه — [سنة [2]] إحدى وتسعين وستمئة بمحروسة مدينة السلام — حماها الله مع سائر بلاد الاسلام — وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

(٤) — وجاء في الصفحتين ١٠، ١١ قول المؤلف الفاضل : « وإذا ما قارنا بين ما وصل إلينا من المخطوطات التي ورّقها ابن الفوطي في مصنفاته وغيرها — ولدينا منها جزء من تاريخ الكامل لابن الأثير وكتاب الأحكام لأبي سعيد والجزءان الرابع والخامس من تلخيص مجمع الآداب ظهر لنا فرق واضح في خطه على عهد شبابه فانه خط غير بالغ الجودة كما نراه في كتاب الأحكام ، فان ابن الفوطي فرغ من نسخ هذا الكتاب سنة ٦٦٨ في محلة الخاتونية الخارجة من محال بغداد ، وقد عاش بعد ذلك أكثر من خمسين سنة [3] اكتسب فيها خطه جودة عظيمة كما نراه في نسخ الأصل الباقية من معجمه في التاريخ » .

قلت : الصحيح أنه فرغ من نسخها سنة (٦٨٠) وقد رأيتُ هذه النسخة عند كوني في طهران قبل سنوات قلائل وقد جاء في آخرها ما نصه « تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه »

---

(١) هذه الجملة قد انمحت من المخطوط ، وينبغي أن يكون تقديرها كذلك .

(٢) هذه الكلمة قد نصل حبرها .

(٣) لأنه توفي في سنة ٧٢٣ فعلى هذه القراءة المحتملة لتاريخ النسخة يكون قد عاش بعد نسخها « ٥٥ » سنة .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه ، ملّقه لخزانة كتب سيدنا ومولانا المخدوم الصاحب المعظم سدر الحق والدين نصير الاسلام والمسلمين أبي الحسن بن علي بن مولانا المعظم نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي — أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره . عبده وخادمه وغرس أياديه وأنعمه عبد الرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي بمنزله بالطاحونية الخارجية من شرقي مدينة السلام ، في يوم الخميس العاشر من شوال سنة ثمانين وستمئة هجرية ، والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه » .

وفي الهامش « نقل من نسخة سقيمة كثيرة التصحيف وصحح بقدر الامكان » ، « وبلغت مقابلة بنسخة سقيمة وبقي فيها أشياء ينبغي أن تُعاود » .

ومما قدمنا نعلم أن ابن الفوطي كتبها وعمره ثمان وثلاثون سنة ، وقد جرت السادة أن يستحكم خط الكاتب والناسخ والمتعلم قبل هذه السن ، ويستكمل الجودة إن كانت ممكنة له ، أما أن خط ابن الفوطي لم يبلغ الجودة في هذا الكتاب فلأن النسخة كانت سقيمة ، كما نقلنا آنفاً لا تترك ميلاً فنياً للكاتب ، وهذا أمر نفساني ، ولأن قطّة القلم تختلف عن غيرها في نسخ مثل هذا الكتاب النجومي فتكونُ دقيقة ، ولأن ابن الفوطي قد أسرع نسخَها ، وكان مشهوراً بسرعة النسخ في أمثال هذا الكتاب ، ومن حسن حظنا أن الأستاذ الجليل قد نشر في كتابه صورة تلك الصفحة الأخيرة ، بإزاء الصفحة ٢٠٨ من كتابه هذا وتاريخها سبعمئة (٦٨٠) كما ذكرتُ لا سنة ٦٦٨ كما قال الأستاذ في البحث ، على أنه قد جاء خط الخاتمة قوياً ذا جودة ظاهرة وحبر غليظ السواد لأنه كتبها متأنياً بقطة قلمية أخرى فليتأمل ذلك المتأملون ، وعندي صورة واضحة أعطانيها الدكتور حسين محفوظ .

(٥) — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ١٣ : « جاء في باب المعين لقب (عصفور الشوك) وهو محمد بن داود الأصفهاني المحدث صاحب كتاب الزهرة ، عَلّق [ابن الفوطي] على الترجمة بخطه هذه العبارة ، (ليس من شرط هذا الكتاب) ، هذا كل ما عَلّق به على

هذه الترجمة ولم يزد على ذلك ، ولا نعرف لماذا يخرج مصنف كتاب الزهرة عن شرط كتابه مع أنه من مشاهير الأدباء المصنفين في الشعر والأدب ، وهو مصنف كتاب الزهرة ؟ والراجح أن محمد بن داود الأصفهاني لم يكن معروفاً باللقب المذكور » .

قلت : ذكر ابن الفوطي قبل هـــذا الرجل « عصفور الجنة أبا محمد بن قيس الحضرمي المحدث » نقلاً من كتاب (كشف النقاب عن الأسماء والألقاب) للعلامة أبي الفرج بن الجوزي ، ولم يقل فيه إنه خارج عن شرط الكتاب ، فأنا أسترجح أن يكون سبب خروج « عصفور الشوك » عن شرط الكتاب إشعاره بحقارة الملقَّب أو حطٍ من قدره كما هو واضح من قولهم عصفور الشوك ، وإلا فإن ابن داود الظاهري كان معروفاً بعصفور الشوك ، قال الخطيب البغدادي في تاريخه « ٥ : ٢٥٦ » بسنده عن رويم بن محمد قال : « حكينا عند داود بن علي الاصبهاني إذ دخل عليه ابنه محمد وهو يبكي ، فضمّه إليه وقال : ما يُبكيك ؟ قال : الصبيان يلقبونني . قال : فعلى أيش حتى أنهاهم ؟ قال : يقولون لي شيئاً . قال : قل لي ما هو حتى أنهاهم من الذين ؟ قال يقولون لي : يا عصفور الشوك . قال: فضحك داود فقال له ابنه : أنت أشد علي من الصبيان ، مم تضحك ؟ فقال داود : لا إلـه إلا الله ، ما الألقاب إلا من السماء ، ما أنت يا بني إلا عصفور الشوك » .

وقال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات « ٣ : ٥٨ » : « كان يُلَقَّبُ بعصفور الشوك لنحافته وصغرة لونه » . وقال ابن حجر العسقلاني في « نزهة الألباب » في الألقاب « عصفور الشوك هو محمد بن دواد الظاهري [1] » . إذن كان معروفاً بعصفور الشوك .

(٦) — وجاء في الصفحة المذكورة « خرّج — يعني ابن الفوطيّ — على عنوان معين الدين علي بن محمد بن علوان بن مُهاجر الوزير بستجار ترجمة ضافية لا أثر لها في المتن والظاهر أنه عثر على الترجمة المذكورة بعد الفراغ من الكتاب » وقال في الحاشية . « جاء في الترجمة

(١) أصول التاريخ والأدب « من مجموعات المكتبة الخطية ج ٤٣ ص ٢١٤ » .

المستدرك أن معين الدين من أهل تكريت ثم من الموصل ، وزر بسنجار ، بنى بالموصل فى سكة بنى أنجب (كذا والصواب بنى نَجِيح) داراً للحديث وقف عليها الوقوف الحسنة ، انظر أيضاً ٥/٦٧٩ وفى هامش هذه الصفحة من الجزء الخامس ملاحظة من والد معين الدين المذكور وهو على الأرجح الملقب كمال الدين بن مهـــاجر المترجم فى حرف الكاف من هذا الجزء ٢٦٤ » .

قلت : جاء فى الجزء الخامس فى الرقم ٥٢٢ من ألقاب الكاف : « كمال الدين أبو الكرم محمد بن علي بن مُهاجر الموصلي الصدر الرئيس ، كان رئيساً جليل القدر ، نبيه الذكر ، كان مرشحاً للوزارة ، وله أخلاق حسنة وله وقوف على دار الحديث بالموصل قال تاج الدين [علي بن أنجب] ابن الساعي فى تاريخه : وفى شهر [1] رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة [1] وصل كمال الدين أبو الكرم رسولاً من الملك الأشرف وتلقاه موكب الديوان ، وكان المبيت ... » .

ولم يذكر ابن الفوطي إلا ما قاله ابن الساعي فى هذه المناسبة ، وعجز من ذكر تاريخ وفاة الرجل ، قال الصلاح الصفدي بعد ذكر ترجمته : « وكانت وفاته في سنة أربع وثلاثين وستمائة [2] » . وقال قبله سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٦٣٤ : « وفيها توفي الكمال بن مُهاجر ، كان كثير المال والصدقات ، مات بدمشق فى جمـــادى الأولى فجأة ودفن بقاسيون وأخذ الأشرف جميع ما وُجد له بدمشق [و] تبلغ قيمته ثلاثمائة ألف دينار ، أراني الأشرف من ذلك سبحة فيها مائة حبة مثل بيض الحمام ، والحمد لله [3] » .

فبهذا قد علمنا أن وفاته وقعت سنة ٦٣٤ فكيف نجعله أباً لمعين الدين علي بن محمد بن علوان ابن مُهاجر ، على الارجح ، ونحن لا نعرف تاريخه ؟ إن والد معين الدين أبي محمد بن علوان هو

---

(١) لم يذكر هذا الخبر مؤلف كتاب « الحوادث » الذي سميناه خطأ « الحوادث الجامعة » وأنت عالم بما يدل عليه ذلك ، من اختلاف المؤلفين أحدهما عن الآخر .

(٢) الوافي بالوفيات « ٤ : ٢٣ » .

(٣) مختصر مرآة الزمان « ٨ : ٢٠٣ طبعة حيدر أباد » .

شرف الدين أبو المظفر محمد بن علوان بن مُهاجر الفقيه الشافعي وذلك بدلالة الاسم قبل غيرها قال عز الدين بن الأثير في وفيات سنة ٦١٥ : « وفيها [1] في المحرم توفي شرف الدين محمد بن علوان بن مهاجر الفقيه الشافعي وكان مدرساً في عدة مدارس بالموصل وكان صالحاً كثير الخير والدين سليم القلب — رحمه الله — [2] » .

وترجمه ابن الدبيثي ، قال كما في المختصر : « محمد بن علوان بن مهاجر أبو المظفر الفقيه الشافعي الموصلي ، قدم بغداد في صباه فتفقه وأقام بالنظامية ومدرسها يومئذ يوسف بن بندار الدمشقي وحصل المذهب ودرس ، ثم بنى مدرسة ، وكتبتُ عنه بالموصل وقال لي : ولدت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وتوفي في المحرم سنة خمس عشرة وستمائة [3] » .

فالعكس إذن هو الجائز أي أن يكون أبو المكرم محمد بن علي بن مُهاجر ولداً لا والداً لمعين الدين أبي القاسم علي بن محمد ، على حسب ظاهر الاسم ، ولا يجوز القطع بالبداهة ، فربما كانا من أسرة واحدة ولأحدهما قرابة مع الآخر ، غير الأبوّة والبنوّة ، على أنه لا فائدة في التعرض لما لم يُوَفَّ حقه من التحقيق كمثل هذا الترجيح بلا مرجح .

(٧) — وذكر في الصفحة ٢٠ مقتل الأمير آقباش بن عبد الله الناصري بمكة سنة ٦١٧ وقال : « ومن الطريف أن سبط ابن الجوزي غمز الخليفة [الناصر لدين الله] ودار الخلافة على الاكتفاء — يعني الاجتزاء — بالحزن المجرد في هذه الحادثة التي قتل فيها أمير الركب العراقي

---

(١) لم يذكر ابن الأثير هذه الوفاة في النسخة التي بخط ابن الفوطي وهي النسخة الأولى القائمة مقام النسخة الأولى يومئذ .

(٢) الكامل ، ج ١٢ ص ١٣٦ طبعة محمد أفندي مصطفى بالقاهرة » .

( ) المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي لبغداد « ١ : ١٠٥ » وقد أحلت في الحاشية هناك على تاريخ الاسلام للذهبي وطبقات الشافعية الكبرى « ٥ : ٣٢ » لتاج الدين السبكي ففيهما ترجمته .

(٣) وقع قبل ذلك ما كان تجنبه واجباً ، فقد قتل العراقيون، وأسرهم يومئذ بجيرالدين ملشتكين، أمير الحاج الذي أرسله صلاح الدين الأيوبي وجماعة ممن كانوا معه ، وكان ذلك في سنة ٥٨٣ ، الكامل ١٢ : ٢١٢ ، فنزه الناصر عن تكرار مثل ذلك .

والحجاج العراقيون فقال : لم يخرج الموكب لقاء الحاج وأدخل الكوس والدلم في الليل ولم تنتطح فيه عنزان وقد كان أولى أن تنتاطح الكباش ، انظر مرآة الزمان ط حيدر أباد ٨ : ٦١٠ ، ٦١١ .

وليسمح لي الأستاذ الجليل بأن أقول إني لا أرى ذلك تعريضاً من سبط ابن الجوزي بل ضرباً من الفكاهة إن لم يكن غير ذلك ، أفيجوز أن يُرسل أمير المؤمنين يومئذ جيشاً لمحاربة الكبش وإخافة حرم الله الآمن ، وسفك الدم في ذلك الموضع المقدس ؟! أراد سبط ابن الجوزي أن تنتطح الكباش في جوار بيت الله الحرام ، على أن الأمر لم يكن كما قال سبط ابن الجوزي فانه كان مجازفاً في ذكر الحوادث والأخبار كما قال شمس الدين الذهبي ، قال ابن الأثير في سرد هذه الحادثة وارتكاب أمير مكة الحسن بن قتادة بن ادريس العلوي الحسني هذا الحدث : « وأحاط أصحاب حسن بالحاج لينهبوهم فأرسل إليهم حسن عمامته أماناً للحجاج ، فعاد أصحابه ولم ينهبوا منهم شيئاً ، وسكن الناس وأذن لهم حسن في دخول مكة وفعل ما يريدون من الحج والبيع وغير ذلك ، وأقاموا بمكة عشرة أيام وعادوا فوصلوا الى العراق سالمين ، وعظم الأمر على الخليفة ، فوصلت رسل حسن [الى بغداد] يعتذرون ويطلبون العفو فأجيب إلى ذلك [1] » .

هذا وقد ذكر ابن كثير الدمشقي في حوادث سنة ٦١٧ من البداية والنهاية أن قتل آقباش كان خطأ لا عمداً وغلطاً لا قصداً .

(٨) — وجاء في حاشية الصفحة ٢٣ : « وقال — يعني ابن الفوطي — في ترجمة أحمد أمراء البطائح : رأيت للبطائح تاريخاً حسناً صنفه القاضي الناري (٤ ـ ١١٩) وهي جملة معترضة تدل على ولعه بالتاريخ وشدة طلبه للكتب المصنفة » .

قلت : إن اسم مؤلف تاريخ البطائح قد تصحف على الأستاذ الجليل لا على ابن الفوطي فانه كان أعرف للكتب ، فهو « المدائني » لا « الناري » قال ابن الفوطي كما في نسختي التي

(١) الكامل في حوادث سنة ٦١٨ ج ١٢ ص ١٥٥ .

انتسخها لنفسي من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب : « قطب الدين أبو هلال بدر ابن المظفر بن حماد بن أبي الجبر الليثي البطائحي الأمير ، صاحب البطائح ، من بيت الامارة والرئاسة ، وكانت البطائح في أيامهم معمراً آمناً ، وهم من قبيلة جليلة ، لم تزل تلك مواطنهم إلى هذه الغاية ، ورأيت للبطائح تاريخاً حسناً قد صنفه القاضي المندائي[1] » .

وهذا المندائي هو أبو العباس أحمد بن مختيار الواسطي ، قال أبو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة ٥٥٢ من المنتظم « ١٠ : ١٧٧ » : « أحمد بن مختيار بن علي بن محمد أبو العباس المانداني الواسطي ، ولي القضاء بها مدة ، وكان فقيهاً فاضلاً ، له معرفة تامة بالأدب واللغة ويد باسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية ، سمع أبا القاسم بن بيان وأبا علي بن نبهان وغيرهما ، وكان يسمع معنا على شيخنا ابن ناصر وصنف كتاب الفضلة (وتاريخ البطائح) وغير ذلك وكان ثقةً صدوقاً ، توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة وصلي عليه في النظامية ودفن بمقبرة باب أبرز » ، وأخذ هذه الترجمة وزاد عليها ياقوت الحموي في معجم الأدباء « ١ : ٣٧٩ » واقتبس منها مؤلف البغية « ص ١٢٩ » .

وذكره تاج الاسلام أبو سعد بن السمعاني في تاريخ بغداد ، ولم يذكر وفاته قال : « أحمد ابن مختيار بن علي بن محمد المانداني أبو العباس ، من أهل واسط ، ولي القضاء بها مدة . فقيه فاضل له معرفة كاملة باللغة والأدب ويد باسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية ، سمع ببغداد ... كتبت عنه ببغداد وكان ثقة صدوقاً ، متفنناً وقرأت عليه المقامات التي أنشأها الامام أبو محمد القاسم بن علي الحريري وسألته عن مولده فقال : يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة

---

(١) التلخيص « ٤ : ٣٠٨ من نسختي » . قال ابن خلكان في ترجمة الحريري من الوفيات : « والمنداني : بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ومد الهمزة » ، وقد يمد ثانيه فيقال « المانداني » . وهو منسوب الى المندائيين أصحاب الديانة المندائية المعروفين أيضاً بالصابئة والمغتسلة ، وقد ألف السكاتب عبد الحميد عبادة — رح — كتاباً في ديانتهم سماه « كتاب مندايي أو الصابئة الأقدمين » نشره سنة ١٩٢٧ وهؤلاء المندائيون قد أسلموا وتشفعوا وبقي عليهم اسمهم القديم وكانوا يتهربون منه .

سنة ست وسبعين وأربعمائة [1] » .

وقال ابن الدبيثي في ترجمة أبي العلاء محمد بن الحسن بن الحسين الشيرازي : « ذكر القاضي أبو العباس أحمد بن بختيار بن المنداني الواسطي في تاريخه الذي جمعه وذكر أخبار البطيحة قال : وفي يوم الثلاثاء ثالث عشري ذي القعدة سنة خمسمائة توفي الوزير أبو العلاء بواسط [2] » ، ولأبي العباس المنداني ترجمة في غير هذه السكتب ، لا أود الاطالة بذكرها ، وهذا واضح كسابقه بحمد الله تعالى .

(٩) — وتكلم الأستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٢٨ على نهر معلى ودرب الآجر بالجعفرية وسوق السلطان وكرر اكثر النصوص في حاشية الصفحة القابلة لها ، والجواب من ذلك ذكرناه في كتاب « دليل خارطة بغداد ص ٣٠٠ » . وقد تصحف عليه في الصفحتين المذكورتين « باب بيبرز » إلى « باب مرو » . وباب أبرز أو باب بيبرز هو محلة الفضل والسيد عبدالله اليوم من شرقي بغداد ، ولم يكن ببغداد « باب مرو » يوماً من الأيام .

(١٠) — وقال في الصفحة (٣٠) : « المدرسة الخاتونية والمرجح أنه اسم ثان المدرسة النازانية » . وهذا ترجيح بلا مرجح ، فالمدرسة الخاتونية منسوبة إلى الخاتون السلجوقية زوجة الخليفة المستظهر بالله وكانت حنفية كسائر السلجوقيين والسلجوقيات ، قال أبو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة ٥٢٢ : « وفي جمادى الآخرة رتب [الحسن بن سلامة] الشبجي في مدرسة خاتون المستظهرية ، رتبه موفق الخادم [3] » ، وتسمى أحياناً المدرسة الموفقية أو مدرسة موفق [4] لأن موفقاً هذا كان يتولى أمرها إذ ذاك وكان مملوكاً للخاتون . فان كان عند

---

(١) تاريخ بغداد لفتح بن علي البنداري المقتبس من تاريخ الخطيب البغدادي وتاريخ ابن السمعاني وتاريخ ابن الدبيثي » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦١٥٢ الورقة ١٥ » .

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٣٣ » .

(٣) المنتظم « ١٠ : ٩ » .

(٤) المرجع المذكور « ص ١٣٢ » .

الاستاذ الجليل دليل على ما قال فلم نرده لنشكره شكراً جزيلاً .

(١١) — وقال في الصفحة « ص ٤٤٨ » عند ذكره أسماء المؤرخين الذين اقتبسوا من معجم الألقاب لابن الفوطي كما حسبه وظنه هو : « ابن أبي رافع . السلامي » ثم قال في الصفحة « ٤٥٠ » : « رابحاً ابن أبي رافع السـلامي » . وكذلك قال في الفهرست « ص ٣٢٣ » . والصواب « ابن رافع السـلامي » قال ابن حجر : « محمد بن رافع بن أبي محمد هجرس بن محمد ... تقي الدين أبو المعالي بن رافع [1] ... » .

وقال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٧٧٤ : « وتوفي الشيخ الحافظ تقي الدين محمد بن جمال الدين رافع بن هجرس بن محمد بن شافع بن السلامي المصري الشـافعي بدمشق عن ستين سنة ... وذيل على تاريخ البخاري [2] » .

(١٢) — وقال في الصفحة ٣٩ بعد أن ذكر تشويش أوراق الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب : « أوقعنا هذا العبث أو التلفيق كما أوقع غيرنا في أوهام لم نفطن إليها إلا بعد مضي زمن غير قليل ، ومن تلك الأوهام ما وقع في اللباب وهي رسالة لخصناها عن هذا المعجم وسيأتي وصفها عن قريب ومنها ما وقع في رسالة أخرى لنا عن ابن الفوطي ومنها ما وقع في كلمة نجدها في مقدمة الحوادث الجامعة أو الكتاب المغفل الذي أطلق عليه الاسم المذكور » .

ولم يذكر الاستاذ الجليل كيف اهتدى إلى معرفة الأوهام التي لم يفطن إليها إلا بعد زمن طويل [3] ، على أنّ هذا يعني أنه — حفظه الله — قد سلم من أمثال تلك الأوهام هذه المرة ، وحذرها كل الحذر ، وتنزه عن الوقوع في أشباهها ، وليس الأمر على ما ذكر ، فقد وقع في

(١) الدرر الكامنة « ٣ : ٣٩ » .

(٢) هـكذا جاء في طبعة دار الكتب المصرية « ١١ : ١٢٤ » وهو خطأ والصواب « تاريخ ابن النجـار » .

(٣) ذكرت في ترجمة عزالدين المهلبي في تـكملة إكمال الاكمال « ص ٣١٢ » أن ترجمته نسبت الى غيره في رسالة (مؤرخ العراق ابن الفوطي ، ص ٧) وقد طبع كتاب التـكملة سنة ١٩٥٧ .

مثل تلك الأوهام ، وأعطى «فخر الدين محمود بن الحسن بن عبد الوهاب القهستاني الكاتب» غير ترجمته «ص ١٤٦» وادّعى أن «عفيف الدين أبا عبد الله يوسف بن علي بن أحمد المعروف بابن البقال البغدادي سقطت ترجمته من نسخة الجزء الرابع المعثور عليها ، مع أنهما لم يسقط منها حرف واحد فضلاً عن سقوطها كلّها ؛ فأما فخر الدين محمود بن الحسن القهستاني فلا صلة له بالترجمة التي حمّله إياها على ظهره بعد مرور تلك العصور [1] ، وإنما هو «فخر الدين محمود ابن الحسن بن عبد الوهاب القهستاني الكاتب : من بيت الرئاسة والوزارة والكتابة المعروف ببني المحتشم ، ولهم نسب متصل بمالك بن الحارث الأشتر» . هذا ما قاله ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب ، وقد ذكر ابن الفوطي في الجزء الخامس من هؤلاء بني المحتشم «كافي الدين مظفر بن عبد الملك القهستاني الكاتب الحاسب وابنه كريم الدين أبا محمد عبد الصمد بن مظفر الحاسب» ولم يذكر لهما صلة بالعراق ولا قرابة بحاكم من حكام العراق كما فعل الأستاذ الجليل «آنفاً ص ١٤٦» ، على أن هذا لا يتخذ دليلاً على أن الترجمة التي نقلتها في الحاشية ليست ترجمة القهستاني المذكور ، فلي أدلة على نفيها عنه أنا مُدلٍّ بها وهي :

أ — أن من المعلوم أن كل صفحة على يمين القارىء في تلخيص معجم الألقاب تحتوي على أكثر من عشرة أسماء من الأعيان ذوي الألقاب ، ولا تتجاوز خمسة عشر اسماً إن كانت فيها زيادة ، وأنّ كل صفحة على يسار القارىء تحتوي على أكثر من عشر تراجم وفي حال الزيادة لا تبلغ بل لا تتجاوز خمس عشرة ترجمة . والصفحة التي فيهـــا «فخر الدين محمود بن الحسن

(١) قال في ترجمته : «قدم العراق كاتباً على أموالها ومتصرفاً عن أحوالها ، وعزل سديد الدولة بن الدباس سنة ٧٢١ ولما توجـــه المخدوم شمس الدين محمد بن المحسن الخاني لعمارة بلاد العراق فوض اليه أمر غربي بغداد ، وكان البلد قد خرب معظمه وكثر الميت والفساد به ، فقام واجتهد وعمر البلاد وفعل من أبواب السياسة ما لم يهتد اليه الخلفاء والملوك من البرمكية والسلجوقية ، وتقدم أن لا تعلق دكاكينهم وأمرهم أن لا يقربوها ، وبنوا في بيوتهم ولم ينقص منه شيء من ملاتهم ، وأخرج من الحوس وكثرت الأدعية له ولمخدومه» . وقال : «هذا ما أورده المؤلف في معجمه من سيرة الحاكم القهستاني — وهو — نعني ابن الفوطي — كما لا يخفى معاصر للحاكم المذكور» . والقهستاني بريء من هذه الترجمة .

القهستاني » المقدم ذكره فيها أيضاً اسم « جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري العلامة » ملقباً بلقب « فخر خوارزم » فينبغي أن تكون له ترجمة مقابلة له ، صغيرة كانت أو كبيرة ، وهو من أشهر العلماء المسلمين ، والأعيان العشرة الصيت ، ومعالم سيرته واضحة لكل معنيّ بالسير والتراجم الاسلامية ، والحقيقة أن الصفحة المقابلة لاتمه خلو من كل ذكر له فضلاً عن أن يكون له فيها ترجمة ، فأين ذهبت الترجمة ؟

والدليل الثاني أن في صفحة اسم « القهستاني » المذكور آنفاً اسماً لرجل هذه صورته « فخر الدين أبو علي محمود بن كمال الملك علي ابن أحمد السميري الصدر » ، وليس في الصفحة التي نقل منها الشيخ الجليل ترجمة لقهستاني ترجمةً لهذا الرجل ولا ذكر ، وإنما جاءت ترجمته في صفحة أخرى هي الصفحة التي نقلنا منها ترجمة القهستاني على وجه الصحة والتحقيق ، ونصّ ترجمته — أعني فخر الدين أبا علي محمود ابن كمال الملك — هو « من أولاد الصدور الأكابر بأصبهان ، وسيرم المنسوب اليها من نواحي أصبهان ، قرأت بخطه :

عاتبتني وجال ماء الحيا في ... وجنتيها فزاد[1] حراً ووقدا
ثم ألفت في ناره أسود الظا ... ل فكانت له سلاماً وبردا

قال العماد الاصفهاني : كان لكمال الملك وفاق ، عضده الدين محمد وفخرالدين محمود ، فالمعضد تزهّد ، وأما فخرالدين فتولى المناصب الفاخرة[2] » .

فهل يستطيع قائل أن يقول إن هذه الترجمة ليست ترجمة فخر الدين محمود ابن كمال الملك علي السميري ؟ لا يستطيع البتة ، فهي واضحة مبينة ثابتة مؤكدة بجميع ما يمكن من التواكيد .

والدليل الثالث أن الصفحة التي نقل منها الشيخ الجليل ترجمة « فخرالدين محمود القهستاني » فيها ترجمة « فخرالملوك رضوان ابن السلطان تتش بن ملكشاه السلجوقي » . وإذ كانت

(١) أعاد الفعل الى الخد المفرد .
(٢) التلخيص ، ٤ : ٢٧٣ من نسختي بخطي » .

ترجمة رضوان هي الرابعة بين التراجم ، فهي بين الدال والذال مماً من جهة والسين من جهة أخرى ، وهي بعيدة عن الميم الذي منه « محمود القهستاني » وقد أحصيت ما بينها وبين الميم فاذا هو « ٣٤٠ » ترجمة ، فكيف يسع أن يقفز ابن الفوطي « ٣٤٠ » ترجمة إلى قدام ليترجم محموداً القهستاني مع « رضوان » السلجوقي ؟!

والدليل الرابع هو أن آخر ترجمة من الصفحة التي نقل منها الأستاذ الجليل ترجمة « محمود القهستاني » المزعومة هي ترجمة « فخر الجيوش أبي المجاج سراهنك بن خواجة الديلمي » قال ابن الفوطي فيها : « ذكره أبو الحسين بن الصابي في تاريخه وقال : وفي سنة ست وعشرين وأربعمائة أنفذ فخر الجيوش أبو المجاج سراهنك بن خواجة الديلمي من الديلم والأتراك الذين بفارس إلى الديلم الذين بواسط ومدينة السلام ، وكان فخر الجيوش مجرباً عارفاً بأمور الحرب ... » . فسراهنك من ألقاب السين فكيف يسبقه « محمود » وهو من الميم ؟ فلا بد أن تكون ترجمة محمود مع غير أصحاب السين والراء وما قبلهما من الحروف .

والدليل الخامس اطراد تراجم الصفحة التي عثرت عليها فوجدتُ فيها ترجمة « فخر الدين محمود القهستاني » أعني اطرادها مع الأسماء المقابلة لها ، واختلاف تراجم الصفحة التي نقل منها الأستاذ الكريم ترجمة القهستاني المزعومة مع الأسماء المقابلة لها عند الاستاذ وفي نسخته ، فلا تلاؤم بينهما ولا وئام .

وقبل أن أنتقل إلى ضرب ثان من ضروب الوهم أقول إن الأستاذ الجليل لم يحسن حق الاحسان قراءة ترجمة القهستاني المزعومة التي هي لرجل مجهول ، فقد سقط منها قول ابن الفوطي في سياسة المترجم المجهول : « فسار فيها السيرة المرضية وساسها بالسياسة الكسروية » وسقطت « مَن » الموصولة في قوله « وأخرج من في الحبوس » فصارت الجملة « وأخرج من الحبوس » حتى اضطر هو أن يقول « كذا في الأصل » وأنا أقول : ليس هكذا الأصل ، وسقطت جملة « وصار الناس يدخلونها » يعني الحبوس أي يدخلونها للتفرج كما هو عادة الناس

في التفرج فيما كان ممنوعاً محرماً دخوله أو السير فيه ، وسقط منها قوله « أهل السوق » من الاصل الذي نصه « وتقدم أن لا يغلق أهل السوق دكاكينهم » فنقصت الجملة عنده ، هـــذا ما استثبتُّه في هذه الترجمة وحدها .

(١٣) — وقال الاستاذ الكريم في الصفحة ٥٤ : « وجاء في أخبار سنة ٦٦٦ من كتاب الحوادث الجامعة ما يأتي : « وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال : شيخ رباط المرزبانية . هذا ما جاء في الكتاب وبلى ذلك ترجمة لطيفة لهذا الشيخ ، والترجمة منقولة في كتاب حسن المحاضرة ولكن عن تاريخ ابن كثير[1] لاعن هذا الكتاب ، ويمكن أن يتخذ هذا الاقتباس شـــاهداً على اطلاع ابن كثير على كتاب الحوادث [الجامعة] وتعويله عليه بالاضافة إلى ما مرّ[1] ، ومثل ابن كثير السيوطي في النقل عن الكتب المذكورة . هذا وقد ترجم ابن الفوطيّ للشيخ المذكور في معجمه — يعني معجم الألقاب — بعنوان : عفيف الدين أبو عبد الله يوسف بن علي بن أحمد يعرف بابن البقال البغدادي المقريّ ولكن الترجمة سقطت من النسخة ولم يبق منها إلا العنوان المذكور » .

قلت : إن الترجمة لم تسقط من النسخة ، في الحقيقة بل بقيت بكمالها سالمة ظاهرة وهي في مقابل الورقة « ٥٤ » من الجزء الرابع ، أعني الموجود من الجزء الرابع من تلخيص معجم الالقاب المذكور آنفاً غير مرة ، قال ابن الفوطي في الورقة ٥٤ من الموجود من الجزء الرابع من

---

(١) نقلنا سابقاً ان ابن كثير اعترف في تاريخه بأنه نقل جملة من الأخبار والوفيات من تاريخ المؤرخ المشهور علم الدين البرزالي ، ثم إن ابن كثير صرح بالنقل من كتب ابن الساعي في وفاة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ ووفاة جعبل ابن زلبنا سنة ٦٢٦ ووفاة ابن عنين الدمشقي الشاعر سنة (٦٣٠) وترجمة ياقوت بن عبد الله الرومي البدري سنة ٦٢٨ وغيرهن ولم يذكر نقلا من كتب ابن الفوطي ولو مرة واحدة .

ذلك الكتاب وفي مقابلتها : « عفيف الدين أبو عبد الله يوسف [1] بن علي بن أحمد يعرف بابن البقال ، البغدادي القريّ ، كان من محاسن الصوفية وأعيانهم ، سمع وكتب ، وجمع وألف ، وكان على قاعدة السلف الصالح ، من محاسبة للنفس ، وحفظ الأوقات . كان قد سافر إلى الديار المصرية ، ورجع بعد الوقعة — يعني وقعة هولاكو ببغداد — ورتب شيخاً برباط المرزبانية على شاطئ نهر عيسى ، وكان شيخنا العدل رشيد الدين محمد بن أبي القاسم كثير الاجتماع به ، حسن الثناء عليه ، وقال : أنشدني شيخنا عفيف الدين :

تأبى قلوبٌ قلوبَ قوم ... وما لها عندها ذنوبُ
وتسطفي أنفسٌ نفوساً ... وما لهـا عندها نصيبُ
ما ذاك إلا لمضمراتٍ ... أحكمها من له الغيوبُ

وكانت وفاته في المحرم سنة ست وستين وستمائة . ولما أخذت بغداد كان بمصر [قال] :

(١) للمقابلة بين أسلوب ابن الفوطي الواضح الدانية في هذه الترجمة وأسلوب مؤلف كتاب « الحوادث » ننقل ما قاله مؤلف الحوادث ، قال في وفيات سنة ٦٦٦ — ص ٣٦٠ — « وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال ، شيخ رباط المرزبانية . كان شيخاً صالحاً ، ورعاً زاهداً . حكى عن نفسه قال : كنت بمصر واتصل بي ما جرى ببغداد في الواقعة من القتل والنهب والفتك والأسر فأنكرته بقلبي وقلت بقلبي : كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ؟! فرأيت تلك الليلة في المنام رجلا في يده كتاب فأخذته منه فاذا فيه :

دع الاعتراض فما الأمر لك ... ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلك

فاستغفرت الله تعالى وأمسكت » .

فلينظر أهل التمييز هل يشبه اقتباس مؤلف كتاب الحوادث لترجمة اقتباس ابن الفوطي لها ، وهل من تشابه بين أخبارهما سوى البيتين من الشعر ، ولو استطاع مؤلف الحوادث التغيير منهما لغير ولكن الشعر هو الشعر ، تجب المحافظة على نصه ما وجد الى ذلك سبيل .

هذا وقد ترجم ابن البقال أيضاً في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ٢ : ٢٨٠ طبعة مطبعة السنة بالقاهرة » قال ابن رجب : « له تصانيف في السلوك منها كتاب سلوك الخواص » وذكر أن وفاته كانت سنة ٦٦٨ في رواية أو سنة ٦٦٦ في رواية أخرى .

فحمل لي الفكر في ذلك فأخذت كتاباً وفتحته وتفاءلت فرأيت فرأيت في أول الصفحة :

دع الاعتراض فما الأمر لك ... ولا الحكم في حركات الفلك

ولا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلك

فأمسكت عما خطر ببالي واستغفرت الله العظيم » .

هذا ما ورد في ترجمة عفيف الدين يوسف بن علي ابن البقال في موضعها من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب ، والأخبار فيها مطردة واضحة ، ممتنة السطور ، بينة اليفقَر .

(١٤) — وأشار الأستاذ الجليل في الصفحة ٣٥ إلى مثال آخر من الفساد والتحريف في تلك النسخة وقال في الحاشية : « راجع ترجمة رشيد الدين العابد في نسخة الأصل من الجزء الرابع من المعجم ، تراجع من ذلك ترجمة عضد الدين الايجي (٤ / مادة عضد الدين) » .

وقد أحال في الشطر الاول من طلبه — حفظه الله — على أمر متعـــذر ، فقد قال في الصفحة الثامنة — ونقلنا بعض قوله — : « تقع النسخة في مائتين وخمسين ورقة ... أولها ترجمة عز الدين حسن بن يوسف البغدادي الفقيه ، وآخرها ترجمة القيل وائل بن حجر الحضرمي » . فكيف تراجع ترجمة رشيد الدين فضل الله الوزير وهي من باب الراء وبينها وبين النسخة هذه ما بين الراء والعين من الحروف ؟! أجل ذكر ابن الفوطي رشيدالدين في هذا الجزء استطراداً غير مرة .

(١٥) — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٥٥ وهو يذكر الذين استمدوا في كتبهم من تواريخ ابن الفوطي — على حسبانه — « الثاني عشر هندوشاه بن سنجر القاضي [1] المتوفى

(١) هكذا ورد والصواب « الصاحبي » . وقد ترجمه ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٨٠ من نسختي بخطي » ، قال : « أبو الفضـــل هندو بن سنجر الصاحبي الحكيم النجم الأديب ، من العلماء الأفاضل ، ممن تربى في خدمة الصاحب السعيد (علاء الدين الجويني) وتأدب بآدابه واشتغل وحصل ، وكتب وحسب ، واهتم بمعرفة النجوم وعلم الإبانير وأنواع الحكمة وفنون الأدب ، وكان مع ذلك جميل الأخلاق ، ظاهر البشر ، كريم الصحبة . ورأيته بالمدرسة النظامية سنة تسع وستين وستمائة ولم أكتب عنه وله شعر جيد بالفارسية وسمعت أنه نظم بالعربية ولم يصلني » .

سنة ٧٢٤ في كتابه (تجارب السلف) وهو معاصر لابن الفوطي ، وقد الف كتابه المذكور بالفارسية ... وقد اعتمد هندوشاه على كتاب سماه معجم أهل الأدب ، ومن رأي بعض الباحثين أنه (معجم الألقاب) لابن الفوطي ... » .

وقد استعان الأستاذ الجليل هنا برأي هذا البعض من الباحثين لتأييد رأيه الذي أشرتُ اليه . وهذا البعض هو الأستاذ عباس إقبال الأشتياني الايراني المؤرخ الناشر المتوفى قبل مدة سنين ، فهو الذي نشـــر كتاب « تجارب السلف » في تاريخ الخلفاء والوزراء ، بدأه مؤلفه بالسيرة النبوية الشريفة وأنهاه بخلافة المستعصم بالله وسقوط الدولة العباسية ، وهو من أجلّ التواريخ كما ظهر لي من خلال ما ترجمه لي صديقي المرحوم الأستاذ المؤرخ محمد عبد الوهاب القزويني أيام كينونتي في باريس ، غير أن الاستاذ عباس إقبال لم يصب في رأيه الذي اعتمد به الأستاذ الشبيبي ، فان « معجم أهل الأدب » هو معجم الأدباء لياقوت الحموي وهو أيضاً إرشاد الاريب الى معرفة الأديب ، وسماه الصلاح الصفدي « تحفة الألباء في أخبار الأدباء »[1] وسماه هندوشاه « معجم أهل الأدب » كما مرّ ، والبرهان القوي على أن مراده معجم الأدباء وأنه لايمكن أن يكون غيره ، هو أنه — أعني هندوشاه — ذكر معجم أهل الأدب في معرض ذكره المشهورين الأعيان من ذرية الخليفة الراشد الأول أبي بكر [2] وأفاد أن الفخر البكري الرازي قد ذكره مؤلف معجم أهل الأدب — يعني ياقوتاً الحموي — . وقد ذكره حقاً في معجمه المذكور قال ابن الفوطي ناقلاً من المعجم :

« فخر الدين أبو عبد الله محمد ابن خطيب الري عمر بن الحسين المكي الأصل البكري

---

(١) الوافي بالوفيات « ١ : ٥٥ » .

(٢) ذكر منهم شهاب الدين عمر السهروردي ، والملك إمام الدين القزويني ، وابنه افتخار الدين القزويني ، ورضي الدين البابا ، وفخر الدين محمد بن عمر الرازي « تجارب السلف ص١٦ » . وكان منهم بنو الجوزي العلماء الأعيان ، وعز الدين أبو عبد الله الحسين بن احمد بن علي البكري الشهيدي المعروف بابن القيم المجاور لمشهد الامام علي بن أبي طالب ، ترجمه ابن الفوطي في باب « عز الدين » من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب .

الرازي الطبرستاني ، نزيل هراة ، الفقيه الاصولي الحكيم الواعظ المفسّر ، ذكره الفاضل ياقوت في معجم الأدباء وقال : سألت والده ضياء الدين علي (كذا) فقلت له : على مَن قرأ والدك العلوم ؟ فقال : ليس له شيخ مشهور إلا أنه رحل الى أذربيجان وكان بها رجل يقال له مجد الدين الجيلي ، فقرأ عليه ثم فتح الله عليه فتحاً كبيراً وأخذ من الكتب ورحل الى خوارزم ثم إلى ما وراء النهر ورجع الى خراسان ومنها إلى باميان وحصل له الجاه والمال بمجاورة ابن سام فلما انتزع منه بلاده خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش ثم (كذا) فوض اليه صدارة هراة واستوطنها وله تصانيف كثيرة في الحكمة والأصول ... وشعر حسن وكانت وفاته بهراة يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة »[1] .

وليس لهذه الترجمة وجود فيما طبع من معجم الأدباء لأنهما من تراجم الجزء السابع من الأصل ، والمطبوع من هذا الجزء اختيار واختصار[2] ، حذفت من أصله ترجمة فخر الدين محمد ابن عمر الرازي المذكور الثابتة في الأصل ، بشهادة ابن الفوطي ونقله وتصريحه ، وحُذف منها أيضاً عدة تراجم منهما ترجمة محمد بن الحسن بن حمدون ، ومحمد بن داود الاصفهاني ، ومحمد بن خاصَة ، ومحمد بن سعد الرازي ، ومحمد بن سهل المرزبان ، ومحمد بن العباس الخوارزمي ، ومحمد ابن عبد الغفار الخزاعي ، ومحمد بن عبد الله الوراق ، ومحمد بن عبد الله بن حمدان الدلفي ، ومحمد ابن عبدوس الجهشياري ، ومحمد بن عبيد الله السبّحي ، ومحمد بن علي بن خلف الهمذاني ، ومحمد بن علي بن مقلة ، ومحمد بن الفرج بن الوليد ، والمهلب بن الحسن بن بركات ، وموسى بن سلمة ، ونصر بن عبد الرحمن الاسكندري ، ويحيى بن أبي طي حميد بن ظافر الحلبي ، والوزير يحيى ابن محمد ابن هبيرة .

١٦ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٩٣ « وقد انفرد مؤلف الحوادث الجامعـــة

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٦٧ من نسختي بخطي » .

(٢) تراجم مقالتي « الضائع من معجم الأدباء » في هذه المجلة « مج ٦ ص ١٠٤ » .

بوصف واقعة بغداد وانحلال الدولة العباسية وما جرى في العراق بعد استيلاء المغول وصفاً شاملاً لا يجارى فيه ... حتى إنه عني بترجمة من قتل في هذه الواقعة من أعيان البغداديين وعلمائهم وحكامهم ... كما عني في معجمه من كان يتولى إخراج أولئك العلماء والأعيان الى ظاهر بغداد ليقتلوا في مخيم هولاكو ، ولا بدع فقد كان المؤلف من شهود العيان في تلك الواقعة » . وأحال في الحاشية على « اللباب أو مختارات من تلخيص مجمع الآداب للمؤلف ، (٥٥ ، ٥٦) » وقال: « وقد تولى فخرالدين عبد الله بن عبد الجليل القاضي المحدث وعزالدين الزنجاني إخراج الفقهاء البغادوة ليقتلوا في مخيم هولاكو وتجد في أخبار سنة ٦٥٦ من كتاب الحوادث الجامعة أسماء من قتل أو أسر (كذا) في الواقعة من العباسيين نساء (كذا) ورجالاً (كذا) وأسماء من قتل من الأمراء وقادة الجيش والأعيان » . يعني « من العباسيين ونسائهم » والحالة لا تجوز والتمييز ممتنع لتميز الأصل .

وقد عزا الأستاذ الجليل ، ناقلاً آثراً ، الى عزالدين أحمد بن محمود الزنجاني الشافعي القاضي فعلاً منكراً من أكبر الكبائر وأفظع الفظائع ، مع أن المتهم به هو والده شهاب الدين محمود الزنجاني القاضي ، قال ابن الفوطي في ترجمة الفخر الطهراني القاضي : « فخرالدين[1] أبو بكر عبد الله بن عبد الجليل بن عبد الرحمن الطهراني الرازي القاضي المدرس المحتسب . قدم بغداد وتولى بها القضاء والتدريس والحسبة . استنابه القاضي أقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي ، وكان شديد الوطأة ، على أهل العناد والفساد ، وتولى تدريس المدرسة البشيرية ، وكان عالماً بالفقه وأيام الناس وهو ممن كان يخرج الفقهاء إلى باب السور الى مخيم السلطان هولاكو مع شهاب الدين الزنجاني ليقتلوا ، وتوفي في رجب سنة سبع وستين وستمائة ودفن بالجيزرانية » .

---

(١) قال مؤلف كتاب الحوادث المجهول الاسم في حوادث سنة ٦٦٧ — ص ٢٦٨ — : « وفيها توفي القاضي فخرالدين عبدالله بن عبد الجليل الطهراني الرازي الحنفي ، استنابه أقضى القضاة نظام الدين البندنيجي في القضاء وفوض اليه أمر الحسبة ببغداد . فابتلي بالمرض في وجهه حتى تآكل أنفه ولقي مشاق عظيمة حتى توفي » . وهذه فرصة أخرى للمقابلة بين أسلوبي المؤلفين ومناحي الكتابين . انهما مختلفان .

ثم إن مؤلف الحوادث لم ينفرد بوصف واقعة بغداد ولا كانت عنايته بترجمة من قتل في هذه الوقعة ، من أعيان البغداديين وعلمائهم وحكامهم ، أكثر من عناية غيره ، ولا كان قد بلغ من العمر ما يستطيع به أن يتثبت في ذكر الحوادث أو يراها رؤية فاحص مميز ، لأن عمره كان إذ ذاك « ١٤ » سنة ولا كانت حاله وهو أسير تسمح بذلك .

أما تفصيل واقعة بغداد فقد جاء في « البداية والنهاية » لابن كثير الدمشقي في حوادث سنة ٦٥٦ لأنه كما قلنا في إحدى الحواشي السابقة كان عنده تاريخ ابن الساعي [1] الكبير وهو العمدة في هذا الأمر ، قال ابن كثير : « وكان الغلمان من الناس يجتمعون في الخانات ويغلقون عليهم الأبواب ، فيفتحها التتار إما كسراً وإما حريقاً ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى الأسطحة فيقتلونهم حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وكذلك كانوا يفعلون بهم في المساجد والجوامع والربط » . فهل ذكر مؤلف الحوادث مثل هذا الخبر الفظيع ؟ قال : « وكان التتار يفسقون بأهل الرجل وبنائه في حضرته وهو ينظر ولا يقدر يتكلم » . فهل ذكر مؤلف الحوادث شيئا لهذا النبأ الشنيع ؟!

وقد فصّل مقتل الأعيان والعلماء والحكام والخليفة والأمراء أبو الحسن الخزرجي نقلاً من تاريخ ابن الساعي القدم ذكره ، على الراجح ، تفصيلاً لم يأت مؤلف الحوادث بمثله قال : « فكان ممن قتل صبراً من بيت الخلافة الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين أبو أحمد عبد الله ابن الامام الصعيد المستنصر بالله ... وكذلك ولداه السيدان : أبو العباس أحمد — وكان مولده في إحدى وثلاثين [وستمائة] — وأبو الفضائل عبدالرحمن — وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين [وستمائة]

---

(١) كان تاج الدين الساعي ممن سلم من القتل أيام استيلاء هولاكو على بغداد كما مرت الاشارة اليه . ولم أقف على كيفية سلامته والظاهر أنه التجأ الى دار من الدور التي حماها المغول أنفسهم كدار فخر الدين أحمد ابن الدامغاني ودار مؤيد الدين محمد بن العلقمي ودار تاج الدين علي بن الدواجي .

وكان من أجل من رأته العيون [1] خلقاً وخُلقاً . ثم أعمام المستنصر [2] بالله وهم السادة الأمراء أبو هاشم يوسف وأبو الفتوح حبيب وأبو القاسم علي (كذا وكان قد ذكر وفاته في سنة ٦٥٣) وأبو منصور الحسن وأبو الفتح سليمان أولاد الامام الظاهر [بأمر الله] وإخوة المستنصر ، وكان الأمير أبو هاشم يوسف أجلهم صورة [3] ، وأحسنهم سيرة وسريرة ، وأكملهم ديناً وعقلاً وأحسنهم أدباً وفضلاً ، وكان غزير العلم وافر الفضل عفيفاً صيتاً ، وقوراً مهيباً ، مرشحاً للخلافة له أشعار رائقة ، وكان مولده في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة [4] . ثم الأمير ان المؤيد أبو عبد الله الحسين والموفق أبو علي يحيى ولدا الأمير السعيد أبي الحسن علي ابن الامام للناصر لدين الله وهما من أعمام المستعصم بالله (كذا) ، فهؤلاء الأعيان من أعمام الخليفة وأولاد عمه ، وكان كل واحد منهم مرشحاً للخلافة وصالحاً لها ، والله أعلم . وممن قتل صبراً من أعيان الأمراء وأكابر الزعماء مجاهداً لدين الله أبو اليامن أيبك الدويدار الصغير ... »

« ثم أمير الحاج فلك الدين محمد ابن الأمير الطبرس الظاهري [1] ، وكان شاباً (جميلاً [1]) سرياً نجيباً ، تقدم بعد وفاة والده ، وألحق بأكابر الزعماء أرباب المشاد والمهائم والسكرسات والأعلام ، وتقلد إمارة الحاج فحج بالناس ثلاث سنين ، فحمدت سيرته وشكرت طريقته وكان عمره يوم قتل نيفاً وعشرين سنة [5] » .

---

(١) قابل هذا القول وما يشبهه بما ذكره الأستاذ الفاضل في كتابه « ص ١٢ » من إضفائه على ابن الفوطي العناية الفائقة بالجمال البشري مع أنه من أساليب المؤرخين الأولى منذ القديم .

(٢) المراد : أعمام المستعصم بالله فألحظ التاسخ .

(٣) لم يذكر مؤلف الحوادث كلمة من هذا الخبر وهذه السيرة .

(٤) قال مؤلف الحوادث في قتل سنة ٦٥٦ — ص ٣٢٨ — : « وأمير الحاج فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرس الدويدار الكبير » ، فقابل بين مناحي المؤرخين لتعرف اختصار كتاب الحوادث للحوادث والأخبار .

(٥) وله في معجم الألقاب « ٤ : ٢٩٣ من نسختي بخطي » . ترجمة حسنة ولم يذكر أنه قتل صبراً كما قال مؤلف الحوادث بل قتل حرباً على ما ذكره .

« ثم الأمير شهاب الدين سليمان بن محمود بن برجم ملك الإيوا [1] [تيسة] وكان شيخاً مهيباً عاقلاً حازماً ذكياً ، ذا فطنة وتجربة فى الحروب ، وكان حسن التدبير ، له نظر فى العلوم وعناية بالتواريخ والسير والنجوم ، وله قريحة فى نظم الشعر بالفارسي ، وكان شريباً للخمر وموسوساً فى الطهارة ثم إنه قطع شرب الخمر وتاب ، وأقلع وأناب . قتل وقد جاوز الثمانين سنة [2] » .

« ثم الأمير فلك الدين محمد بن الأمير قيران الظاهري ، وكان عاقلاً خيراً ووصل به من الديوان العزيز الى ملك الروم [السلجوقي] وكان قتله فى هذه السنة المذكورة وقد جاوز ستين سنة [3] » .

« ثم الأمير قطب الدين سنجر البكلكي ، كان أولاً للأمير بكلك الناصري وقد قدمه للامام الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر ثم انتقل الى ملك الامام المستنصر بالله ، وولي شحنة بغداد مدة ، ثم ولي إمارة الحج ثم أعمال الجبل ، وحمدت سيرته . قتل وهو فى عدّان الكهولة [4] » .

---

(١) أي التركمان الايوانية أو الايوانية على لغة أخرى .

(٢) قال مؤلف الحوادث : « شهاب الدين سليمان بن برجم » ولم يزد على ذلك فلست بين متأخي السكتابين ومقادير السيرتين لتأكد لك البون الشاسع بينهما .

(٣) قال مؤلف الحوادث : « وفلك الدين محمد بن قيران الظاهري » فتأمل الفرق بين التاريخين . وقال ابن الفوطي في معجم الألقاب : « فلك الدين محمد بن شمس الدين قيران بن عبد الله الظاهري المستعصمي الأمير ، قال شيخنا تاج الدين في تاريخه : لما توفي والده شمس الدين قيران استدعي أولاده الى دار الوزارة ليشرفوا وتم فلك الدين محمد وعلاء الدين أبو بكر وسيف الدين علي وذلك فى غرة جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين (وستمائة) وفي ثانيه استدعي فلك الدين خلع عليه وخوطب بالامارة ورقم بين يديه عاشية وكان عاقلا ساكتاً ورسل به الى ملك الروم مع السيد شرف الدين محمد بن الصدر العلوي الراغي في سنة تسع وأربعين ورجعا في شهر ربيع الآخر » . ولم يستعلم ابن الفوطي ذكر سنة وفاته كما رأيت .

(٤) قال ابن الفوطي : « قطب الدين أبو المظفر سنجر بن عبدالله ، يعرف بزريق ، البكلكي المستنصري التركي أمير الحاج ، ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : ينتسب الى الأمير جمال الدين بكلك فلما توفي أضيف الى مماليك البندرية . قال : « في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وستمائة ألحق بالزعماء وجعلت ==

« ثم الأمير عز الدين ألب قرا الظاهري ، وكان يومئذ شحنة ببغداد أي سنة ٦٥٦ » .

« ثم الأمير بلبان المستنصري ، صهر قيران الظاهري ، وكان شاباً موصوفاً بالفروسية والشجاعة ، قتل وله نحو من أربعين سنة » .

« فهؤلاء المشهورون ممن قتل صبراً من الزعماء ، والله أعلم » .

« وممن قتل صبراً من الأكابر والعلماء وذوي المناصب أستاذ الدار محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي ... ثم ولده جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن يوسف ابن الجوزي ... ثم أخوه شرف الدين أبو الفضل عبد الله بن يوسف ... ثم أخوه تاج الدين أبو المكرم عبد الكريم بن يوسف ، وكان شاباً ذكياً ، حصل طرفاً من علم النحو والفقه وقال الشعر ، ودرس بالمدرسة المنسوبة اليهم ، وولي الحسبة أيضاً . قتل أيضاً وعمره نيف وعشرون سنة » .

« ثم الشيخ شهاب الدين أبو المناقب [1] محمود بن أحمد بن محمود الزنجاني ، وكان قد قدم

معيشته ألف دينار وعدته خمسون فارساً ، ثم رتب شحنة بخزانة بالسلاح ثم رتب شحنة بالحلة ثم ناظراً بالكوفة وعقد عليه عنان البندنيجين وجعلت معيشته خمسة آلاف دينار ، وعين عليه في إمارة الحاج سنة خمس وستمائة واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة » .

(١) بهذا القول يسقط قول ابن الفوطي إنه كان مع فخر الدين الطوراني ممن يخرجون الفقهاء من بغداد الى عليم هولاكو ليقتلوا ، وجاء في كتاب الحوادث في ذكر من توفي بعد استيلاء هولاكو على بغداد — ص ٣٣٢ — قوله : « وتوفي شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني ، كان قاضي القضاة ببغداد ... » . وقال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى — ٥ : ١٠٤ — : « محمود بن أحمد محمود أبو المناقب الزنجاني ، استوطن بغداد . قال ابن النجار : وبرع في المذهب والخلاف والأصول ودرس بالنظامية وعزل ودرس بالمستنصرية وصنف تفسير القرآن وحدث عن الامام الناصر لدين الله بالاجازة ، قال شيخنا الذهبي : استشهد في كائنة بغداد سنة ست وخمسين وستمائة » وهذا يؤيد نفي التهمة عنه ، وقال رشيد الدين الوزير الهمذاني في جامع التواريخ : « بعث أهل بغداد شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنجاني وملك دراست يطلبون الأمان » . (ص ٣٠١) . وقال إبراهيم بن دقاق في وفيات سنة ٦٥٦ . « وفيها مات الشيخ الفقيه أبو المناقب محمود بن أحمد الشافعي شهيداً ببغداد في وقعة التتار ، كان أحد الفقهاء المدرسين والعلماء المعلمين وكان رئيس الشافعية ببغداد » . « نزهة الأنام في تاريخ الاسلام ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٠٩٧ الورقة ١١٦ » .

بغداد شاباً وسكن مدرسة ثقة الدولة [علي بن محمد الدُربي المعروف بابن الإبري] وأعاد الدرس بها لكمال الدين عبد الودود ثم استنابه القاضي شرف الدين أبو الفتوح عبد اللطيف بن البخاري ثم استقل بالقضاء ببغداد وفوضت اليه الأوقاف على المدارس والأربطة والمساجد ثم عزل ثم ولي القضاء في أيام المستنصر بالله ثم ولي التدريس بالنظامية ثم ولي تدريس الطائفة الشافعية بالمدرسة المستنصرية ، وكان فاضلاً شهماً ذكياً مقداماً جريئاً في المناظرة ، مقتدراً على قهر الخصوم ، وصنف الكثير في فنون العلم وجمع تفسيراً للقرآن الكريم ، ووصل به الملوك ، وكان فصيحاً قوي الجنان ، وضيء الوجه ، مليح الشيبة . قتل وقد بلغ الثمانين أو جاوزها والله أعلم » .

« والسيد شرف الدين بن الصدر العلوي ، وكان كبير القدر ، عظيم الشأن ، كثير الاحسان (جميل الهيا) ، ظاهر الحياء ، رحيب الصدر ، وسيع النفس ، كريم الأخلاق ، تظهر ... من تواضعه وتشاهد أنوار النبوة على وجهه ، وقد وصل به الملوك من جانب الديوان . قتل وقد جاوز ستين سنة [1] » .

« ثم نقيب العباسيين شمس الدين [1] أبو الحسن علي بن النسابة ، وكان شاباً (جميل الصورة) مليح الوجه ، كامل الخلقة ، وكان خطيب جامع القصر وناظراً في وقوف التُرب بالرصافة ثم قلد نقابة العباسيين . قتل وعمره نحو من ثلاثين سنة » .

« ثم شيخ الشيوخ صدر الدين أبو المظفر علي بن محمد بن النيار ، وكان عالماً فاضلاً ، سكن مدرسة الأصحاب بالجانب الغربي متفقهاً بها على أحسن طريقة ثم ندب إلى إسماع قوله وقبول شهادته فأجاب ، ورتب مشرفاً على خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ثم عين لتأديب المستعصم بالله وأخيه أبي القاسم عبد العزيز ... قتل وقد بلغ سبعين سنة أو قاربها » .

« ثم ابنه عبد الرحمن [1] ثم ابن أخته شرف الدين عبد الله بن علي بن سكينة ، وكان

---

(١) لم يذكره مؤلف الحوادث في « الشهداء » .

شيخاً صالحاً ديناً ناسكاً ذا وسواس في الطهارة ... قتل وعمره خمس وقيل سبع وسبعون سنة».

« ثم العدل عبد الوهاب [1] بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن سكينة شـــيخ رباط السكاتبة [شهدة] ، وكان شاباً طرياً ، قتل وعمره ... وعشرون سنة » .

« ثم القاضيان : البرهان القزويني الشافعي [1] وإبراهيم النهرفضلي الشافعي [1] » .

« ثم الصدر أبومنصر [1] الهمذاني مدرس في مدرسة بين الدربين وكان شيخاً خيراً ، فاضلاً متواضعاً ، قتل وقد بلغ من العمر ثمانين سنة » .

« ثم الشمس علي بن [1] يوسف الكاتب ، كان متوحداً في الكتابة . قتل وقد جاوز ستين سنة » .

« ثم النقيب الطاهر علي ابن النقيب الطاهر الحسن بن المختار ، وكان شـاباً طرياً ذكياً سرياً ، ينظم شعراً جيداً ، قتل وقد نيف على عشرين سنة » .

« ثم النقي [1] بن الموسوي نقيب مشهد موسى بن جعفر — ع — قتل وقد جاوز ثلاثين سنة » .

« ثم عمر [1] بن الجلال عبد الله بن المختار العلوي حاجب باب المراتب ، قتل وعمره نحو من عشرين سنة » .

« ثم شرف الدين أبو الفضل محمد بن طاوس العلوي » .

« ثم عبد الله [1] بن خنفر الأديب الكاتب ، وكان أديباً فاضلاً ، وكان شاعراً ونحوياً حاسباً وفروضياً كاتباً ، رتبه الوزير أحمد بن الناقد كاتباً عنه في ديوان الانشاء إلى آخر أيامه ، وكان غزير الفضل ، مليح النظم ، بديع النثر ، عزيز النفس ، قتل وقد جاوز الأربعين سنة » .

« ثم العدل أحمد [1] بن القزويني الهاشمي ، شيخ رباط الدرجة ، وكان شيخاً عاقلاً كيساً ، قتل وقد جاوز خمسين سنة » .

---

(١) لم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

« وممن قتل صبراً بعد استخدامه في الدولة الجنكزخانية الفلاوونية السراج علي بن البعلي ، وكان كاتباً حاسباً ، شاعراً ، فاضلاً ذكياً ، تقلبت به الأحوال في الخدم ... قتل وقد جاوز خمسين سنة ... » .

« وكذلك مظفر الدين محمد [1] بن الأمير جمال الدين قشتمر الناصري ، قتل أيضاً وعمره ثيف وعشرون سنة » .

« ثم الموفق عبد القاهر [2] بن محمد بن الفوطي ، وكان أديباً فاضلاً حافظاً للقرآن قائماً بعلم النحو والنجوم ، مقتدراً على الانشاء ، نظماً ونثراً كتب من رسالة تتضمن ... إلى بعض إخوانه

---

(١) لم يذكره مؤلف الحوادث وترجمه ابن الفوطي في معجمه قال : « مظفرالدين أبو الفضل محمد بن جمال الدين قشتمر بن عبد الله التركي الحلبي المولد ، الأمير ، ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب (ابن الساعي) في تاريخه وقال : كان مولده سنة عشرين وستمائة ، وبالغ والده في تربيته وتأديبه (وكان مليح الصورة) لطيف الأخلاق ... واستدعي إلى دار الوزير وأمر وجعل عدته مائة فارس ، ولما توفي والده الملك جمال الدين قشتمر في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين (وستمائة) استدعي الى دار الوزارة وتلد سيفاً محلى بالذهب ، وزيد في معيشته وأجناده بمعيشة مبلغها خمسة آلاف دينار ووفر عليه مماليك أبيه . واستشهد في الوقعة في الجانب الغربي في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة » .

(٢) لم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء بل ذكر له قصيدة يهجو بها شيخه المنصوري « الحوادث ص ٣٨ » أتوليه النقابة ، وترجمه ابن الفوطي في معجمه قال : « موفق الدين أبو محمد عبد القاهر بن محمد بن علي بن عبد العزيز يعرف بابن الفوطي البغدادي المكاتب ، كان من الأدباء الأعيان والفضلاء والبلغاء أرباب البيان الفصحاء ، حفظ القرآن الكريم على والده وقرأ الأدب على محب الدين أبي البقاء العكبري وكتب على تاج الدين البرفطي وسمع الحديث على شيخ الشيوخ ضياء الدين أبي أحمد بن سكينة ، وسافر الى الموصل وقرأ كتاب المثل السائر على مصنفه ضياء الدين بن الأثير ، وله رسائل مدونة وأشعار مستحسنة وهو الذي أشغلني في الأدب وربياني وكان خال والدي ، وحفظني المقامات الحريرية وأسمعني بقراءته جامع الترمذي وغيره ، وكان مولده في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . واستشهد في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة » .

في ثلاث كراريس تشتمل على نيف وسبعين مثلاً من أمثال العرب ، وكان ثقة إلا أنه لم يخدم قط في خدمة إلا عادى رفيقه ، وكان فقيراً ذا عيال ، قتل وقد بلغ ستين سنة » .

« ثم علي بن الزبيدي [1] ، نشأ بين الصوفية ، وتأدب بآدابهم وكان عاقلاً متديناً زهداً تام الامانة ، لم يتزوج قط ، ولا لسرى مع عفة ، وكان يعظم نفسه ولا يغشى أحداً من الولاة ولا من أبناء الدنيا ، لافي عزاء ولا في هناء . قتل وقد بلغ ستين سنة » .

« ثم التقي عبد الرحمن بن حمزة ابن الطيال وكيل الخليفة ، وكان آية في الذكاء والفطنة وكتبة الشروط ، وصار له في ذلك قوة وملكة ، وتفرد بديوان الوكالة ، وكان يواصل بالعطايا والهدايا والكسوات ، فأثرت حاله ، وكثر ماله ، قتل وقد جاوز أربعين سنة وقد اكتسب من المال أكثر من ثلاثمائة ألف دينار » [2] .

وذكر ابن الفوطي في معجمه للألقاب جماعة من شهداء الوقعة ، نقلنا سيرة جماعة منهم ولم نجد موضعاً لنقل سيرة آخرين كمز الدين أبي الفوارس ألب قرا بن عبدالله التركي الظاهري شحنة بغداد أي حاكمها العسكري .

ومنهم عفيف الدين أبو عبد الله محمد [3] بن أحمد بن جعفر التكريتي الفقيه المجلد المعروف بابن البديع [4] قال : كان من فقهاء المستنصرية من الطائفة الحنفية وسمع الشايخ وقرأ عليهم واستفاد منهم ، وكان أوحد في صناعة التجليد ولذلك السبب كان لايفارق دار الخلافة ... ورأيته كثيراً وكأنه كتب لي في الاجازة [5] ، وقتل في الوقعة سنة ست وخمسين [وستمائة] .

---

(١) لم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(٢) راجع في شأن جميع هؤلاء الشهداء « العسجد المسبوك لأبي الحسن علي الخزرجي » ، النسخة المصورة في المجمع العلمي ، الورقة ١٩١ — ١٩٤ » .

(٣) لم يذكره مؤلف كتاب الحوادث في الشهداء .

(٤) تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٦٦ من استخي بخطي » .

(٥) كان ابن الفوطي قلما يذكر ما قبل وقعة بغداد من الأمور التي مرت عليه والتي مر بها ، وسيأتي=

وعفيف الدين أبو المز[1] يوسف بن عبد الكريم بن الحسن البغدادي الفقيه المعروف بابن القصاب ، قال : « كان من فقهاء المدرسة المستنصرية في الطائفة الأحمدية ، سمع الحديث من الصاحب محي الدين يوسف بن الجوزي ، وكان يتأدب ، وله تصانيف وشعر ، أنشدني في غرض له :

جزى الله عني الخير كل مُبخِّل ... نجنبتُه في غُسدوةٍ ورواح
وفى منكبي ثقلاً من الذل مَنَّتُه ... وأخرجني من تحت رقّ سماح

وقتل في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة[1] » .

« وعماد الدين أبو نصر آيتغدي بن عبدالله الناصري التستري التركي الأمير » . قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : أهداه الأمير مظفر الدين وجه الصبح من خوزستان فكان يعرف بالتستري ، وكان عارفاً بفن الرماية . قال : وجعل أميراً سنة تسع وأربعين وستمائة ، وجعلت عدته خمسين فارساً ، وميشته ألف دينار ، وكان كثير الخروج للصيد والقنص وله معرفة تامة برمي البندق واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة[2] » .

وعماد الدين ابن الفوارس طغرل بن عبد الله المستعصمي الأمير المعروف باليقجة دار ، قال ابن الفوطي : « كان أميراً شجاعاً ، وتقدم المستعصم بالله أن يرتب أميراً أسوة بالزعماء فاستدعي الى دار الوزير مؤيد الدين [ابن] العلقمي وخلع عليه وجعل له خمسون فارساً ورسم له من الميشة ألف دينار في كل سنة ، وكان قد قرأ الفقه على نجم الدين [بكبرس بن بلنقليج الحنفي الناصري] شيخ الزهاد وكتب [خطاً] مليحاً وكانت وفاته (كذا) واستشهد في الواقعة

= قوله في ترجمة كمال الدين علي بن عسكر الحوي الشهير في هذه الواقعة قوله : « حضرت مجلسه في خدمة والدي تاج الدين في جماعة كانوا يسمعون عليه معجم الأدباء برواياته عن مصنفه ياقوت مولاهم ، ثبتني في ذلك شيخنا جلال الدين ... » . فقد كان محتاجاً الى التثبيت لنسيانه .

(١) تلخيص معجم الألقاب ، ٤ : ٢٣ ، ولم يذكره مؤلف كتاب الحوادث في الشهداء .

(٢) تلخيص معجم الألقاب ، ٤ : ٩٧ ، ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

سنة ست وخمسين وستمائة [1] » .

ومنهم عماد الدين أبو الحسن علي بن عبد الملك بن أبي الغنائم بن بصلا البندنيجي الكاتب الفقيه قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا عزالدين عمر بن دحيان البصري في فوائده وقال : كان أحد مبيدي المدرسة النظامية وأحد الوكلاء بديوان ... وكان أديباً عالماً عارفاً باللغة له تواليف حسنة ، سمعت منه جزءاً ترجمه بالاشارة الى الملاقة بين عدد السجلات والبطاقة ، سنة اثنتين وخمسين وستمائة وسمعت عليه من لفظه أرجوزة سماها بغية المستعجل في نسب النبي — ص — وتواريخ الخلفاء » وله شعر كثير ، واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة » [2] .

وعماد الدين أبو المظفر محمد بن أبي فراس حسام الدين بن جعفر بن أبي فراس اللخمي الحلي الأمير ، قال ابن الفوطي : من بيت الامارة [3] والولاية ، ذكره شيخنا تاج الدين ابن الساعي في تاريخه وقال : في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وستمائة ألحق عماد الدين محمد بن أبي فراس بالأمراء ورتب شحنة بالحلة السيفية ، ثم ظهرت منه أمور أوجبت عزله فعزل سنة ثلاث وأربعين ... ثم رتب شحنة الكوفة ... ثم عزل لمافرته المقار وإهماله الأمور واستشهد

---

(١) التلخيص ، ٤ : ١٠٥ » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(٢) التلخيص ، ٤ : ١١٣ » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(٣) دافع الأستاذ الشبيبي عن نسب هؤلاء الاكراد الجاوانيين ، الذين ادعى بعض المتأخرين منهم النسب الى مالك بن الأشتر النخعي وتعرض لقول الله أنا في هذه المسألة في بحثي عن تاريخ الجاوانيين ، وكنت في بعض الباحثين كعادته — حفظه الله — في ذكر من يقتبس منهم ومن ينقد عليهم ، ص ١٨٨ من كتابه هذا » . وقد قال في الاحتجاج : « وقد كان الشيخ ورام من الزاهدين الصالحين في الواقع وليس من الزهد في شيء انتحال الأنساب ، ويرجح أن احدى أمهات هؤلاء الأمراء كانت من أكراد الحلة المذكورين ومنها لهم هذا النسب الى الكردية ... » . قلت : أنا لا أدعي أن ورام كان يدعي النسب الى قبيلة النخع وهو يعلم أنها باطلة ، فلعله تلقى ذلك من أبيه ، وقد يكون أحد اجدادهم المتأخرين كان ادعاه ثم نسوا انه ملك الأشتر ، ثم ان البحث التاريخي الجديد لايأبه لمثل هذه الدعوى . ولماذا استبعد الأستاذ ذلك ولم يستبعد الفواصلة بالكذب على سيد علوي جليل عالم فقيه كما جاء في ، ص ٢٥ ، من كتابه .

فى الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة [1] » .

ومنهم على رواية ابن الفوطي أيضاً « فتح الدين أبو الظفر الحسن بن محمد بن كُمُر بن محمد ابن موسك بن أبي المهيجاء الشيباني السكردي [2] الملك » قال : « كان من الأمراء الأكابر بل الملوك الأكارم ، قال شيخنا تاج الدين فى تاريخه : وفى رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة خلع على الأمير فتح الدين فى دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي : القباء الأسود والعمامة السكحلية المذهبة وهي خلع السلطنة وأنعم عليه بمركوب خاص وأذن له فى ضرب الكوسة الملكية ، وزيد فى معيشته ألفا دينار فصار له فى كل سنة أربعة عشر ألف دينار إمامية ، وعهدي بداره فى كل جمعة يفرق فيها من الأدوية والأشربة والمعاجين ما لا يكون فى بيمارستان وكان لا يرد سائلاً ، كائناً من كان ، واستشهد فى الوقعة فى الجانب الغربي فى المحرم [3] » .

وقال أبو الحسن الخزرجي فى حوادث سنة ٦٤٣ : « وفى يوم التاسع والعشرين من شهر رجب خلع على الأمير فتح الدين حسن بن كر السكردي الاربلي فى دار الوزير ، وقلد سيفاً كبيراً محلى بالذهب وأعطي تسعة أحمال كوسات وما يناسبها من الأعلام والرايات والطبول والبوقات ، وزيد فى معيشته ألف دينار وسلم اليه إقطاع بهذه المعيشة [4] » .

ثم ذكر خروج موكب عيد الفطر فى يوم الأربعاء غرة شوال سنة ٦٤٥ وكان مؤلفاً من عدة مواكب يتقدمها موكب الأمير مجاهد الدين أيبك المستعصمي ثم موكب الأمير شجاع الدين الطرس الظاهري (كذا) ودونه موكب الأمير حسن بن كرّ ثم عسكر شرف الدين إقبال

---

(١) التلخيص « ٤ : ١١٨ » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

(٢) تأمل قوله « الشيباني السكردي » وهو نسابة !! راجع ما يأتي بعده .

(٣) التلخيص « ٤ : ٢١١ ، ٢١٢ » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء ، ولي هذه السيرة موضع للمقابلة والموازنة ، فلو كان مؤلف الحوادث ابن الفوطي ما أغفل شهادة هذا الأمير الكبير الذي ذكره في تلخيصه أحسن ذكر وأعظمه .

(٤) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي « الورقة ١٦٦ » .

الشرابي ثم الأمراء الصغار ثم موكب الخليفة ثم موكب الديوان [1] » .

وقال مؤلف الحوادث في حوادث سنة ٦٥٦ وانحدار المغول من ناحية دجيل نحو غربي بغداد وخروج مجاهد الدين أيبك الدويدار المستنصري للقائهم : « وما زال يتبعهم بقية نهاره فأشار عليه الأمير فتح الدين بن كر بأن يثبت مكانه ولا يتبعهم ، فلم يسمع اليه ، فأدركه الليل وقد تجاوز نهر بشير بزّ دجيل ، فباتوا هناك . فلما أصبحوا حملت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قتالاً شديداً ، فلم تثبت عساكر الدويدار فانكسروا [2] ... » . وذكر قصة الكارثة التي نزلت على الجيش العباسي . وقد ذكر الوزير رشيد الدين هذا الامير فتح الدين بن كر الكردي قال : « وفي اليوم الحادي عشر من شهر جكشيات من سنة ، وكا الموافق للتاسع من المحرم من سنة ٦٥٦ سار بايجونوين وبوقا تيمور نحو دجيل في الوقت المعين لها وعبرا دجلة ثم عسكرا على نهر عيسى ... وكان مجاهد الدين ايبك الدوادار يقود جيش الخليفة وعمه ابن كرّ ... وفي العاشر من المحرم وقت طلوع الشمس هجم بايجونوين وبوقاتيمور على الدوادار وابن كرّ وكسروا جيشها وقتل فتح الدين بن كرّ وقراصنقر في الوقعة وقتل من عسكر الخليفة اثنا عشر ألفاً ما عدا المتورطين في الأوحال والغرقى [3] » .

ومنهم فخر الدين أبو العباس أحمد بن الحسين الرازي القاضي قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : كان أحد معيدي المدرسة النظامية وله أشعار في مدح المستعصم بالله ومدح الوزير مؤيد الدين [ابن العلقمي] ومن شعره :

أني من خليلي خيال طرقْ ... بطيب ثرى المسك منه عبقْ

وفاح أريج نسيم الصبا ... سُحَيراً والذيل منه اعتبقْ

---

(١) المرجع المذكور « الورقة ١٧١ » .

(٢) كتاب الحوادث « ص ٤٣٢ » .

(٣) جامع التواريخ « ٢٨١ » من الترجمة الفرنسية المطبوعة مع الأصل الفارسي بتحقيق وترجمة المستشرق كاترمير الفرنسي .

نعشـــت لرباهـا ناشـــقاً ولم أدر أي نســـيم أرق

ومنها في المدح :

غياث الأنام أبو أحمـــد به تمّ دينُ الهدى واتّسَقْ

وكان استشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة [1] » .

ومنهم فخر الدين أبو جعفر أحمد بن عبيـــد الله بن الحسين بن أحمد بن جعفر الآمدي الصوفي ، قال ابن الفوطيّ « ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب في تاريخه وقال : رتب مدرساً للنحو بمدرسة سعادة [2] ثم رتّب معيداً بالمدرسة المستنصرية وله أشعار حسنة ، مدح الامام المستعصم بالله ، وكان يحضر مجلس الوزير مؤيد الدين أبي طالب بن العلقمي وقد كتبتُ شعره في شعراء العصر [نظم الدرر النّاصعة في شعراء المائة السابعة] . واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة [3] » .

وفخر الدين أبو منصور ألطن آبه بن عبد الله المستنصري الأمير المعروف بالسكرازدار ، قال ابن الفوطيّ : ذكره شيخنا تاج الدين بن الساعي في تاريخه وقال : أُعتق في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وستمائة وجعلت معيشته ألفي دينار وعدته خمسون فارساً ، وقتل في الواقعة الكبرى بالجانب الغربي في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة [4] » .

ومنهم فخر الدين أبو علي محمد بن عبد الرحمن بن أبي البقاء عبد الله العكبري الكاتب ، من فضلاء الزمان . سمع جده أبا البقاء وتأدب ونظم الأشعار الرائقة . أنشده شيخنا تاج الدين [ابن الساعي] في المدائح الوزيرية يهنيه بالوزارة :

زهـا بك في إيالتك السّرورُ وفاخر فيك دهرك ذا الدهورُ

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢١٩ » ولم يذكره مؤلف الحوادث مع الشهداء .

(٢) الأمير عز الدين سعادة له ترجمة في المعجم ومدرسته مشهورة في التاريخ .

(٣) التلخيص « ٤ : ٢٢٢ » ولم يذكره مؤلف الحوادث مع الشهداء .

(٤) التلخيص « ٤ : ٢٢٦ ب » ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .

فكان بك الفخار له عليهما ... كما فخرت على الشُهب البدورُ
عهد معاقل الاســـلام حتى ... لقد أمنت مخاوفها الثغورُ
وأشرقت الوزارة حين أضحت ... وأنت بدست منصبهـا وزير

واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين [وستمائة] ومولده سنة ستمائة تقريباً [1] » .

وفلك الدين أبو الفضل منكوبارس بن عبد الله التركي المستنصري الأمير ، قال ابن الفوطي : « كان أميراً كبيراً ، ولي رئاسة الأتراك الزهاد بعد الشيخ نجم الدين يكبرس بن بلنقليج ، وكان كريم النفس ، ورعاً يصوم الاثنين والخميس ، وله على الأتراك والجماعة الإمرة المطاعة ، وقتل في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة [2] » .

وكمال الدين أبو الحسن علي بن علي عسكر [3] بن أبي نصر بن إبراهيم ، نزيل بغداد ، الحوي ثم البغدادي العارض ، قال ابن الفوطي : « كان صدراً كاملاً ورئيساً فاضلاً ، وكان من جيراننا في المحلة الخاتونية الخارجة وحضرتُ مجلسه في خدمة والدي تاج الدين في جماعة كانوا يسمعون عليه معجم الأدباء بروايته عن مصنفه ياقوت مولاهم ، ثبتني في ذلك شيخنا جلال الدين بن مكيل وكان ممن يحضر المجلس . قال شيخنا تاج الدين في تاريخه : رتب كمال الدين ناظر المدرسة المستنصرية سنة إحدى وأربعين وستمائة ثم رتب مشرف البلاد الحلية ورتب عارض الجيوش سنة خمسين وستمائة ولم يزل على ذلك إلى أن استشهد في الوقيعة سنة ست وخمسين ، وكان ياقوت عتيق والده ، أعتقه يوم ولد له كمال الدين [4] » .

فهؤلاء فريق من الشهداء الذين قتلهم المغول القساة الغلاظ الأكباد الجناة العتاة في واقعة

(١) التلخيص ، ٤ : ٢٦٣ ، ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .
(٢) التلخيص ، ٤ : ٢٩٥ ، ولم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء .
(٣) ذكر ابن الساعي وفاته في سنة ٦٠٦ في الجامع المختصر ٩ : ٢٩٤ ، وكان تركياً ذا تجمل ظاهر .
(٤) التلخيص ، ٥ : الترجمة ٤٠٦ من الكافه » .

بغداد التي تفتت الأكباد [1] ، ذكرهم أبو الحسن الخزرجي وابن الفوطي ، ولم يذكرهم مؤلف الحوادث ، فهو مقتصر في هـذا الأمر مختصر مقتصر ، إلا أن اقتصاصه ما جرى في العراق بعد استيلاء المغول عليه هو أحسن اقتصاص وأوسمه ، كما ذكر الأستاذ الشبيبي ـ حفظه الله ـ وسيبقى متفرداً بذلك خاصة إلى أن يعثر على تاريخ ابن الساعي وتاريخ الكازروني وأضرابهما كابن الفوطي في كتابه « التاريخ على الحوادث » المفقود ، الذي يحيل عليه كثيراً في تلخيص معجم الألقاب وممن قتله المغول ببغداد يحيى الصرصري الشاعر المشهور الأخبار والأشعار .

١٧ — وقال الشيخ الجليل في أثناء كلامه على ثياب العزاء في الدولة العباسية « ص ٤٧٠ :

« كانوا يتخذون للعزاء ثياباً خاصة ، وورد ذكرها كثيراً في تاريخ هذه الحقبة ولكنها لم توصف وصفاً واضحاً ولم يعين لون تلك الثياب ، ونرجح أنه السواد لأن العادة المتبعة عند العراقيين اليوم في حالة الحزن لبس الثياب السُّود ، هذا وقد عقد صاحب الحوادث فصلاً عنوانه (تغيير ثياب العزاء والهناء — ص ١٦٥ —) ضمّنه وصول ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ... لتعزية المستعصم بوفاة المستنصر ... ودخل وعليه ثياب الحزن ... هـذا ما ورد في الكتاب ، فكانت للحزن والعزاء إذن ثيـاب مخصوصة ولـكن المؤرخين سكتوا عن وصفها وتعيين ألوانها والمرجح كما قلنا أنه السواد وقد جرت العادة أن يظهر رجال الدولة بهذه الثياب ولا يستثنى من ذلك الوزراء في العصر المذكور فقد ظهر الوزراء والأعيان ومشايخ الربط والمدرسون بهذه الثياب بعد وفاة المستنصر سنة ٦٤٠ ودخلوا الى دار الوزارة بهذه الازياء ، الحوادث ٩٤٠ ، ٣٥ ، ١١١ ، ٥ اهـ .

قلت : لم يسكت المؤرخون عن لون ثياب العزاء لأهل الدولة ومَن جرى مجراهم ، ولـكنهم كانوا يعدون ذلك من باية ذكر البديهيات ، فالدولة العباسية كان شعارها السواد منذ أسست

(١) وقال السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ ناقلا من تاريخ الصفدي في ترجمة سـعيد الدهلي المتوفى سنة ٧٤٩ . « له تواليف منها تفتيت الأكباد في واقعة بغداد » ، ولعل كتاب الحوادث المذكور مراراً وتكراراً من جمعـه أو تأليف ابن أسينا الواسطي المؤرخ .

إلى أن قرضت وأزيلت ، وكان شعار حزبها « البياض » منذ أنشئت إلى أن قضي عليها ، فركن الدين إسماعيل والوزراء والأعيان ومشايخ الربط والمدرسون كانوا يلبسون «ثياباً بيضاً» في أيام العزاء المذكور ، قال أبو الفرج بن الجوزي في وفاة الخليفة القائم بأمر الله ومُبايعة حفيده المقتدي بأمر الله بالخلافة يوم الجمعة ثالث عشر شعبان من سنة ٤٦٧ : « ولقب بالمقتدي بأمرالله وجلس في دار الشجرة بقميص أبيض وعمامة لطيفة بيضاء وطرحة قصب دُرّية ودخل الوزير فخر الدولة و (ابنه) عميد الدولة واستُدعي مؤيد الملك بن النظام والنقيبان طراد والعلوي [1] وقاضي القضاة الدامغاني وكُبيس وأبو طالب الزينبي وابن رضوان وابن جردة ، ووجوه الأشراف والمتقدمون وبايعوه ... [2] » .

وقال ابن واضح في وفاة الامام علي بن موسى الرضا : « لما سار المأمون الى طوس توفي الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد — ع — بقرية النوقان ولم تكن علته غير ثلاثة أيام ، فقيل إن علي بن هشام أطعمه رماناً فيه سم ، وأظهر المأمون عليه جزعاً شديداً ، فحدثني أبو الحسن ابن أبي عباد قال : رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضا حاسراً في مُبَطَّنة (بيضاء) وهو بين فاعتي النعش يقول : إلى من أروح بعدك يا أبا الحسن ؟ وأقام عند قبره ثلاثة أيام يُؤتى في كل يوم برغيف وملح فيأكله ثم انصرف في اليوم الرابع [3] » .

وقال جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي المعروف بابن الدبيثي في ترجمة أبي داود سليمان بن أرسلان المعروف بابن شاووش : « ولما أفضت الخلافة الى سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام ، أبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين — خلد الله ملكه — شرّفه بتولية النيابة بديوان المجلس بخلعه وسنّيه ومعرفته وذلك في يوم الجمعة

---

(١) في المنتظم المطبوع ، ٨ : ٢٩٢ ، طراد العلوي وهو خطأ من حيث التركيب والتاريخ .

(٢) المرجع المذكور .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، ٣ : ١٨٠ ، ١٨١ طبعة النجف ، .

السادس من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وخلع عليه بالتاج الشريف جُبَّة إبريسم (بيضاء ومصمت وبقيار قصب أبيض لأجل العزاء) بالإمام المستضيء بأمر الله ـ رضي ـ[1] » .

وقال الصلاح الصفدي في ترجمة السيدة سلجوقي خاتون بنت فليج أرسلان السلجوقية زوج الناصر لدين الله : « تعرف بالخلاطية ... قدمت الحج فوصفت للناصر وأخبر بجمالها[2] الزائد وكانت متزوجة بصاحب حصن كيفا ، فحجت وعادت إلى بلدها ، فتوفي زوجها ، فخطبها الخليفة من أبيها فزوّجها منه ... وكان يحبها ... وشغف بها وبنت لنفسها رباطاً وتربة بالجانب الغربي[3] ، فتوفيت سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، قبل فراغ العمارة ، ودخل على الخليفة من من الحزن ما لا يوصف وحضر جنازتها كافة أرباب الدولة ورفعت الغرز والطرحات (ولبسوا الأبيض) ورفعت البسملة ووضعت على رؤوس الخدم ، وارتفع البكاء من الجواري والخدم وعمل لها العزاء والختمات[4] » .

وقال مؤلف جواهر السلوك في الخلفاء والملوك : « ذكر خلافة الظاهر بأمر الله ... كان أبيض اللون (جميل الوجه) ... قال ابن الساعي : حضرت مبايعة الخليفة الظاهر وكان جالساً في شباك القبة وعليه (ثياب بيض) وعلى رأسه الطرحة من فوق عمامته وعلى كتفه البردة وبيده القضيب ، والوزير قائم بين يديه على منبر ، وهو يأخذ له البيعة من الناس من الخاص والعام على قدر مراتبهم حتى انتهى ذلك اليوم[5] » .

---

(١) ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٦٩ ظ .

(٢) في تجارب السلف قصة خيالية لكيفية رؤية الناصر لها ، ص ٣٢١ ، نقلها المؤلف عن أحد أبناء الدولة ببغداد وقال « والعهدة عليه فيما رواه » بنص الجملة العربي مع أن الكتاب بالفارسية كما تقدم .

(٣) كانت التربة والرباط على شاطئ دجلة في أعلى محلة المقصر الباس وفي التربة أقيمت تكية البكتاشية بعد ذلك ، وقد جرف النهر الكل ولم يبق لها أثر .

(٤) الوافي بالوفيات ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١٥٣ ظ .

(٥) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٦١٦ الورقة ١٢٢ .

وذكر أبو الحسن الخزرجي في وفيات سنة ٦٤٣ وفاة السيدة عائشة بنت المستعصم بالله وذكر أن الناس حضروا على اختلاف طبقاتهم الى دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي وركبوا بين يديه في الثياب البيض [1] .

وذكر مؤلف كتاب الحوادث في سنة ٦٤٢ تولية الخليفة المستعصم بالله أستاذه أبا المظفر علي بن الفيار مشيخة الشيوخ بعد مبايعته — أي مبايعة المستعصم بالخلافة — وذكر الخلعة التي خلعت عليه باسم هذا المنصب قال : « وخلع عليه في دار الوزارة (قبض مصمت أبيض وبقيار قصب أبيض مسكّن) وخوطب بشيخ الشيوخ [2] » .

والسبب في هـذا التبييض هو أنهم كانوا في أيام عزاء الخليفة المستنصر والد المستعصم بالله .

وفي نقل جسد المستنصر بالله من مدفنه بدار الخلافة إلى ترب العباسيين بالرصافة لبس أرباب الدولة البياض أيضاً ، قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة (٦٤٠) : « ... وبركب الزعماء (بالأقبية البيض ، وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص أبيض وبقيار أبيض مسكّن) وغاشية [3] ... » .

فالأمر على ما ذكرت من أن المعرّج بأنّ شعار الحزن للدولة العباسية هو البياض إنّما كان بمعرّج للتنبيه على جنس اللباس لا لبيان اللون ، والأخبار في ذلك وافرة .

وكان الأصل في اتخاذ العباسيين السواد حزنهم على الشهداء الهاشميين الذين قتلهم بنو أمية والذين صلبوهم ، وكان الفضل بن عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شيخ بني هاشم وعالمهم وشاعرهم أول من لبس السواد على زيد بن علي بن الحسين ورثاه بقصيدة طويلة وصفت

---

(١) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي ، الورقة ١٦٧ » ، وقال في وفاة السيدة ست العرب بنت الأمير عبد العزيز بن المستنصر بالله سنة ٦٤٤ : « فركب الوزير وكافة أرباب الدولة بالثياب البيض بغير طرز » . « الورقة ١٦٩ » .

(٢) الحوادث « ص ٢٨٥ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ١٧٢ » .

بأنها كانت حسنة [1] . وقال أمين الدولة محمد العلوي الأنطاكي في مجموعه القيف : خرج يحيى ابن زيد بن علي — رض — على الوليد بن يزيد بن عبد الملك — وكان هرب أيام هشام إلى خراسان فلم يزل يتنقل في كورها ... فخرج على والي خراسان نصر بن سَيّار فوَجّه إليه سلم بن أحوز المازني من بني تميم ، فقاتله دون هراة ، فقتله سودة بن عوير الكندي وسلبه بالجوزجان في طاق ، وسلب بازائه رجلاً من العرب يقال له مطرف بن مطرف أو مطرف بن مطر ، في طاق آخر ، بيتها مدرجة للناس ، فلم يزل [يحيى] مصلوباً حتى خرج أبو مسلم [الخراساني] فأمر به فأنزل وواراه وتولى الصلاة عليه والدفن ، وأخذ أبو مسلم كل من كان خرج لقتاله ، وذلك أنه تصفح الديوان فنظر الى كلّ من كان في بعثه فقتله إلا من أعجزه ، فَسوّد [2] أهل خراسان ثيابهم عليه ، فصار لهم زيّاً [3] » .

وذكر الخطيب البغدادي في ترجمة عبد الله بن المبارك الزاهد المشهور أنه قال عن نفسه : « ذاكرني عبد الله بن إدريس السنّ ، فقال : إبن كم أنت ؟ فقلت : إن العجم لا يكادون يحفظون ذلك ولكن أذكر أني لبستُ السواد وأنا صغير عندما خرج أبو مسلم . فقال لي : أو قد ابتليتَ بلبس السواد ؟ قلت : إني كنت أصغر من ذلك ، كان أبو مسلم أخذ الناس كلهم بلبس السواد الصغار والكبار [4] » .

وذكر أبو جعفر الطبري بسنده أن أبا الحسن المدائني قال : أخذ أبو جعفر الناس بالسواد فكانت أرامل يصبغون ثيابهم بالمداد وحدثني علي بن الجعد قال : رأيت أهل الكوفة أيام

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني مع المؤتلف والمختلف للآمدي ، ص ٣١٠ » .

(٢) سود تسويدا أي لبس الملابس السود وبذلك سمي العباسيون والتابعون لهم « السودة » بكسر الواو المشددة .

(٣) المجموع القيف ، مخطوط مصور في خزانة كتبي ، الورقة ١٩٦ » .

(٤) تاريخ بغداد ، ١٠ : ١٥٤ » .

حضورك حضور من يريد الوصول [الى الخليفة] . فقال له : كأنك أنكرت البياض ؟! قال : نعم . قال : هذا زيي وزي آبائي . قال : ما الأمر على هذا ولا رأيت أحداً من أسلافك دخل هذه الدار إلا بالسواد ، ولقد حضر عمر بن يحيى أبوك عندنا في أيام المطيع لله — رحمة الله عليه — لتقرير أمر الحاج ومن يخرج معه وهو بسواد أسود . فقال : ما معنى بسواد أسود ؟ قال : سواد مصبوغ ، وإني لأنكره وقد عرق ، والسواد يجري على جبينه وهو يمسحه بشمشجة في يده . قال له محمد بن عمر : فما الذي تريده أيها الحاجب ؟ قال : أن تغير هذه الهيئة وتفعل ما جرت به العادة . قال : أو أنصرف . قال : الاختيار اليك . وقام محمد بن عمر ونزل إلى زبزبه وانصرف الى داره ، وعجبت الجماعة مما جرى وعجبت منه [1] .

وقال الخطيب البغدادي في ترجمة أبي علي محمد بن عيسى بن محمد الهاشمي العباسي المعروف بالبياضي : « سمعت القاضي أبا القاسم التنوخي يسأل بعض ولد البياضي عن سبب هذه التسمية فقال : إن جدّي حضر مع جماعة من العباسيين يوماً مجلس الخليفة ، وكانوا كلهم قد لبسوا السواد غير جدي فان لباسه كان بياضاً ، فلما رآه الخليفة قال : من ذلك البياضي ؟ فثبت ذلك الاسم عليه ، فلم يُعْرف بعدُ إلا به [2] » . وقال أبو الفرج بن الجوزي : « وليس بمنسوب إلى بني بياضة فان أولئك من الأنصار وإنما سمي البياضي لأنه حضر يوماً مجلس الخليفة وكان أهل المجلس عليهم السواد ، وكان لباسه أبيض ، فقال الخليفة : من ذلك البياضي ؟ فثبت الاسم عليه [3] » .

وذكر ابن السمعاني في « البياضي » من الانساب ما ذكره الخطيب البغدادي في

---

(١) مختصر رسوم دار الخلافة للخصاري في « أصول التاريخ والأدب ٢ : ٢١٤ » والصفحة (١٠١ — ١٠٣) من رسوم دار الخلافة ، نسخة مكتبة الآثار القديمة العامة . وراجع في العقوبة على ترك السواد أيضاً « البيان والتبيين ٣ : ٣٢٣ طبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر .

(٢) تاريخ بغداد « ٢ : ٤٠١ » وذكر أن القرامطة قتلوه سنة ٢٩٤ .

(٣) المنتظم « ٦ : ٦٢ » .

تاريخه [1] ، وذكر ابن خلكان بياضياً آخر هو الشريف أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن الحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضي البغدادي الشاعر المتوفى سنة ٤٦٨ قال : « وإنما قيل له البياضي لأن أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين وكانوا قد لبسوا سواداً ما عداه فانه كان قد لبس بياضاً ، فقال الخليفة : من ذلك البياضي فثبت ؟ ذلك الاسم عليه واشتهر به ، وذكر ابن الجوزي في كتاب الألقاب أن صاحب هذه الرقعة هو محمد بن عيسى بن محمد ... وهو الذي يقال له البياضي . ورأيت بخط أسامة بن منقذ المقدم ذكره أنّ الذي لقبه بهذا اللقب هو الخليفة الراضي بالله والله تعالى أعلم [2] » . وعلى هذا ينبغي أن يكون البياضي الشاعر منسوباً إلى « البياض » الذي هو الثياب القطن التي تكون بالريّ ويقال لها القصافية ... » .

وقد جاء في كتاب الذخيرة لابن بسام الأندلسي أن أبا الحسن علي بن عبد الغني القيرواني المعروف بالحصري قال في لباس أهل الأندلس البياض عند الحزن على الميت :

إذا كان البياض لباس حزن ... بأندلس وذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي ... لأني قد حزنت على شبابي »

قال : « ويقال إنهم استسنوا ذلك من عهد الأمويين قصداً لمخالفة لبني العباس في السواد [3] » . قلت : ولم يتم أمرهم إن صحّ هذا القال ، فقد ذكرنا أن العباسيين اتخذوا اللون الأبيض شعاراً لحزنهم وكآبتهم ، وأما الشعب فيسعب علينا أن ندعي أنه كان يقلد العباسيين في لباس العزاء ، وأما لباسه فكان يختار ما شاء من الألوان إلا في صلاة الجمعة في مقاصير جامع

---

(١) اختصر ألقاب السمعاني بخط كاتب النقد « ٢٤٥ » وقد تصحف في الألقاب اسم « القرامطة » الى البرامكة .

(٢) الوفيات « ٢ : ٣١٠ ، ٣١١ » .

(٣) أنساب السمعاني في « البياضي » .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة « ٢ : ٣٧ » ونقل الخبر ابن خلكان في ترجمة الحصري .

المنصور وغيره فقد لبسوا السواد قديماً ثم تُرك ، قال ابن الجوزي : « كان القاضي أبو تمام الزينبي يصلي في أيام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان والصفوف ممتدة من المسجد الى ذلك المكان . . وعلى أبواب المقصورة بوّابون بثياب سود يمنعون من دخول أحد فيها إلا من كان من الخواص المتميزين بالأقبية السود ، وكان ذلك رسماً في سائر مقاصير الجوامع ، وقد بطل حتى صار لا يلبسه إلا الخطيب والمؤذنون [1] » .

١٨ — وجاء في حاشية الصفحة ٧٦ « بتل الزينبية أو الزيبية » . قلت : إن الوارد في كتاب الحوادث المطبوع هو « الزيبية » فلماذا يجوز كونها « الزينبية ؟ » جاء في معجم البلدان : « الزيبية : منسوب إلى الزيب الذي من السكر ، محلة ببغداد يقال لها تل الزيبية » ، وفي المراصد : « الزيبية ، منسوب الى زيب العنب ، محلة ببغداد إلى جانبها تل يقال له تل الزيبية » وفي غاية الاختصار ـ ص٦٦ ـ « ظهر ببغداد سنة خمس وسبعين وستمائة بتل الزيبية (كذا) وهي محلة من محال مدينة السلام قبر ... » فقول الشيخ الفاضل « أو الزينبية » لا وجه له على الاطلاق ، لأنه من المواضع المعلومة المسكونة أيامئذ [2] .

١٩ — وقال الأستاذ الفاضل في الصفحة ٨٠ : « وورد في أخبار سنة ٦٢٩ من الكتاب من فتح الأمير شرف الدين إقبال الشرابي لإربل ومناجزة المغول وابتهاج البغداديين بذلك ما يأتي : ضربت الطبول على باب النوبي وأفرج عن جميع المعتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان وأوردوا قصائد ... » قلت : الصحيح أن فتح شرف الدين إقبال الحبشي الشرابي لمدينة إربل « أي أربيل » كان سنة (٦٣٠) لا سنة ٦٢٩ وأن الصفحة التي أشار إليها الشيخ

---

(١) مختصر مناقب بغداد « ص ٢٢ » .

(٢) قال أبو عبد الله بن الدبيثي في ترجمة عبد الغني بن أبي بكر الفقيه المعروف بابن نقطة الحنبلي المتوفى سنة ٨٣٥ « كان منقطعاً في مسجد قريب من تل الزيبية وعنده جماعة من الفقراء يخدمهم بما يفتح الله عليه ... » . (ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٧٩ » .

الجليل هي من حوادث سنة (٦٣٠) .

٢٠ — وقال في الصفحة ٨٩ في اجتياء الخليفة منصور بن محمد الملقب « المستنصر بالله » إقبالاً الشرابي تفاؤلاً باسمه « إقبال » ، نقلاً من كتاب (الحوادث) : « هـذا ما جاء في الكتاب من استدلال المستنصر وتفاؤله بذلك الاسم الحسن ، ولكن المؤلف — سامحه الله — حاول أن يؤكد صحة ذلك الفأل والاستدلال ولم يحجم عن إدخال أنفه في السياسة قائلاً : كان حال الملك منتظماً بصائب رأيه — يعني رأي الأمير إقبال الشـــرابي — فلما توفي اختلت الأحوال ، أجل كان حال الملك في خلافة المستنصر منتظماً بالنسبة إلى عصر المستعصم ولكن لا دخل في ذلك للفأل » . وفي الحق أن المؤرخ لم يعلق ذلك على الفأل حتى يقال هذا المقال .

هذا وقد أراد بالمؤلف « ابن الفوطي » وقد أشرنا إلى أن الأستاذ أرصد أكثر كتابه لدراسة كتاب الحوادث ، وبهذا القول نقض الأستاذ ما قاله في الجزء الأول — ص ١١ — قال : « من رأينا بعد المقارنة بينه وبين عدد من المؤرخين أن ابن الفوطي موهوب يعتبر التاريخ فناً من الفنون الرفيعة لا يخلط بينه وبين السياسة ... » ، فكيف إذن أدخل أنفه في السياسة ؟ ومن روح فنه أنه لا يخلط بينه وبين السياسة ؟! إذن لابد أن يكون مؤلف « الحوادث » غير ابن الفوطي ، أو أن يعترف الأستاذ بما أشرت اليه من تناقض قوليه وتدافع رأيه .

٢١ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٨١ أيضاً : « جاء في أخبار سنة ٦٤٣ من كتاب الحوادث الجامعة عن إقبال الشرابي ، ما يأتي : كان أولاً لعزالدين صاح الشـرابي ... » . وأحال على الصفحتين ٣٠٨ ، ٣٠٩ من كتاب الحوادث المطبوع ، والصحيح أن ذلك جاء في سنة ٦٥٣ وربما كان الصواب سنة ٦٥٤ .

٢٢ — وقال في الصفحة ٨٦ يذكر من حوادث سنة ٦٤١ : « قال صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤١ ما نصه : وفيها تقدم الخليفة إلى جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي المحتسب بمنع الناس من قراءة المقتل [الحسيني] في سائر المحال بجانبي بغداد ومشهد موسى بن

جعفر عليه السلام » ، وأحال بذلك على الصفحة ١٨٣ من كتاب الحوادث ، وقد أقام النكير على هذا المنع ، وهو محق فى استنكاره إياه ، إلا أنه لم ينقل الخبر على وجهه الصحيح فنصه « وفيها تقدم الخليفة إلى جمال الدين ... المحتسب بمنع الناس من قراءة المقتل فى يوم عاشوراء والانشاد فى سائر الحال بجانبي بغداد ، سوى مشهد موسى بن جعفر — عليهما السلام — » . إذن كان مشهد الامام موسى بن جعفر مستثنى من المنع ، مع أن الشيخ الشيبي أدخله فى الممنوع منها بسكوته عن استثنائه ، فتغير الحكم ، وتبدل مجال النقد والعتاب ، لأن الفرق بين الأمرين أصبح كالفرق بين منع الصلاة فى جميع المساجد ، وقصرها على مسجد واحد .

٢٣ — وقال فى الصفحة ٩١ : « وجاء فى أخبار سنة ٦٤٣ من كتاب الحوادث ما يأتي : فيها قصد الخليفة [المستنصر] مشهد موسى بن جعفر — ع — فى ثالث رجب فلما عاد أبرز (كذا) [1] ثلاثة آلاف دينار الى أبي عبد الله الحسين الأقساسي [2] نقيب الطالبيين وأمره أن يصرفها [3] على المقيمين فى مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومشهد الحسين وموسى ابن جعفر عليهم السلام » . وقد أحال بذلك على الصفحة ١٠٤ من كتاب الحوادث .

قلت : الصحيح أنها أخبار سنة ٦٣٤ لا سنة ٦٤٣ وأن الصفحة المحال عليها من الحوادث هي الصفحة ٩٥ ولعل ذلك من غلط الطبع .

٢٤ — وقال فى الصفحة ٩٢ : « ومن أقدم حوادث النقل ما ورد فى معجم ابن الفوطي من شخص لقّبه [ابن الفوطي] (الكامل) فى معجمه ، أقام عند أحد بن مروان بميافارقين الى أن مات فى شهر رمضان سنة ٤١٨ وحمل إلى مشهد علي — عليه السلام — » .. وقال فى الحاشية : « المعجم ٥ : ١٤٠ وقد سقط أول الترجمة من النسخة » . يعني « راجع الجزء الخامس من تلخيص معجم الألقاب وقد سقط منه أول الترجمة » .

---

(١) هذه من وضعه ، للدلالة على استغرابه استعمال « أبرز » .

(٢) فى الحوادث « ابن الأقساسي » .

(٣) فى الأصل « يفرقها » .

قلت : لم يسقط أول الترجمة — والحمد لله — ففي النسخة التي نسختها أنا بيدي ، مصححة ، من الجزء الخامس المطبوع من تلخيص معجم الألقاب ما هذا نصه : « الكامل أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين ابن المغربي ، الوزير ، مصري الأصل ، ذكره الحافظ ابن الجوزي في كتابه المنتظم [1] وقال : ولد ببغداد وتقلد الأعمال بها ثم انتقل الى مصر ، وقلده الحاكم ديوان الإنشاء والمجلس ، ولما قتل الحاكم أباه وعمه هرب الى العراق ، [ووزر] لشرف الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ، بغير خلع ولا مفارقة الدراعة ، وكان يلقي الدرس في مجلسه ويتردد أهل الأدب اليه ، يقرؤون كتاب سيبويه عليه ، وله رسائل وأشعار مدونة ، وقصد أحمد بن مروان بن كلك وأقام عنده بميافارقين إلى أن مات في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة ونقل الى مشهد علي — عليه السلام — [2] » .

وهو مشهور السيرة ترجمه ابن الأثير في الكامل وابن خلكان في الوفيات والنجاشي في رجال الشيعة وغيرهم ، ولم يسقط أول ترجمته في المطبوع من تلخيص معجم الألقاب ، نقول ذلك للتأكيد والتأييد فقد نقلناه .

٢٥ — وجاء في الصفحة ٩٤ في ذكر فخر الدولة قول الأستاذ الجليل : « وفي أخبار ٦٤٧ من الكتاب — يعني كتاب الحوادث — :

---

(١) المنتظم ج ٨ : ٣٢ ، قال ابن الجوزي في وفيات سنة ٤١٨ : « الحسين بن علي بن الحسين أبو القاسم المغربي الوزير : ولد بمصر في ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة وهرب منها حين قتل صاحبها أباه وعمه وقصد مكة ثم الشام ثم بغداد فوزر لشرف الدولة بعد أبي علي الرخجي ، وكان كاتباً عالماً يقول الشعر الحسن ، ثم وزر لابن مروان بديار بكر ومات عنده ... ولما أحس بالموت كتب كتاباً الى من يصل اليه من الأمراء والرؤساء الذين من ديار بكر والسكونة يعرفهم أن حظية لهم توفيت وأن تابوتها يجتاز بهم الى مشهد أمير المؤمنين علي — ع — وخاطبهم في المراعاة لمن يصحبه ويحفره وكان قصده أن لا يتعرض أحد لتابوته وأن يتطوى خبره فتم له ذلك . وتوفي في رمضان بميافارقين من ست وأربعين سنة ، وحمل الى مشهد أمير المؤمنين علي — ع — فدفن هناك » .

(٢) ج ٥ الترجمة ٦٨ و ص ١٦ من نسختي بخطي .

نقل فخر الدولة الحسن بن عبد المطلب (كذا) من مدفنه بالايوان الذي كان فيه على شاطئ دجلة حيث وقع حائطه ، إلى مشهد موسى بن جعفر » . وقال في الحاشية محيلاً : « كتاب الحوادث : ٢٤٤ ولفخر الدولة هذا ذكر كثير في هذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية يستفاد منها (كذا) أنه كان من كبار رجالها معنياً بأعمال البر وإنشاء الجوامع والربط الكبيرة الشهورة في الجانب الغربي مثل جامع ابن المطلب وخانقاه ابن المطلب وله أحباس جمة على وجوه الخير أو المبرات » .

قلت : هو « الحسن ابن المطلب » لا ابن عبد المطلب ، من بيت بني المطلب وهو من كبار البيوت التي خدمت الدولة العباسية في أواخر عهودها منهم الحسن بن محمد بن هبة الله بن المطلب ، وعلي بن محمد بن هبة الله بن المطلب ، وعلي بن هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب ، ومحمد بن علي بن المطلب ، وجعفر بن المطلب ، ومحمد بن محمد بن المطلب ، ومحمد بن هبة الله بن المطلب ، وهبة الله بن محمد بن علي بن المطلب ، وفخر الدولة هذا .

ولم يكن فخر الدولة من رجال الدولة وإن لقب بها ، وإنما كان أبوه هبة الله بن محمد بن علي ابن المطلب وزيراً للخليفة المستظهر بالله ، أفلم يقرأ الشيخ الشابي الجليل ترجمته في تلخيص معجم الألقاب ؟ فان لم يذكرها وهو الظاهر لنا فهي هذه ، قال ابن الفوطي :

« فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله بن المطلب السكرماني ثم البغدادي الوزير[1] (كذا) الصوفي . ذكره تاج الاسلام أبو سعد السمعاني وقال : كان من بيت الوزارة فأعرض

---

(١) سيأتي أنه لم يكن وزيراً كما قال ابن الفوطي ، قال القاضي شهاب الدين ابراهيم بن أبي الدم الحموي في التاريخ المظفري في حوادث سنة ٥٧٥ : « وفيها استدعى الامام الناصر لدين الله فخر الدولة بن المطلب وطلب منه أن يستوزره لعلمه وورعه وكان للسنجد والتضي طلباه للوزارة فامتنع ، فلما حضر بين يدي السدة الشريفة قبل الأرض وخدم وقال : يا أمير المؤمنين ، المملوك وجل شيخ ما يجوز له أن يفتح دكاناً بعد العصر ، فقال له بهاء الدين صندل : أجب أمير المؤمنين . فقال له فخر الدولة : ليس لك في إجابتي مصلحة لأني لو قبلت بهذه الولاية ما كنت أتركك على ما بيدك من الاقطاع والولايات بل كنت أجريك على قاعدة بلال الحبشي وأزيل عنك هذه الثياب وأمنعك من الركوب وبين يديك سبوف مشهورة . فضحك الامام الناصر وأعفاه » . « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ، الورقة ٢٠٩ » .

عنها ، وجعل داره رباطاً للصوفية [ومال] إلى التصوف ، وكان حسن السيرة ، كثير الخير ، سمع أبا الحسن علي بن محمد بن العلاف ، وعمر المدرسة الفخرية بعقد المصطنع في المأمونية ، وجعل بها خزانة كتب جامعة لأنواع العلوم ، وعمر داره رباطاً ، وأوقف عليها الوقوف الجليلة وحج وجاور ، وإليه ينسب الجامع بقصر ابن المأمون بالجانب الغربي الذي جدده الوزير صعد الدين محمد بن علي الساوي . وتوفي في شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ودفن الى جانب الجامع [1] . ومولده سنة أحدى وتسعين وأربعمائة [2] » .

وترجمه أبو عبد الله بن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد وقال : « زاهد تارك للدخول في أمور الدنيا ولتولي الولايات ، مشهور بالتقدم والرئاسة ، أحب طريقة الصوفية والتشبه بهم في ملبسه وأخلاقه ، كثير الحج والمجاورة بمكة ، له آثار حسنة منها مدرسة للفقهاء الشافعية بشرقي بغداد مجاورة لعقد المصطنع ، ورباط للصوفية مصاقبها ، ومسجد متصل بذلك ، وجامع يصلى فيه الجمعة على دجلة بالجانب الغربي ورباط للنساء بقراح ابن رزين وغير ذلك من مواضع ، الخير ووقفه على ذلك من أملاكه ما يصرف في عمارته ومؤونة من يكون فيه . سمع الحديث في صباه من أبي الحسن علي بن محمد بن العلاف ، وقرأ الأدب على أبي بكر بن جوامرد القطان ، وامتنع في كبره من الرواية فلم يسمع منه أحد إلا بجهد . فسمع منه تاج الاسلام أبو سعد بن السمعاني بعد سنة ثلاثين وخمسمائة بيسير وذكره في تاريخه ، وذكرناه لأن وفاته تأخرت عن وفاته ... ورأيته ولم أقصد السماع منه . توفي في ليلة الأربعاء العشرين من شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وصلى عليه الخلق الكثير بجامع القصر [3] ، وتقدم في الصلاة عليه الخطيب أبو جعفر بن

---

(١) ثم نقل الى مشهد الامام موسى بن جعفر سنة ٦٤٧ كما ذكر مؤلف كتاب الحوادث ، فلو كان مؤلفه ابن الفوطي ما غفل عن ذلك في معجمه كما رأيت .

(٢) تلخيص معجم الألقاب ، نسخني بخطي ٤ : ٢٣٤ .

(٣) هو جامع الخليفة الذي بني على قطعة من أرضه مسجد عرف عند العامة بجامع سوق الغزل ثم دخلت أرضه في الشارع الجديد .

المهتدي » ودفن بالجانب الغربي بالجامع [1] الذي بناه على دجلة [2] » .

ومما قلت يعلم أن نهر الدولة لم ينشئ من الجوامع إلا واحداً ولا من المساجد إلا واحداً ولا من الربط إلا اثنين ولا من المدارس إلا واحدة وأن المدرسة والمسجد والخانقاهين أي الرباطين كانت في الجانب الشرقي ، وان الجامع وحده كان في الجانب الغربي ، فليس من الصواب جعل الكل في الجانب الغربي لئلا يكون القول مزلة للقارئين والناقلين .

٢٦ — وجاء في الصفحة ٩٦ « قال المؤرخ المذكور في وفيات ٦٩٥ : فيها مات الأمير سيف الدين بن أخي خوارزمشاه ... وكان قد شرف بالتشريفات اللائقة ... وأذن له في العودة إلى عمه فمات بخانقين في أواخر المحرم سنة ٥٩٦ ... » . يعني بالمؤرخ تاج الدين ابن الساعي ، فقد نقله من جزء من تاريخه الجامع المختصر — أعني الجزء التاسع الذي شارفت على تحقيقه — والصحيح أن يقال « في وفيات سنة ٥٩٥ » . ولعل الغلط من سبق القلم ، وعدم المراجعة للمنقول ، أو من غلط الطابع .

٢٧ — وقال في الصفحة ٩٧ : « هذا وقد ظهرت ... مشاهد أخرى وذلك في هذه الحقبة من تاريخ بغداد والعراق ، وفيها قبل أيضاً ، بعضها غير معروف هذا اليوم وبعضها ظاهر معروف ومن القسم الأول مشهد عون ومعين ببغداد ، ومشهد عبيد الله الباهر ، ومن القسم الثاني مشهد الرفاعي في أم عبيدة » . وأحال في ذكر مشهد عون ومعين على الجزء التاسع من الجامع المختصر أيضاً « ٩ : ١٨٩ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٩٥ [3] » .

---

(١) ذكرنا أنه نقل منه بعد أن هدمت دجلة بانياً منه سنة ٦٤٩ ، وكان نقله بعد أكثر قليلة من ابن الدبيثي أي بعد سنة ٦٢١ فلذلك لم يذكر النقل .

(٢) ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٧٨ » .

(٣) ثلاثة أرقام ورد فيها ذكر « مشهد عون ومعين » وواحد ذكر فيه مشهد عبيد الله . ومشهد عون ومعين قد ذكره ابن جبير في رحلته قال : — ص ٢٢٦ — : « وفي الطريق الى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب =

وقد رجعت الى هذا الجزء الذي كنت قد طبعته كما ذكرت قبل هذا وذلك لشك شككته في الذي نسبه إليه الأستاذ الفاضل من أن فيه « عبيد الله الباهر » . فاذا الخبر كما في الصفحة ٢١٣ من وفيات ٦٠٣ « أبو الفرج بن الحداد ناظر الحلة » توفي في شعبان من هذه السنة ودفن في مشهد عبيد الله ظاهر البلد » . فليس مع قول المؤرخ عبيد الله لقب « الباهر » فكيف استجاز الشيخ الجليل أن يضيف لقب « الباهر » من عنده ؟! يظهر لي أنه أراد أن يضيف شيئاً من لدنه للإيضاح ، وظن أن عبيدالله هو عبدالله العلوي الملقب بالباهر مع أن كلاً منهما كان إنساناً معروف الذاتية والسيرة والزمان ، فعبيد الله الذي هو صاحب القبر المعروف في الخطط والتاريخ بقبر النذور ومشهد النذور مشهد عبيد الله ، هو (عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب) أو (عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب) [1] لاعبيد الله ابن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما ذكر الأستاذ الشبيبي في حاشية الصفحة ٩٧ . وجاء في مناقب بغداد « وقريب من جامع الرصافة قبر فيه بعض أولاد علي ع يتبرك به » ، يقال إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين [2] » . وذكره ياقوت الحموي في مادة « قبر النذور » من معجم البلدان وقال : « مشهد بظاهر بغداد على نصف ميل من السور [3] يزار » . ونقل الحكاية التي ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخه وقد ذُكر فيها أنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وجاء في مراصد الاطلاع

= رضي الله عنه » ، وكان هذا المشهد قرب تربة السيدة سلجوقي خاتون المعروفة بالخلاطية ابنة السلطان قليج أرسلان الثاني السلجوقي ورباطها ، وكانت شمالي الموضع المعروف اليوم بالخضر الياس وقد جرفت الكل دجلة ، وعمرت كثيرا من العمارات معها .

(١) تاريخ بغداد للخطيب « ١ : ١٣٢ » .

(٢) مختصر مناقب بغداد « ص ٣٠ » .

(٣) أعلى السور هو الحائط الأعلى لقلعة بغداد الداخلية التي أقيمت فيها وزارة الدفاع والسور أطلال تظهر في الحديقة المجاورة لوزارة الدفاع من الشمال .

أن القبر « كان أولاً بين دروب بغداد ، وغرب ما حوله وصار في البرية وبينه وبين سور بغداد قريب من نصف فرسخ » . وقد دفنت عنده سنة ٦٨٥ السيدة (رابعة بنت أحمد بن المستعصم بالله) في تربة والدتها [1] ، وتوفيت قبلها والدتها شاه لبنى الأيوبية وكان ذلك سنة ٦٧٨ : ودفنت في التربة التي أنشأتها بجوار مدرستها المعروفة بالمستنصرية ظاهر بغداد عند مشهد عبيدالله [2] . ويعرف قبرها اليوم بقبر أم رابعة في شرقي الأعظمية ، وقد صار بين الدور والدروب كما كان مشهد عبيد الله المجاور له مجاورة تجعل التمييز بينهما متعذراً في هذه الأيام ، مضافاً إلى أن القبر القائم اليوم نسب إلى بعض الزهاد تدليساً على الناس .

وأما عبد الله الباهر لا عبيد الله ، فقد ذكر قبره الجديد ونسبه مؤلف « غاية الاختصار » الذي هو من مراجع الأستاذ الجليل الشبيبي ، ففي الصفحة ٦٦ منه وما قبلها وما بعدها ذكر عبد الله الباهر وآل الباهر العلويين ، وفي آخر ذلك قال المؤلف « قصة طريفة : ظهر ببغداد سنة خمس وسبعين وستمائة بتل الزبيبة [3] (كذا) — وهي علة من محال مدينة السلام — قبر زعم جماعة أنه قبر عبدالله الباهر [4] هذا ، وبنوا عليه الأبنية الجليلة ووضعوا عليه ضريحاً مقصصاً وعلقوا فيه قناديل من الصفر وزاروه وعظموه ونذروا له النذور وها هو اليوم من المشاهد المعتبرة ، يتناول حاصله النقباء وبه الخدم والقوام ، وليس بصحيح ما زعموه فان عبد الله الباهر مات بالمدينة ودفن بها والله أعلم » .

---

(١) كتاب الحوادث « ص ٤٤٩ » .

(٢) المرجع المذكور « ص ٤١٠ » .

(٣) هو تل قريب من الزيبية . وقد تقدمت أول الخبر في الكلام على « الزبيبية » آنفاً .

(٤) جاء في حوادث سنة ٦٧١ من كتاب الحوادث — ص ٣٢٣ — « فيها رأى رجل ببغداد أن بعض أولاد الحسن بن علي — ع — في موضع بقراح أبي الشعم ، فأعلم الناس بذلك ، فنبشوا الموضع فرأوا فيه قبراً ، فتبرع بعض الموسرين وأخرج شيئاً من ماله ، وشرع في عمارته وشاع ذلك ببغداد ، فحضر خلق كثير للزيارة ونذروا له نذوراً صح أكثرها ، فاجتمع من ذلك شيء كثير ، فعمر بالآجر والجص عبد الله الباهر » .

٢٨ — وقال الأستاذ الشيبي الكريم في الصفحة ٩٩ : « ولا بد لنا من القول إن المأمون عاش مع بوران ثمانية عشرة [١] سنة فقط غير أن بوران بقيت بعده أكثر من أربعين سنة ... » .

قلت : لقد كان للأستاذ مندوحة من القول المذكور ، وذلك بأن يقول إن المأمون تزوجها سنة ٢٠٢ ودخل بها سنة ٢١٠ لأن بوران عاشت مع المأمون ثماني سنوات فقط ثم توفي عنها ، قال أبو جعفر الطبري في حوادث سنة (٢١٠) :

« وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل في شهر رمضان منها » [٢] ثم قال في حوادث سنة ٢١٨ : « وفي هذه السنة توفي المأمون [٣] » .

٢٩ — وجاء في الصفحة ١٠٩ قول الاستاذ نقلاً من كتاب الحوادث لسنة ٦٣٤ — ص ٨٩ — : « وفي رابع [٤] عشره عملت دعوة بالمدرسة المستنصرية وحضر (الأمير نور الدين أرسلان شاه) إليها وجلس على طرف إيوانها الصغير ، وفرقت الربعات وقرئت الختمات وذكر المدرسون بها الدروس. ثم قال : هذا وقد استعملت في العراق بعد ذلك « الربعة » بمعنى « الختمة » وتجمع على ربعات والربعة في الأصل جونة العطار » . وقال في الحاشية : « راجع عن أصل كلمة الربعة والختمة (أصول ألفاظ اللهجة العراقية) للمؤلف ٥٣ — ٥٥ » ، يعني رسالته المعروفة الناقصة .

---

(١) كذا ورد والصواب « ثماني عشرة » وعلى ضعف « ثمان عشرة » ، فالمذكور في المتن خطأ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك « ١٠ : ٢٧١ طبعة المطبعة الحسينية بالقاهرة » .

(٣) المرجع المذكور « ص ٢٩٣ » . وترجمة بوران في الوفيات « ١ : ١٠٠ » وغيره .

(٤) في الأصل « وفي رابع عشريه » وهو الصواب أي الرابع والعشرين ، والمتأخرون يضيفون الهاء ويحذفون النون للاضافة .

(٥) نقل الفعل وجعله مبنياً للمعلوم بلا وجه محتمل فالصواب بناؤه للمجهول .

وقد رجعت إلى الكتاب المذكور فوجدته قد نقل من كتاب (فرحة الغري) شاهدين يدلان على أن « الختمة » استعملت بمعنى الربعة ، إلا أنه ذكر في تلك الشواهد ما نقلناه آنفاً من خبر نور الدين أرسلان شاه ، وليس فيه شهادة فقد قال المؤرخ : « فرقت الربعات وقرئت الختمات » . فلو أراد ان الختمة هي الربعة لاكتفى بأن يقول « وفرقت الختمات وقرئت » أو « وفرقت وقرئت الختمات » ، فالعطف هناك يفيد التغاير ، وبهذا التغاير يحصل مُراد القائل ، لأن معنى العبارة « وفرقت أجزاء القرآن وقرئت الختمات بها » .

٣٠ — ونتكلم في الصفحة ١١١ على كتاب « الحوادث » قال : « تعود حوادث القسم المفقود إلى شطر من خلافة المستنصر العباسي [1] وفي أيامه تمّ تعزيز الصلات بين دار الخلافة ومظفر الدين كوكبري صاحب إربل ، يدلنا على ذلك الحفاوة البالغة التي قوبل بها صاحب إربل لما زار بغداد سنة ٦٢٨ ... » . والصحيح أنّ تعزيز العلاقات تمّ على عهد الخليفة الناصر لدين الله الذي كانت ملوك الأطراف وأمراؤها تتوخى أنواع الذرائع لخدمته والتقرب اليه ، فقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٢ تجهيز الخليفة الناصر لدين الله الجيوش لمحاربة الأمير مشكلي العاصي في بلاد الجبل وما حولها . قال ابن الأثير : « وأرسل الناصر إلى مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك — وهو إذ ذاك صاحب إربل وشهرزور وأعمالها — يأمره أن يحضر بعساكره وليكون مقدم العساكر جميعها وإليه الرجوع في الحرب ، فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة [2] » .

---

(١) بل تتجاوزها إلى قسم من خلافة الناصر لدين الله فقد قال مؤلف الحوادث في ترجمة الأمير بانكين الزوي المتوفى سنة (٦٤٠) — ١٨٢ — : « وله نظم حسن منسه ما قاله حين قتل ابنه معروف بتل المقبر في بطائح واسط وكان حاضراً الوقعة وقد تقدم ذكرها » والحادثة كانت سنة ٦١٦ كما في الكامل لعز الدين بن الأثير . هذا وأكثر ما يستعمل الشطر النصف .

(٢) الكامل « ج ١٢ ص ١١٨ سنة ٦١٢ » .

ولا يخفى على السياسي معنى قول ابن الأثير « بأمره » مع أنه — أعني ابن الأثير — كان من المنحرفين عن الخليفة الناصر لدين الله ، وقد ذكر مضمون هـــذا الخبر ابن تغري بردي [1] ، ثم ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٧ أنه « وصلت كتب الخليفة [الناصر] ورسله الى الموصل والى مظفر الدين بأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا الثغر فانهم وبما عدلوا من جبال إربل لصعوبتها إلى هذه الناحية ويطرقون العراق ، فسار مظفر الدين من إربل في سفر وسار إليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من التعاوعة كثير [2] ... » ، فهذا يدل على الانضواء التام إلى حكم الخلافة العباسية ، أما الجفاوة البالغة المشار إليها فردها إلى ذلك الانضواء القديم ووعد مظفر الدين بتسليم بلاده الى الخليفة المستنصر إذا مات ، كما يدل عليه مجرى الحوادث والتواريخ .

٣١ — وقال في الصفحة ١١٢ في حاشيتها يعني كتاب الحوادث : « وأدخلت في أخبار سنة ٦٥٣ وفاة جلال الدين بن السلطان الملك الصالح أيوب والصحيح ما جاء في تاريخ أبي الفداء من أنه توفي سنة ٦٤٢ راجع التاريخ المذكور ٣ : ١٧٣ » . وليس ذلك بصحيح فقد تنبهت الى هذا الخلط في أثناء طبعي لكتاب الحوادث ، وفي الصفحة ٢٧٩ منه كتبت ما هذا نصه « تتمة أخبار سنة ٦٤٣ » على أنّ الصحيح هو أنها تتمة أخبار سنة ٦٤٢ ، وقد جاء تابعاً لحوادث سنة ٦٤٣ قول مؤلف الكتاب في الصفحة ٢٩٣ : « وفي هذه السنة توفي جلال الدين عمر ابن السلطان الملك الصالح أيوب [3] ... » .

---

(١) النجوم الزاهرة ، ٦ : ٢١٢ » .

(٢) الكامل ، ١٢ : ١٤٦ » .

(٣) وفي الصفحة التي تلي هذه الصفحة أضفت ما هذا نصه « تتمة حوادث ســـنة ٦٥٣ » والصواب ســـنة ٦٥٤ ، على أن الأستاذ الدجيلي قال في الحاشية أيضاً : « أنظر ١٩٦ وقارن بينها وبين الأخبار في ٢٧٩ وما يليها من الصفحات إلى صفحة ٢٩٤ ففي هذه الصفحات حوادث ٦٤١ (كذا والصحيح ٦٤٣) وقد وضعت في حوادث سنة ٦٩٣ (كذا والصواب ٦٥٣) ... » . فقد نبه على أشياء كنت قد نبهت عليها في نسختي المطبوعة بعشراتي قبل سبع وعشرين سنة !! ولو قد كان نبه على ما في النسخة المخطوطة من من التشويش قبل الطبع لاختص بالتنبيه .

٣٢ — وقال في الصفحة ١٢١ بعد إشارته الى أمين الدين ياقوت الملكي الكاتب : « هذا ومن الكتب التي خلط مؤلفوها فيها بين ياقوت المستعصمي وياقوت الملكي ، وكلاهما من الخطاطين المشاركين بالاسم ، منتخب علماء بغداد للسلامي (٢٢٣) وشذرات الذهب لابن العماد » . وقال في الحاشية : « ونجد لأمين الدين ياقوت الملكي هذا ذكراً في المنتظم لابن الجوزي ٨ : ١٠ وفي معجم الأدباء للحموي ... » .

قلت : لم يخلط مؤلف منتخب علماء بغداد ابن رافع السلامي[1] بين ياقوت الملكي وياقوت المستعصمي ، وإنما تغير لقب ياقوت المستعصمي جمال الدين إلى « كمال الدين » على أيدي النُساخ كما فعلوا بلقب كمال الدين لابن الفوطي فصيروه « جمال الدين » أحياناً ، على أن المؤرخ المذكور لم يلقبه « أمين الدين » حتى تصح نسبة الخلط إليه ، قال — ٢٣٣ — : « ياقوت ابن عبدالله الرومي المستعصمي أبو الدر الملقب كمال الدين الكاتب ، كان بارعاً في علم الأدب ، مليح الشعر والخط ، كتب عليه خلق من أولاد الأكابر وكان محترماً معظماً ، كتب عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شامة ببغداد قطعة من شعره ، منه :

صَدَقْتُمُ فيّ الوشاةَ وقد مضى ... في حُبِّكم عُمري وفي تكذيبها
وزعمتمُ أني مَلِلتُ صدودَكم ... من ذا يملُّ من الحياة وطيبها ؟ !

تقدّم عندي بهذين البيتين في ترجمة صنجر [2] مولى ياقوت هذا . ومن شعره :

وعدتَ أن تزور ليلاً فألوَتْ ... وأتت في النهار تسحب ذيلا

(١) إنما اعتمدناه مؤلفه لأنه مؤلف الأصل وأما تقي الدين الفاسي فانتخب منه .

(٢) هذا من كلام ابن رافع ، غير أن التقي الفاسي لم ينتخب ترجمة « صنجر مولى ياقوت المستعصمي » في منتخبه ، قال ابن حبيب الحلبي في وفيات سنة ٧٢١ : « وفيها توفي الشيخ علم الدين صنجر بن عبد الله الرومي ، كاتب بجوه ... كتب على مولاه ياقوت المستعصمي ... ومن إنشاده لمولاه المذكور : صدقتم في الوشاة وقد مضى ... » . « درة الأسلاك في دولة الأتراك ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٧١٩ الورقة ١٦٥ » .

قلت هلا صدقت في الوعد قالت كيف صدّقت أن ترى الشمس ليلا».

وأما قول الأستاذ : « ونجد لأمين الدين ياقوت الملكي هذا ذكراً في المنتظم لابن المنتظم لابن الجوزي ٨ : ١٠ » فليس بصواب لأن المذكور في تلك الصفحة من المنتظم هو أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب الكبير ، وبينه وبين ياقوت من الزمان (مائتا سنة فقط). وقد أتى الأستاذ مثل هذا السهو من قبل ، فقد قال في رسالته « أصول اللهجة العراقية — ص ١٠٠ — في التعليق على مزيد الخشكري الشاعر : « ونجد للشاعر المذكور ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي » . وليس في فوات الوفيات لمزيد الخشكري ترجمة قط .

٣٣ — وقال في الصفحة ١٢٥ محاولاً أن يثبت أنّ كتاب الحوادث هو (الحوادث الجامعة) : « يبدو لنا من تصفح كتاب الحوادث أنه من المؤلفات التي تم وضعُها كلاً أو بعضاً في أذربيجان أو تبريز ويستفاد من بعض مواضع هذا الكتاب أن مؤلفه عاش أيضاً في تبريز فانه يروي أخبار تبريز ووقائعها رواية التزيل المقيم في الحاضرة المذكورة [1] . ومن ذلك ما جاء في أخبار سنة ٦٨٨ وهذا نصه : وفيها وجد في الخزانة المحمولة في بغداد الى الأوردو المعظم كيس فلوس ، فتقدم بالفحص عن ذلك ، فظهر أن بعض حراس الديوان فعل ذلك فأمر بصلبه فصلب » .

قال الأستاذ ذلك ليتدرج الى أن الرجل الذي كان في تبريز وهو يسجل مثل هذا الحدث هو ابن الفوطيّ ، فأما أورد للاستاذ الجليل أن ابن الفوطي كان في أيام حدوث هذا الحدث

(١) أشار بذلك على كتاب الحوادث (ص ٤٦٠) ولعله أراد الصفحة « ٤٢٢ » ففيها خبر إحداث الأوراق المالية بتبريز سنة ٦٩٣ قال : وفيها وضع صدر الدين صاحب ديوان المالك بتبريز الجاو وهو كاغد عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم وأمر الناس أن يتعاملوا به . وليس في هذا الكلام ولا فيما بعده ما يدل على مراد الأستاذ الجليل ، فالمؤرخ لم يقل « رأيت » ولا « علمت » ولا « أعطيت » ولا « أخذت » ولا « أيام كوني بتبريز » ولا ما جرى هذا المجرى .

ببغداد فقد جاء في الورقة (١٢٠) من النسخة المصورة في مديرية الآثار من تلخيص معجم الألقاب في ترجمة أحمد الأصبهاني : « سيد كبير ، وشيخ خطير ، قدم علينا حاجاً في سنة ثمان وثمانين وستمائة ونزل عندنا بمحلة الخاتونية ، واجتمع اليه الفقراء والغرباء من أهل شيراز واصبهان ويزد وغيرها من بلاد العجم » ، فان صح قول الاستاذ الجليل وهو غير صحيح استعمال منه أن يكون ابن الفوطي مؤلف كتاب الحوادث المذكور .

وكان ابن الفوطي سنة ٦٨٧ في بغداد أيضاً قال في ترجمة كمال الدين أحمد بن هبة الله الخالنجاني : « قدم بغداد سنة سبع وثمانين وستمائة وأخذ من خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية كتاب المصابيح لمحيي السنة ... » .

فالتسرع في الأحكام والاعتماد على مثل تلك الظواهر الخادعة لا يؤدي الى التأكيد ولا الى الصواب ، والعبرة في مثل هذا أن يستدل بأدلة واضحة موضحة ، لا بأمور عامة لا خصوص فيها ولا تعيين مما يجوز فيه للمؤرخ أن ينقله عن غيره .

٣٤ — وتطرّق — حفظه الله — في الصفحة ١٣١ إلى ذكر سيرة موفق الدين عبدالقاهر ابن الفوطي الأديب الشاعر ، وقصيدته البائية في التثويب والتعريب على شيخه المدل مجدالدين أبي القاسم هبة الله بن المسوري العباسي الصوفي الخطيب حين وُلي نقابة نقباء العباسيين سنة (٦٣٠) على عهد الخليفة المستنصر بالله ، وأشار الى أن لقصيدته دلالة بالغة على وجود ضرب من النقد السياسي اللاذع ببغداد ، والحقيقة أننا في مثل هذه الحال ينبغي لنا أن ننظر إلى القائل والقول فيه ، والهاجي والمهجو ، وإلى أسباب القول والهجو ، إن المهجو شيخ زاهد صوفي عباسيّ دُعي الى منصب ديني رفيع استحق إلى مثله قديماً الشريفان الرضي والمرتضى وغيرهما من أعلام الامة ، فأي بأس في توليه إياه والقضاء بين طائفة من الامة ؟ وأما الهاجي[1] فقد ذكرنا ترجمته من تاريخ أبي الحسن الخزرجي الذي ينقل فيه من تاريخ ابن الساعي في مثل هذا الشأن ، وقد جاء في ترجمته أنه « لم يخدم قط في خدمة إلا عادى رفيقه » وقد خالف موفق الدين بذلك

(١) تقدمنا ذكره في الصفحة « ٤٠١ » .

الحديث النبوي الشريف « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » . وقد تولى هو كتابة « ديوان عرض الجيش » فماذا قبل الخدمة وهو يعيب من دخل فيها وصفا إليها !! ومع توليه ذلك المنصب أنشأ قصيدة لم يترك أحداً من كبار رجال الدولة إلا هجاه بها حتى الشيخ صدر الدين علي بن النيار شيخ الخليفة المستعصم بالله ، وفيها يقول :

يا سائلي ولمحض الخير يرتاد أصغ فعندي نشدان وإنشاد [1]

وهجا الوزير ابن العلقمي قال :

أما الوزير فمشغول بعنبره والعارضان فنسّاج ومدّادُ
وحاجب الباب طوراً شارب ثمل وتارة هو جُنكيٌّ وعوّادُ
ومشرف الدست مثرى بالقواط له في كل زاوية رِمْلٌ وقواد [2]

وقال في صدر الدين النيار شيخ الشيوخ الذي رفض الوزارة سدكاً منه بتصوفه وزهادته :

وشيخ الاسلام صدر الدين همته منصورة لمطام السعد تصطاد
غثه في اللؤم آباء سواسية ما سودوا في الورى يوماً ولا سادوا

وقال في منصور بن عباس الدجيلي من كبار أرباب الدولة أيضاً :

وابن عباس مثرىً بالقواط له في كل ناحيـــة رمل وقواد

الى أن يقول فيها :

أين النبية مني كي تساورني فللنبية إصـــدار وإيرادُ [3]

وقد ساورته النية بعد سنة من نظمه هذه القصيدة فقتل صبراً كما مرّ ، لأنه كان من رجال

---

(١) نسب مؤلف الحوادث هذه القصيدة الى مجد الدين اسماعيل النشابي وذلك من أوهامه « الحوادث ص ٣٢٩ » وهذا يدل على نقله من عدة تواريخ .

(٢) سيأتي أن هذا البيت في هجو منصور بن عباس الدجيلي .

(٣) المسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ١٨٩ » .

الدولة الذين صدر عليهم الحكم بالاعدام : إعدام الروح . فهذه هي القصيدة السياسية في الحقيقة ولكن قائلها كان مقنعاً . وقد جاء في الحديث كما في الفائق ١ : ٣٢٣ « من قال في الاسلام شعراً مقذعاً فلسانه هدر » .

٣٥ — وقال في الصفحة ١٣٧ : « اشتهر في أواخر أيام الدولة العباسية دوادارات أولها الدوادار الكبير وهو علاء الدين الطبرس الظاهري [1] ، كان دوادار الخليفة الظاهر ، حظياً عنده ، فلما استخلف المستنصر بعد الظاهر ثابر على تقديمه وتقريبه وزوّجه ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كما تزوج أختها ابنه الدوادار الصغير مجاهد الدين في خلافة المستنصر » .

قلت : الصحيح أن الدويدار الصغير مجاهد الدين أبا المباهن أبيك المستنصري لم يكن ابن الدوادار الكبير ، ولم يقل هذا أحد سوى الأستاذ الشيبي ، وقد أكد سهوه في الصفحة التالية لتلك بقوله : « وقد مات علاء الدين الدوادار الكبير عن ولدين أشهرهما مجاهد الدين الدوادار الصغير » . والظاهر أنه رأى في عقب ترجمة علاء الدين الطبرس هذا قول المؤرخ : « وتقدم بتأمير ولده شرف الدين وولد مجاهد الدين أبيك الدويدار الصغير وخلع عليهما [2] ». فحسب أن في الطبع غلطاً وأن الاصل « وتقدم بتأمير ولده شرف الدين وولده مجاهد الدين أبيك ... » ، وفيما أنا ناقله من الأخبار فيما يأتي بيان لما أصلحت ، جاء في أخبار سنة (٦٥٠) ما هذا بعضه « وفي شهر [3] ربيع الآخر كان ختان الأمير الصغير أبي المناقب المبارك [4] بن

---

(١) له ترجمة في الحوادث « ص ٢٦٤ » مع أخبار ، وكذلك في كتاب النهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي والمسجد المسبوك لأبي الحسن المخزومي .

(٢) الحوادث « ص ٢٦٦ » .

(٣) لم يعثر مؤلف الحوادث على هذا الخبر النفيس ولذلك خلا منه كتابه .

(٤) قال ابن تغري بردي في النهل الصافي : « مبارك بن عبد الله بن منصور الأمير أبو المناقب ابن أمير المؤمنين المستعصم بالله العباسي آخر خلفاء بغداد ، روى عن أبيه وروى عنه ابن الفوطي وغيره ، ولما مات احتفل لجنازته أهل بغداد ورثاه الشعراء ، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين وستمائة — ر ح — » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٢٤ الورقة ٦١ » .

الامام المستعصم بالله ، واستدعي الجماعة الذين خُتنوا معه وهم الأمير أبو جعفر منصور ابن الأمير السيد أبي القاسم عبد العزيز ابن الامام المستنصر بالله و [جلال الدين] كشلوخان ابن الدويدار الصغير أبيك المستنصري ، والأميران عبدالله واسحاق ابنا الدويدار الكبير الطبرس الظاهري ، وزنكي ابن الأمير محمد بن قيران إلى دار أبيه ونفذ مع ابن أخي الخليفة صندوق به من فاخر الثياب والزركش ما قيمته ثلاثة آلاف دينار وسبعة أكياس فيها سبعة آلاف دينار ونفذ مع ولد الدويدار الصغير صندوق فيه ستة آلاف دينار وما قيمته ألف دينار ثم مع ولدي الدويدار الكبير كذلك ثم مع ولد ابن قيران صندوق فيه ألف دينار وثياب تناسب ذلك ثم خلع على الطبيب وعلى بواب دار التشريفات وعلى وكيل الخدمة وعمت الخلع والبار خلقاً كثيراً ثم مُرضت النهاني والدائح وهي كثيرة [1] ... » .

هذا وقد كان في قدرة الأستاذ الجليل أن يتحقق هذا الأمر برجوعه الى ترجمة مجاهدالدين الدويدار الصغير في تلخيص معجم الألقاب ، فقد ذكر ابن الفوطي أنّ أباه « عبد الله » وهو اسم عام لوالد كل مجهول الأب من المماليك المسلمين المتأخرين ، وكلّ من لا يريد ذكر اسم أبيه منهم ، قال ابن الفوطي : « مجاهدالدين [2] حسام الدين (كذا) أبو اليامن أيبك بن

---

(١) المسجد المسبوك « نسخة المجمع المصورة ، الورقة ١٧٩) .

(٢) قال الخزرجي : « وممن قتل صبراً من أعيان الأمراء وأكابر الزعماء مجاهد الدين أبو اليامن أيبك الدويدار المستنصري ، وكان ممن رزق السعادة في دنياه . ولما رغب بدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل اليه في الوصلة عظم شأنه وارتفع مكانه ، وملك جزيل الأمور من العين والرقيق والدواب والعقار والبساتين والضياع مما يتعذر ضبطه على الحساب ، وفي ليلة بنائه بزوجته نفذ الى داره من أواني الذهب والفضة والثياب والجواهر ما يزيد على ثلاثمائة الف دينار ، وأنعم عليه في صبيحة تلك الليلة التي دخل فيها بزوجته ثلاثمائة الف دينار عيناً الى غير ذلك مما يطول ذكره ويتعذر وصفه . وبلغ من الجاه العريض والحرمة الوافرة حتى انه كان يترفع على وزير الدولة الذي هو نائب الخلافة وعلى شرف الدين إقبال الشرابي الذي كان مقدم العسكر ، ولم يركب الى أحد سوى الخليفة ، وكان جماعة من أكابر الزعماء وأرباب المهام وأصحاب الكوسات والاعلام يقصدونه في داره خدمة وتقرباً اليه وكان يصل اليه من إقطاعاته وأملاكه ومزارعاته زيادة على خمسمائة الف دينار ، وقتل وقد جاوز عمره ثمانين (كذا) سنة » . « المسجد المسبوك ، الورقة ١٩١ » .

عبدالله الجركسي المستنصري الدواتي، أمير الأمراء . كان دواتي الأمير (كذا) المستنصر بالله وأخص خواصه ، بلغ من التقدم ما لم يبلغه أحد من أبناء جنسه، فانه لم يزل منذ أشير له (كذا) الى أن مات مولاه في رفعة ومنعة وزيادة ومنعة ، وكان متيقظاً ملازماً لسدته . وزوّجه بابنة السلطان بدرالدين لؤلؤ سنة اثنتين وثلاثين [وستمائة] وسلطانه وخلع عليه من مفاخر ملابسه (كذا) وقلده بسيف بحلية الذهب والجوهر النفيس ، ورفع خلفه من السلاح المجوهر والألوية والأعلام ، ورتب أمير الحاج في أيام المستعصم بالله لما حجت والدته سنة إحدى وأربعين [وستمائة] ... وفي سنة ست وخمسين [وستمائة] لما نزل هولاكو على بغداد أخذ الأموال والجواهر وأراد أن ينحدر في سفينة فاستولى المغول عليها . وكان قد عبر الى الجانب الغربي مع الأمراء وكسر المغول وأشار عليه أهل المعرفة بالرجوع الى بغداد فلم يلتفت وكانت الكسرة عليهم . وقتل مجاهد الدين وأنفذ رأسه الى الموصل ، وإليه تنسب المدرسة المجاهدية ببغداد [1] » .

وقال ابن تغري بردي : « أي بك بن عبدالله الدوادار الملك المجاهد سيف الدين (كذا) ، مقدم جيوش العراق ، كان خصيصاً عند الخليفة المستعصم بالله العباسي وكان يقول : لو مسكني الخليفة لقهرت هولاكو . وكان أي بك المذكور مغرماً بالكيمياء ، كان في داره عدة رجال يعملون هذه الصنعة ولا صحت منه أبداً (كذا) وأتلف على هذا المعنى جملة مستكثرة ، قدر ما كان يحصل له لو صحت منه . ودام الملك المجاهد أي بك هذا في عزه الى أن مات مقتولاً بيد التتار صبراً في سنة ست وخمسين وستمائة ، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً جواداً موصوفاً بالكرم والرأي الجيد والتدبير [2] ... » .

ثم قال هذا المؤرخ الذي مع بُعد بلاده فصّل هذا الضرب من أخبار بغداد والعراق احسن من مؤلف الحوادث : « وفي يوم الأحد سادس شهر ربيع الآخر [من سنة ٦٥٠] استدعي

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « الترجمة ١٢٠ من المليم من الجزء الخامس » .

(٢) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي « النسخة المذكورة ٢٠٦٩ الورقة ٢٨ » .

الجلال [1] كشلوخان ابن الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير إلى دار الوزير [مؤيد الدين ابن العلقمي] وشرف بالامارة وخلع عليه قباء أطلس بقطن ، وسربوش كبير شاهي وأعطي [2] فرساً بمركب ذهب وغاشية حمراء وركاوه (كذا) ورفع وراءه سيفان أحضرا من المخزن سوى ما أحضر له من دار أبيه من السيوف والدرباشات ، وتوجه الى دراهم في جمع عظيم ، ونثر عليه ذهب في عدة مواضع وكان عمره يومئذ تسع سنين . وفي يوم الثلاثاء الخامس عشر استدعي ولدا الأمير علاء الدين الطبرس الظاهري الى دار الوزير وهما الركن عبد الله والشرف إسحاق وخلع عليهما خلعة الامارة وألحقا بالزعماء ، وأعطيا فرسين وعدتين كاملتين ورفع وراءهما أسلحة وكانا جميلين في غاية من الحسن [3] » .

وكان للأمير الطبرس ابن ثالث هو فلك الدين محمد وقد ذكرنا أن هولاكو قتله صبراً بعد استيلائه على بغداد سنة ٦٥٦ ونقلنا من كتاب الحوادث أنه قتل في الحرب .

وفي هذا ما يكفي في إثبات أن الأمير أيبك الدويدار الصغير [4] لا قرابة له مع الطبرس الدويدار الكبير ، وإنما وصف كل منهما بما وصف به ، من أجل اختلاف أسنانهما ، وفي إثبات أنّ للأمير الدويدار الكبير ثلاثة أبناء هم ركن الدين عبدالله وفلك الدين محمد وشرف الدين إسحاق ، وكان هذا التصحيح من أوجب التصحيحات لما في بقاء الخطأ على حاله من إبهام للمراجعين والمقتبسين ، ومثل هذا الوهم أو قريب منه ما ذكره الأستاذ الجليل في رسالة ابن

---

(١) يعني « جلال الدين » وسيأتي الركن بمعنى وكن الدين والشرف بمعنى شمس الدين ، وهو من الاختصارات الاصطلاحية لاقامة أل في الظاهر للمعروف مقام المضاف اليه .

(٢) يجوز « وأعطي » أي أركب إلا أن ما يأتي في الخبر الثاني يحتم ذلك .

(٣) المسجد المسبوك « الورقة ١٨٠ » . وتأمل قوله « وكانا جميلين ... » .

(٤) نقلنا قول ابن تغري بردي في ترجمة أيبك الدويدار الصغير : « أي بلك بن عبدالله الدوادار الملك المجاهد .. مقدم جيوش العراق وكان خصيصاً عند الخليفة المستعصم بالله العباسي » . « نسخة باريس ، الورقة ٢٨ » . ولم يقل لأيبك بن علاء الدين الطبرس وعبد الله عندهم هو اسم الأب لمن لم يعرف اسم أبيه أو من ترك اسم أبيه من المماليك كما ذكرنا قبلا .

الفوطي المروفة المطبوعة بمطبعة الجزيرة سنة ١٣٥٩ = ١٩٤٠ فقد جاء في الصفحة الرابعة منها قول الاستاذ : « وفتك أرغون بآل الجويني واستأصلهم لكونهم من حزب أخيه السلطان أحمد » ، ولم يكن السلطان أحمد تكدار أخا أرغون بل عمه ، فهو أحمد تكدار بن هولاكو ابن تولي بن جنكيزخان ، وذاك أرغون بن أباقا بن هولاكو . وجاء في الصفحة المذكورة بعينها قوله : « هذه هي الروايات التي شاهدها ابن الفوطي... وقد شاهد مثلها في العصر الثاني ما بين أيام غازان الى أيام حفيده أبي سعيد » . ولم يكن أبو سعيد بهادرخان حفيداً لغازان بن أرغون بن أباقا بل كان ابن أخيه محمد أولجايتو المعروف بخربنده ، فهو أبو سعيد بن خربنده بن أرغون ابن أباقا بن هولاكو .

٣٦ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ١٣٩ : « وهذا وقد بقي مؤرخنا ابن الفوطي معنياً على عادته بتاريخ هذه الأسرة [أسرة الدوادار] طبقة بعد طبقة فانه أشار الى اتصال وجيه تركي باحدى حفيدات الدوادار الكبير وشقيقات مجاهد الدين وهي من بنات فلك الدين محمد بن الدوادار الكبير » .

قلت : ذكر الشيخ الجليل آنفاً أن الدوادار الصغير مجاهد الدين هو أخو الدوادار الكبير — وقد بينا غلط هذا القول — فان كانت هذه السيدة بنت فلك الدين محمد بن الدوادار الكبير الذي هو ابن أخي مجاهد الدين الدوادار الصغير (عند الأستاذ الشيبي ورأيه) فكيف تكون شقيقة لعم أبيها !! وقد صحح الأستاذ هذا القول (ص ٣٥٩) بأن جعل كلمة « قريبات » مكان « شقيقات » فبقي على الخطأ الأول ، لأنها لم تكن قط من قريباته ، وقد كرر خطأ النسب هذا في « ص ١٨٢ » .

٣٧ — وقال في الصفحتين ١٤٠ ، ١٤١ : « وأعقب ذلك [أعقب هرب جلال الدين كشلوخان ابن مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير من العراق الى الشام] محاولة جديدة حاولها خصوم علاء الدين الجويني صاحب الديوان لأخذه واعتقاله وحمله الى أذربيجان وعرض أمره

على السلطان [هولاكو] بتهمة مواطأته مع جلال الدين ، وكان التحقيق الذي أشرف عليه السلطان بنفسه أسفر عن براءته ، وكان لأخيه الصاحب شمس الدين وهو بأذربيجان مسعى محمود في خلاص أخيه ، فأعيد علاء الدين الى قاعدته في بغداد ، لايخامرنا أدنى شك في أن التهمة التي نسبت الى الجويني في هذه الحادثة هي الاتصال بملوك مصر والشام ، وفي سيرة الصاحب علاء الدين الجويني كل ما يدل على التفكير الموثيق الطغاة من حكام المغول وإعادة الامم الاسلامية المغلوبة على أمرها في الشرق الى العيش في ظل راية إسلامية ... وعُزل شحنة بغداد الذي قبض على الجويني ناسباً إليه تلك التهم الخطيرة ... » .

قلت : هذا ركام من التاريخ ينبغي لي بناؤه ونفي الغث عنه ، وتحرير ذلك أنه في سنة ٦٥٨ اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين عمر القزويني ونجم الدين أحمد بن عمران الباجسري وأتباعهم، وهم من حكام العراق وصدوره ، على قصد السلطان هولاكو ، وهو إذ ذاك في بلاد الشام، ورفعوا على صاحب ديوان العراق علاء الدين عطا ملك الجويني أشياء اعتمدها ، وكتبوا في رفيعتهم (أي تقريرهم) المبالغ التي استوهبها من أموال العراق ، وحمل علاء الدين الى السلطان هولاكو فأمر باعادته معهم للتحقيق في التهم المسندة إليه في المدينة التي قالوا إنه ارتكبها فيها وهي بغداد ، فقوبل على ذلك وحوكم ، فثبت عليه ما نسب اليه ، فأنهوا صحة التهمة إلى هولاكو فأمر بقتله ، فسئل العفو عنه فأمر بالاجتزاء بحلق لحيته — يوم كان حلق اللحية دون الاعدام — فحلقت لحيته وأعيد الى منصبه فكان يجلس في الديوان ويستر وجهه [1] » .

وليس في نص هذا الخبر المنقول في كتاب الحوادث ما يدل على اتهام علاء الدين الجويني بالاتصال بملوك مصر والشام ، وها هنا لايجوز أن يقال : هذا استنباط لأن المؤرخ لم يصرح . فليست هذه أول تهمة يتهم بها علاء الدين في احتجان الأموال أو المخامرة ، ففي سنة ٦٦٢ قبض قرابوغا شحنة بغداد والعراق على علاء الدين الجويني واعتقله ونسب إليه أشياء قد عزم على أن يعتمدها ، فأرسل الى أخيه الصاحب شمس الدين وهو بأذربيجان ، يعرّفه ذلك ، فعرض أمره

(١) يراجع في معرفة أصل الخبر كتاب الحوادث « ص ٣٤٣ » .

على السلطان فأمر بحمله الى بين يديه ، على اختياره ، ومعه كل من قال عنه ونسب إليه] وسعى به إلى قرابوغا ، تحت الاستظهار ، فلما وصلوا وعمل له الياوغو ، وهو المحاكمة التترية ، لم يثبت على علاء الدين ما نسب اليه ، فأمر هولاكو بقتل من سعى به وعزل قرابوغا عن العراق ، وأعيد علاء الدين على قاعدته فى الحكم الى بغداد [1] . فمزل الشحنة كان فى التهمة الثانية .

والاتهام الثالث كان فى عهد السلطان أباقا بن هولاكو سنة ٦٧٢ فقد طلب علاء الدين إلى الأردو أي معسكر السلطان للمقابلة على ما نسب إليه من مكاتبة سلطان مصر والشام فحمل إلى هناك ، وتوبل على ما نسب إليه فظهر كذب القائل عنه ، فأمر السلطان أباقا بقتله فقتل وحملت أطرافه الى البلاد ، وكتب علاء الدين كتاباً فيه بشرى لأهل العراق ببراءته من التهمة والتزوير والاختلاق عليه [2] .

والاتهام الرابع كان فى السنة المذكورة بعينها وقد برىء منه أيضاً [3] ، هذا وإن ربط الأستاذ الجليل اتهام صاحب الديوان علاء الدين الجويني بقضية جلال الدين كشلوخان بن الدويدار الصغير لم يُحل فيه على كتاب فالظاهر أنه استنباط كاستنباطاته الأخرى ، وقد راجعتُ الكتاب الذي استمد أكثر هذا الجزء منه وهو كتاب « الحوادث » — ٣٥٠ — الذي أشرت إلى طبعي إياه ، فلم أجد فى قصة جلال الدين بن الدويدار الصغير فيه ما يشير إلى ذلك ولا ما يشعر به ويفيده ولا ما يرمز إليه ، ورجعتُ إلى ما ذكره غيره فى شأنه كابن فضل الله العمري الأديب العلامة فلم أجده ، قال : « ثم لما جرى على بغداد ما أجرى العيون دماً ، وأسال النفوس أسفاً استأثر هولاكو بجلال الدين ابن الدوادار الخليفتي [4] المستعصمي واتخذه هولاكو

(١) كتاب الحوادث « ص ٣٥٢ » .

(٢) الحوادث (ص ٣٩٨ — ٤٠١ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ٤٠١ — ٤٠٣ » .

(٤) اصطلح المؤرخون المتأخرون على النسبة الى ذي تاء التأنيث من غير حذفهـا ، كقولهم « الجيش الخليفتي » و « الفرقة اللامتية » ، و « المدرسة التتنية » و « المدرسة العصمية » .

موضع رأيه ، ومكان سرّه ، فلما كسر هولاكو وتضعضعت أركان جيشه ، كما ذكرنا ، شكا إلى جلال الدين بن الدوادار ما أصابه من الكسرة وفناء جنوده ، فقال جلال الدين : عندي عسكر جيد خير من هؤلاء . قال هولاكو : مَن هم ؟ قال : عسكر الخليفة فان ابن العلقمي قطعهم [1] ، وإلا فهم أحياء موجودون وأنا أجيبهم (كذا) إليك . فأعجب هولاكو كلامه ووقع منه موقعاً حسناً ، وكتب له برالبغ [2] مضمونها : (إنما قد جهّزنا جلال الدين بن الدوادار في شغل مهم ورسمنا له بما يفعل ، ورسومنا أن تمتثل جميع الخواتين والأمراء والنواب والقراولات وكافة الناس أمر جلال الدين المذكور وأنه متى شاء فعل ، يقتل من يريد ، ويُخلي من يريد ، وأن لا يعارض في أمر من الأمور ولا يعترض عليه بسبب من الأسباب) ومن هذا ومثله . فتوجه جلال الدين وحط يده في كل مَن بقي بحدّه من أمراء المغل (المغول) وأكابرهم والمقربين عند هولاكو ، فعمل فيهم ما أراد ، وفتك فيهم أنواع الفتك حتى وصل الى بغداد واستعد فيها لما يريد أن يعمله ، وأخذ منها ما أراد ومن أراد ودخل البرية هارباً من هولاكو على عزم الوصول إلى مملكة مصر ، فأدركه أجله قبل الوصول إليها . وبلغ هولاكو ما فعله جلال الدين بالمغل من الفتك والقتل والتنكيل ثم ما أخذه من بعده وخرج هارباً منه ، فانفطرت كبده ومات غيظاً منه » .

فهذا الخبر ، مع ما فيه من التهويل والمبالغة ، مؤرخه شاميّ مشهور ، فلو كان لعلاء الدين الجويني صلة بقضية جلال الدين لصرّح بها وعدّها من فضائل الصاحب علاء الدين ، والمؤرخون الشاميون لا يغفلون عن ذلك وأمثاله ، وهم أعرف الناس به ، لاتصال في الأسفار ،

---

(١) الصحيح أن شرف الدين انكيانا الحبشي الشرابي هو الذي شتتهم ، راجع « واقعة الأتراك في الحوادث ص ٢٦٨ » ، ثم قال مؤلف الحوادث : « وكان الخليفة قد أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض ، فآلت أحوالهم الى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع » . « ص ٣٢٠ ، ٣٢١ » .

(٢) سيأتي أن البرليغ هو المرسوم والجمع البرالبغ ، ويجوز برليغات على القياس .

وأمان من الأخطار ، فليس من حقنا في التاريخ أن نعزو أمراً الى رجل كان يتبرأ منه تبرؤ المسلم المؤمن من الكفر ، ويسطر الفاشير وينشرها على الشعب بتنزهه عن ذلك .

٣٨ — واستمر الشيخ الجليل على الكلام على المداولة بين علاء الدين الجويني وعماد الدين القزويني فقال : « ومن ذلك الحين شرع [يعني علاء الدين] بأخذ خطوط الولاة والأكابر بما ارتكبه عماد الدين القزويني من جمع الأموال والثروات وعسف الناس ، وعرض ذلك على السلطان ... » .

قلت : الصواب أن الذي فعل ذلك هو أخوه شمس الدين محمد بن محمد بن الجويني ، قال مؤلف الحوادث سنة ٦٥٩ : « وفيها وصل صاحب الديوان شمس الدين [الجويني] إلى بغداد ومعه يرليغ يتضمن براءة أخيه علاء الدين مما نُسب اليه وبولايته العراق وبسط يده [1] ... » . ثم قال : « فلما كان الصاحب شمس الدين بالعراق أخذ خطوط الولاة والأكابر بما صار إليه من الأموال وعرض ذلك على السلطان [هولاكو] فأمر بالفحص عنه فثبت عليه أكثره فأمر بقتله [2] » . فالظاهر أن شمس الدين الجويني كان أكثر ولوغاً في الدماء من أخيه [3] .

---

(١) الحوادث « ص ٣٢٥ » .

(٢) المرجع المذكور « ٣٤٨ » .

(٣) ذكر ابن عنبة في قضية اغتيال وقتل علاء الدين [هذا السيد تاج الدين علي بن محمد بن رمضان ابن الطقطقي ، والد المؤرخ الكبير محمد بن الطقطقي مؤلف الفخري وغيره ، أن تاج الدين تقربه الى السلطان أبغا ابن هولاكو ، وتوسل إليه في أن يوليه العراق ويعزل علاء الدين ، وكتب الى السلطان مكتوباً يمدحه فيه بأموال جزيلة ويشيد بكفايات غريبة ، فوقع كتابه الى شمس الدين الجويني أخي علاء الدين وهو يومئذ صاحب ديوان الممالك جماء ، فأرسل إلى أخيه علاء الدين يقول :

كم لي أتيه منـــك مقلة نائم ... يبدي صـــباناً كلما نبهتـــه
فكأنك الطفل الصغير يهمه ... يزعاد نومـــاً كلما سركته

فاستعد علاء الدين وتقرر أمره عنده على أن أمر جاءة بالفتك به ليلا فقتـــكوا به وهربوا الى موضع ظنوه مأمناً أمرهم هو بالمصير اليه ، فخرج علاء الدين من ساعته الى ذلك الموضع فقبض عليهم وأمر بقتلهم فقتلوا ... » « عمدة الطالب ص ١٦٠ » . وفي هذا دليل على أنه كان فاتكا ماكرا .

٣٩ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ١٤٧ مُحشياً : « يروى فريق من مؤرخي هذه الفترة أن شمس الدين الجويني شقيق علاء الدين كان له الفضل الأكبر في العفو عن أخيه وأكتفى حكام بغداد بحلق لحيته فحلقت ، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه بيده . ولم ينس علاء الدين هذه الاهانة لما عاد إلى الحكم وأطلق كلمة عبّر بها عن حقده الكامن وتصميمه على أخذ ثأره فقال لشحنة بغداد علي بهادر من الجماعة المتآمرين عليه [1] : إن الشعر إذا حلق نبت والرأس إذا حُلق لم ينبت . ويا لها من كلمة تشعر بالتشفي والتصميم على الانتقام » .

قلت : إن الأستاذ الجليل ذكر سعي شمس الدين في تخليص أخيه في الصفحة ١٤١ ، فكرّر ذلك ها هنا وما أكثرما كرّرا! ولا بأس بالتأكيد المفيد ، وقد ذكرت قصة شمس الدين في هذا الشأن نصّاً ، قبيل هذا ، فأما القائل لذلك القول فهو شمس الدين محمد الجويني لا أخوه علاء الدين ، قال المؤرخ المذكور في تمام الخبر : « فلما قرىء البراليغ [2] في الديوان قال الصاحب شمس الدين لعلي بهادر شحنة بغداد : الشعر [3] إذا حلق نبت والرأس إذا حُلق لم ينبت . ودبّر في قتله وقتل عماد الدين القزويني ، على ما نذكره [4] » . وفي الكتاب أشباه لهذا السهو وقد ذكرنا سابقاً ما يخص القاضي محموداً الزنجاني ونسبته إياه إلى ابنه .

ثم إنّ حكام بغداد لم يكن لهم الأمر بحلق لحيته ، كما قال الأستاذ الجليل ، وإنما كان الآمر به السلطان هولاكو ، وقد نقلنا قول المؤرخ : « فلما قوبل وثبت ما نسب إليه أمهوا ذلك إلى السلطان [هولاكو] فأمر بقتله ، فسئل العفو عنه فأمر بحلق لحيته فحلقت [5]... » .

---

(١) كذا ورد والصواب « المتآمرين به » أو « المتآمرين على قتله » .

(٢) يعني المرسوم السلطاني ببراءة أخيه علاء الدين .

(٣) الذي نقله الشيخ الجليل « إن الشعر إذا حلق » ولا داعي الى التأكيد في أول الكلام .

(٤) الحوادث « ص ٣٤٦ » .

(٥) الحوادث « ص ٣٤٣ » .

٣٨ — وذكر في الصفحة ١٤٩ حاشية في الكلام على إسلام السلطان أحمد تكدار بن هولاكو وإرساله رسلاً إلى سلطان مصر والشام ، آيامئذ ، الملك المنصور قلاوون التركي الألفي ، يدعوه الى المسالمة وفتح طرق التجارة بين البلادين ، وكان رئيس الرسل شيخ السلطان عبد الرحمن ، وكانت المراسلة سنة (٦٨٢) قال الشيخ الجليل : « هذا ما ورد في تاريخ ابن الفرات عن استقبال الوفد التتري برياسة الشيخ عبد الرحمن ، ويلاحظ من هذا الاستفهار وتلك الطريقة في استجواب الوفد مرة بعد أخرى واستدعائهم أن قلاوون تغيرت نيته بعد سقوط مرسلهم أو منفذهم اليه ، وأصدر التضييق على الرسل وأخذهم بالشدة تقرباً إلى السلطان الجديد أرغون [بن أبقا بن هولاكو] لأنه أصبح صاحب السلطنة القائمة في مملكة التتر فلا مناص من الأخذ بسياسة الأمر الواقع في هذه الحالة ، ولو كان ملك المغول الجديد وثنياً خلع ملكاً مسلماً على المملكة [1] » . ثم استدل على صحة استنتاجه بتفصيل خبر التضييق على الرسل المذكورين .

قلت : أيقابل الأستاذ بين قوله هـــذا وقوله في الصفحة ١٤١ وقد نقلت بعضه آنفاً : « لا يخامرنا أدنى شك في أن التهمة التي نسبت الى الجويني في هذه الحادثة هي الاتصال بملوك مصر والشام ، وفي سيرة الصاحب علاء الدين الجويني كل ما يدل على التنكر لوثنيين الطغاة من حكام المغول وإعادة الأمم الاسلامية المغلوبة على أمرها في الشرق إلى العيش في ظل راية إسلامية ، ولو كان هؤلاء المسلمون أنفسهم من الشعوب المغولية ، وهكذا استمر الصراع في هذه الفترة من تاريخ المغول الايلخانيين بين الوثنية والاسلام الى أن تم النصر للمسلمين ... ومن هذه الحوادث وما إليها نلاحظ نموّ الوعي عند العراقيين ومحاولة التخلص من سلطان الوثنية مستنجدين بملوك

---

(١) ثم قال في آخر الصفحـــة (١٥٠) : « نرى ماذا كانت معاملة السلطان قلاوون للقوم لو بقي مرسلهم السلطان أحمد على قيد الحياة ؟ لا نشك بأنهـــا تكون معاملة من نوع آخر فان العلائق بين تكدار وبين قلاوون كانت وثيقة جداً قبل ذلك كما يظهر من الرسائل المتبادلة بين هذين السلطانين المسلمين » وهـــذا الضرب من النفاق السياسي كان مألوفاً في تلك العصور ، وليست هذه أول مرة يعاني هؤلاء السلاطين المماليك غدرهم على هذه الصورة » .

المسلمين الذين عجز هولاكو وأبناؤه من بعده عن التغلب عليهم في الديار المصرية » اهـ .

فهؤلاء المماليك كانوا إذن هنا ملجأ الاسلام ومنجاة المسلمين في رأي الأستاذ الجليل ، وهم هناك من القادرين المصريين على غدرهم أولي النفاق السياسي ، فأي رأيي الأستاذ هو الصحيح عنده ؟ أو يرى الأستاذ أن علاء الدين الجويني المتنكر ، في رأيه الوثنيين الطغاة من حكام المغول يرى النجاة والفوز في الملوك القادرين من المماليك المشار اليهم ؟! في الحق أن في قوله الثاني ، الذي نقلته ، شطراً من الصواب أعني نصف الصواب ، فان قسماً من العراقيين كانوا يرون النجاة والسلامة والعزة والكرامة في الالتحاق بركب السلاطين المسلمين من المماليك بمصر والشام ، وقد قتل منهم من قتل بسبب مكاتبة ملوك الشام كالعدل نجم الدين يحيى بن عبدالعزيز الناسخ ، قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٦٩ من سلطنة أباقا بن هولاكو : « وفيها قتل العدل نجم الدين يحيى بن عبدالعزيز [1] الناسخ ، وسبب ذلك أنه نسب اليه مكاتبة ملوك الشام ، فحبس وقرر ، فاعترف بذلك فأمر بقتله ، وكان فاضلاً ورعاً تقياً ـ نعوذ بالله من سوء التوفيق [2] ـ » .

فهذا رجل بغدادي حنبلي المذهب قُتل على مكاتبته ملوك الشام في ولاية علاء الدين الجويني على بغداد ، ولم يستطع علاء الدين أن يفعل شيئاً لانقاذه ، ومجرد قتله في ولايته موقعاً يُبقى عليه أبد الدهر ، ويصاب عليه سجيس الليالي ، والظاهر أن الحنابلة كان لهم الجهد المشكور وأن منهم الضحايا الكريمة في ذلك المنحى السياسي الخطير . ومجرى التاريخ العام يدل على أن دولة المماليك

(١) ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٢١٧ طبعة مصر » وذكر أنه ولد سنة ٥٥١ أو ٥٥٢ وقرأ القرآن بالروايات تبرع فيها وسمع الحديث فأتقن علمه وعني بالخط وكتب كتباً كثيرة لنفسه وتوريقاً للناس ، وولي النظر في خزانة الكتب بمسجد الشريف الزيدي بدرب دينار وخزانة تربة صاحبة خاتون زوج الناصر لدين الله ثم في خزانة المدرسة المستنصرية ، وأجاز له الناصر رواية مسند الامام أحمد بن حنبل عنه ، ثم ولاه الظاهر بأمر الله «ديوان التركات المشرفة ثم انقطع للعبادة برباط الحريم الظاهري الذي أنشأه الناصر لدين الله ، وأقام فيه الى حين وفاته سنة ٦٣٧ وقد ترجمه ابن الفوطي في « عفيف الدين » من معجمه وترجمه مؤلف الحوادث « ص ١٣٤ » وابن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد وابن الجزري في غاية النهاية « ١ : ٣٩٣ » . وشذرات الذهب « ٥ : ١٨٤ » فهذا والد القتيل الشهيد .

(٢) الحوادث « ص ٣٦٨ » .

بمصر والشام كانت معاندة ومقاومة ومنازعة للدولة الايلخانية في العراق وبلاد الروم ، والحروب والكروب ، والسلوب والنهوب المستدامة بينهما تؤيد ذلك منذ وقعة عين الجالوت حتى استيلاء غازان بن أرغون بن هولاكو على بلاد الشام ثم عودها إلى حكم المماليك ، وقد استمر النزاع السياسي حتى سنة ٧٢٢ فاصطلح السلطانان سلطان المغول أبو سعيد بهادرخان بن خربنده وسلطان المماليك العظيم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وبسط السلام جناحيه على الدولتين ، تحت ظل الاسلام . قال ابن فضل الله العمري : « وملوك هذا البيت وإن كانوا أعداء ملوكنا من قديم الزمان وبينهم ما يكون بين الملوك من الشنآن .. فانهم أهل هم تذل لها الجبال [1] » .

وحجة المماليك البحرية في الدفاع والقراع، والحماسة في النزاع، أن الملوك الايلخانيين هم الذين قرضوا الدولة الاسلامية الكبرى ، وأسقطوا الامامة العباسية وقتلوا الملوك المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأفنوا ألوفاً ألوف من المسلمين في مختلف البلاد التي استولوا عليها وهدموا المدن والحصون ، والدور والقصور والمشاهد والمعابد والمساجد والمعاهد والمكاتب والمدارس ، وأسروا ألوف الشبان المسلمين والفتيات المسلمات وسخّروا من استحيَوهم من المسلمين حتى الشيوخ ، وأسالوا سيول الدماء في البلاد الاسلامية ونشروا الرعب والأهوال ، ونهبوا الأموال وسلبوا كل نفيس ، وأصابوا دنيا الاسلام بأشد من الزلزال ، وهم مع ذلك في رأيهم كفار أغمار وأشرار فجّار ، ذوو أطماع في بلاد المسلمين التي لم يفتحوها وهي مملكة الشام ومصر ، ومن أجل ذلك آوى المماليكُ الخلافةَ العباسية الاسمية وأمدوها بالجنود والآلات ، ليملكوا العراق وغيره باسمها ، وتحيفوا أطراف المملكة الايلخانية بالغارات ، واستعملوا الباطنية في الاغتيالات ، وسلكوا جميع سبل الجهاد للحفاظ على مملكتهم والاسلام ، لأنهم صاروا قادته وذادته ، وحماته ورماته ، ولم يخف على المؤرخين ما عزم عليه الملك الأشرف خليل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون المقدم ذكره فقد أرسل جماعة من الباطنية الى بغداد لاغتياله وقتل (نقاجو) أمير مسلحة العراق ، فوثب أحدهم عليه على رأس الجسر العتيقي سنة ٦٩٢ وضربه بخنجر عدة ضربات فقتله واشتد هارباً ، فدّ له رجل إسفهاني رجله على الجسر فسقط فقبض عليه فجعل يقول : فداء الملك الأشرف ، فداء الملك الأشرف . ثم قُتل به حيّاً وقتل ، وأعد الملك الأشرف سلاسلَ وحبالاً

(١) مسالك الأبصار ، الورقة ١٠٠ ، من نسخة باريس .

من القنب للجسر ، وتهيئاً للمسير الى العراق ثم برز الى الصالحية فى آخر سنة ٦٩٢ المذكورة[1] ، وكان قد أرسل الى فخر الدين المظفر بن الطراح أحـــد حكام العراق فى ذلك العصر بتوقيع بالولاية وخاتم وعلم من أعلام السلطنة ، واستقر الأمر بينهما أنه إذا دخل الملك الأشرف العراق محتلاً له ينضم اليه فخرالدين فى الحال[2] ، فلم تسمح الأقـدار بذلك ، وقتل الملك الأشرف بأيدي أمرائه قرب الصالحية فى خرجته التي خرجها للتوجه الى العراق[3].

وكان السلطان أحمد تكدار بن هولاكو قد أسـلم ورغب فى مسالمة سلطان المماليك الملك المنصور قلاوون كما ذكر آنفاً ، إلا أن السـلطان كان ينظر اليه كأنـه لايزال كافراً كأجداده ظالماً مثلهم ، وانما أظهر الاسلام سياسة وخداعاً ، غير أنه مع ذلك لم يستطع أن يرفض عرضه مسالمة الدولة الايلخانية لدولته المماليكية ولا أن يأبى فتح طرق التجارة التي يرتفق بسلوكها المسلمون من رعايا الدولتين ، فقبـل الرسالة على مضض ، مراعاةً للشعب الذي ينظر الى الظاهر والظاهر أولاً ، ولذلك لما علم بقتل السلطان أحمد تكدار وزوال هذا الكابوس من فوق صدره (ذلك الكابوس الذي أجبره ناموس الاسـلام على احتماله) وعلم أيضاً بتولي ملك ايلخاني كافر هو أرغون بن أباقا بن هولاكو ثاب الى تشدّده وصلابته وعاد الى مبدئه السياسي الأول من العنف والمقاومة والنزاع والامتناع ، فهو إذن قد أمن من اللوم والنكير ، والتعزيب والتأنيب لأن خصمه ملك كافر قد قتل ملكاً مسلماً في الظاهر ، فمن يقدم على تأنيبه والانكار عليه إذا تشدّد على ذلك الملك الكافر وتوعد وتهدّد وأهان رسله ؟

هذا هو السبب فى تشدد الملك المنصور على رسل السلطان أحمد تكدار بعيد أن علم بقتله ، ولا أريد أن أطيل الكلام أكثر مما فعلت فمن لايوقن بما ذكرت فلن أرجو منه إيماناً بعد ذلك ، ولا تصديقاً بما هنالك .

---

(١) الحوادث ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٢) الدرر الكامنة ، ٢ : ٣٤ .

(٣) الحوادث ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ .

٤٠ — وذكر الاستاذ في الصفحة ١٥١ عماد الدين عمر بن محمد القزويني أحد حكام بلاد الشام والعراق في أوائل حكم هولاكو وفتوحه ، وقد قدمنا ذكره آنفاً ، ونقل من تلخيص معجم الألقاب قول ابن الفوطي : « مجد الملك أبو المكارم هبة الله بن صفي الملك محمد بن هبة الله البزدي ، مشرف الممالك ، كان قد قدم بغداد في أيام صدر الدين القضوي القزويني فلما قتل صدرالدين أقام ببلاد العجم .. » . وعلق الأستاذ الجليل على « صدرالدين » بقوله : « لقبه في الحوادث الجامعة — يعني كتاب الحوادث المجهول المؤلف — وفي الجزء الرابع من المعجم (عماد الدين) لاصدر الدين » .

قلت : صدر الدين لقب والده محمد ، قال ابن الفوطيّ نفسه في الجزء الرابع من تلخيصه : « عماد الدين أبو المعالي عمر بن صدر الدين محمد بن أبي العز القضوي القزويني المتولي على العراق [1] ... » . وقد التبس على ابن الفوطي لقب أبيه بلقبه ولعل ذلك يومي كون كتابه أعني تلخيص معجم الألقاب « مثالاً من الدقة [2] والتحقيق » كما قال الأستاذ في أول كتابه « ص ١١ » . والصحيح عندي أن هذا المؤرخ الفاضل يقع أحياناً في أوهام ، وخصوصاً حين يعالج سير الذين بعدوا عن زمانه ولو بعض البعد .

٤١ — وقال في الصفحة (١٦٠) في الكلام على حال أهل الذمة والعناية بأمرهم : « وعني بحمايتهم بعض أمراء السلاجقة كما ترى ذلك [3] واضحاً فيما سجله مؤرخو هذه الفترة وفي مقدمتهم ابن الفوطي في معجمه عن فخر الدين عبد الرحمن السلجوقيّ شحنة بغداد » . ونسبَ هذا الأمير « سلجوقياً » نقلاً من كلام ابن الفوطي ، ولم يكن من السلاجقة بل من

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١١٦ » .

(٢) يريد « التدقيق » وهو مصدر عندنا يناسب « التحقيق » ، فالمؤرخ يدقق تدقيقاً ويحقق تحقيقاً ، ولا يدق دقة فان الدقة عيب ، قال النجاشي الشاعر :

إذ الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

(٣) كذا ورد والعالم لا يكون ظاهراً بل يكون ضميراً فالصواب « كما نراه واضحاً » .

أصحابهم واعتماد ابن الفوطي إياه من السلجوقيين هو من أوهامه ، وقد تولى عبد الرحمن بن طغايرك هذا حجابة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وكان مستبداً ، فخاف منه السلطان فأمر بقتله ، على أن عبد الرحمن بن طغايرك كان ممن وضع المِنبارَ على اليهود وهو من أشد ما كانوا يخشونه في سيرتهم الاجتماعية ، وبالغ في حمايتهم في مقابل ذلك ، هذا ولم يذكر ابن الفوطي في ترجمة عبد الرحمن بن طغايرك ، إلا مرجعاً تاريخياً واحداً هو تاريخ يمين الدين قثم بن ملحمة الزينبي العباسي الأديب الحاكم المشهور ، وقد فاته ذكر كامل ابن الأثير في سنة ٥٣٦ وسنة (٥٤٠) وتاريخ الدولة السلجوقية « زبدة النصرة ومسرة الفطرة » ص١٧٥، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٤ » وتاريخ السلجوقيين لصدر الدين الحسيني « ص ١١٣ — ١١٨ » .

٤٢ — وقال في الصفحة ١٦١ وهو يتكلم على أحوال أهل الذمة أيضاً وذكر رجلاً سماه « ابن فضلان » : « ومن أبلغ الوقائع في الدلالة على المكانة التي كان أهل الذمة يتمتعون بها في خلافة الناصر لدين الله ومن بعده الظاهر رسالة ابن فضلان لما عهد إليه بمنصب النظر في ديوان الجوالي ... وفي هذه الرسالة يقترح ابن فضلان على الخليفة الظاهر أن تفرض الجزية متفاوتة حسب تفاوت طبقات أهل الذمة في ثروتهم ومكانتهم ... » وقال في الحاشية : « تجد لابن فضلان ترجمة في طبقات الشافعية وفي الحوادث الجامعة » . ولم يزد شيئاً على ما ذكرته من الراجع في حاشية الترجمة في كتاب الحوادث المعروف .

قلت : إن التاريخ الذي نقل منه مضمون الرسالة هو كتاب الحوادث كما ذكر هو في الحاشية ، ومؤلفه يقول : إن أبا عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان كتب الرسالة أو الرقعة كما سماها إلى الخليفة الناصر لدين الله لا إلى الظاهر ، إلا أنّ مجرى سيرته لا يؤيد ذلك ، لأن المؤرخ يقول : « حكي عنه أنه كتب للخليفة الناصر لدين الله لما كان يتولى ديوان الجوالي رقعة طويلة يقول فيها ... » . على حين قال من قبل : « فلما بويع الظاهر بأمر الله عزله فلزم منزله ... ثم استدعي وولي نظارة المارستان العضدي فكان على ذلك شهوراً ثم عزل نفسه ولزم بيته إلى أن

استُدعي وولي النظر بديوان الجوالي واستيفاء ثروات أهل الذمة ثم ولي تدريس مدرسة الأصحاب [1] فتردد إليها مدة ثم تركها وتوفّر على ديوان الجوالي ... » . وهذا يعني أنه تولى ديوان الجوالي في خلافة المستنصر الله لا في خلافة الناصر لدين الله ولا في خلافة الظاهر بأمر الله ، إلا أنه يذكر في رسالته « ابن زطينا » النعماني النصراني من ذرية النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وأنه كان كاتب المخزن يوم الارسال بالرسالة الى الخليفة ، وابن زطينا إنما كان كاتب المخزن في خلافة الناصر لدين الله ، قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٧٨ : « وفي ذي الحجة أمر الخليفة [الناصر لدين الله] أن لا يستخدم في الديوان يهودي ولا نصراني ولا يستعان بهم في عمل من الأعمال . فأنهى أنّ ابن زطينا ليس له نظير في الكتابة . فكتب على المطالعة : إن مات ابن زطينا فأيش نعمل ؟ أنبطل الديوان ؟ فأسلم ابن زطينا بومئذ ، واستُعمل [2] » . وقال ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠١ ووفياتها : « أبو غالب بن زطينا المسلم ، كاتب ضابط فاضل ، كان نصرانياً وهو كاتب سرّ الديوان العزيز ، فتقدم الامام الناصر لدين الله — رضي — أن لا يستخدم في الديوان أحد من أهل الذمة فأسلم جماعة وأسلم أبو غالب هذا في الجملة . كانت وفاته في سنة إحدى وستمائة [3] » . وقد جاء ذكر رجل آخر من بني

---

(١) كنت أحسب مدرسة الأصحاب « المدرسة المقتبة » التي بناها أبو الحسن علي بن محمد الدربي الشافعي الملقب تقة الدولة ببابه الأزج بالجانب الشرقي من بغداد ، لأنها بليت لأصحاب الشافعي ، فوجدت في المسجد المسبوك لأبي الحسن المزرجي أنها في الجانب الغربي « الورقة ١٩٢ » ، ثم علمت من تلخيص معجم الألقاب أنها مدرسة السيدة زمرد خاتون صاحبة القرية القائمة بجوار مقبرة الشيخ معروف الكرخي المعروفة بالست زبيدة ، قال ابن الفوطي في ترجمة كمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد الفرجوني : ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب (ابن الساعي) في تاريخه وقال : كان شيخاً حسن السمت ، تفقه على جمال الدين يحيى بن فضلان ورضي الدين علي بن علي القارئي ودرس بمدرسة الأصحاب المجاورة لتربة أم الناصر في الحريم سنة أربع وستمائة ... » .

(٢) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٣٢٨ » .

(٣) الجامع المختصر « ٩ : ١٦١ ، ١٩٢ » .

زطيفا في أول ترجمة من الوجود من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب وهي ترجمة « عز الدين بن الحداد قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : كان [مخرج الأموال] بالديوان وهو أن يكون عارفاً بأحوال من تقدّمه من حواشي الديوان من أرباب المشاهرات وأصحاب المعاملات [1] ، ولما مات عز الدولة هبة الله بن زطيفا قام عز الدين بن الحداد مقامه [2] ... » . وكرّر المؤلف ذكره في ترجمة عز الدين الحسين بن عبدوس البغدادي ، قال : « ثم رتب مخرج الأموال بالديوان فكان على ذلك الى أن عزل بابن زطيفا الكاتب » .

ومن بني زطيفا الأديب الأريب الكاتب جبريل المتوفى سنة ٦٢٦ ، قال مؤلف الحوادث في وفيات سنة ٦٢٦ : وفيها توفي أبو الفضل جبريل بن زطيفا كاتب الديوان ، كان نصرانياً وأسلم في أيام الخليفة الناصر لدين الله ، وكان ذا فضل وأدب وله نظم ونثر وأشياء مستحسنة ومن شعره :

إن سهرت عينك في طاعة ... فذاك خير لك من نوم
أمسك فقد فات بعلاته ... فاستدرك الفائت في اليوم
وإنْ قسا القلبُ لأكداره ... فصفّه بالذكر والصوم [3] ... »

وذكره ابن كثير الدمشقي في وفيات سنة ٦٢٦ من تاريخه قال : « أبو الفضل جبريل بن منصور بن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب بن يحيى بن موسى بن يحيى بن الحسن ابن غالب بن عمرو بن الحسن بن النعمان بن المنذر المعروف بابن زطيفا البغدادي ، كاتب الديوان وكان نصرانياً فحسن إسلامه ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم وعفة ... وقد أورد

(١) المعاملات جمع المعاملة وهي عناية المكورة في التقسيم القديم والوحدة الادارية التالية وكالمتصرفية في أيامنا .

(٢) تلخيص معجم الألقاب ، ٤ : ٢ أ من نسختي بخطي .

(٣) الحوادث ، ص ١١ .

له ابن الساعي شعراً حسناً فمنه قوله : إن سهرت [1] عينك في طاعة [2] ... » . وبيت زطينا عربق أيضاً في خدمة النصرانية ، فقد ذكر الشيخ ماري بن سليمان منهم شماسَين : أبا بشر ابن زطينا وأبا الفتح بن زطينا ، وكان في أيام جاثاليق ماري صوما المتوفى سنة (٥٣٠) » [3] .

أما إطلاق « ابن فضلان » على محي الدين أبي عبد الله بن فضـــلان في أول الحديث عنه فليس بمناسب ، لأنه كان يشارك في هذه التسمية أباه يحيى المسمى من قبل ذلك « واثقاً » ، وقد ذكرتُ في حاشية سابقة والده المذكور جمال الدين يحيى بن فضلان الفقيه الشافعي ، وإلى الأب تنصرف التسمية عند الاطلاق ، قال الشيخ عبد اللطيف بن يوسف العلامة البغدادي المشهور : « وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب للمبرد وكتاب ابن درستويه ، وفي أثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلّقة بناها نظر الدوله بن المطلب [4] ... » . ومع اشتهاره بهذه التسمية كان من الذاكرين له من يذكره بالتمييز ، قال مؤلف عيون الأنباء في ترجمة أبي البركات هبة الله بن ملكا نقلاً من ابن الدهان المنجم المؤرخ المشهور ، برواية عبد اللطيف البغدادي المذكور قال : « كان الشيخ أبو البركات قد عمي في آخر عمره وكان يُملي على الشيخ جمـال الدين بن فضلان وعلى ابن الدهان المنجم [5] ... » .

وقال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٥٧ : « جرت لابن فضلان الفقيه قصة عجيبة [6] ... » .

---

(١) هذا وأمثاله يؤكد لك أن مؤلف الحوادث وابن الساعي يتفقان على جملة من الأمور التاريخية ، وإذ كان مؤلف الحوادث متأخر العصر عن ابن الساعي يكون جائزاً اقتباسه من كتب ابن الساعي وهو ما ذكرناه من قبل .

(٢) البداية والنهاية ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥١٦ الورقة ٧٨ ، وهذه النسخة أصح من المطبوعة .

(٣) أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل ، ص ١٥٥ .

(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ٢ : ٢٠٣ .

(٥) المرجع المذكور ، ١ : ٢٨٥ .

(٦) المنتظم ، ١٠ : ٢٠٣ .

ولأبي عبد الله محمد بن فضلان ترجمة في تلخيص معجم الألقاب لم ينتبه لها الأستاذ الجليل[1] ، وإذ كانت ولادته سنة (٥٦٠)[2] يستبعد منه أن يكتب الى الخليفة الناصر لدين الله تلك الرقعة الفريدة وعمره « سبع عشرة سنة » ، ويدخل في حدود الامكان أن تنسب الى والده « جمال الدين أبي القاسم يحيى بن فضلان » المذكور ، وأيّاً كان الأمر لا يصح أبداً أن تكون الرسالة مرسلاً بها الى الخليفة الظاهر بأمر الله ولا الى المستنصر بالله لأن ابن زطينا كان قد أسلم قبل استخلافهما بكثير ، اللهم إلا إذا كان محيي الدين بن فضلان قد ذكر للخليفة حادثة قديمة وقعت قبل كتبته الرقعة بسنين ، فيجوز بذلك أن تكون من عهد المستنصر بالله دون عهد الظاهر بأمر الله ، وإن أكده الأستاذ الجليل في الصفحة ١٦٢ بلا دليل .

٤٣ — وقال في الصفحة ١٨٧ : « يعرف دير الدائن بدير قنّى ولم يبق له من أثر الآن ومن رأي بعض الباحثين أنه لا يبعد كثيراً من موقع الطاق الى الجنوب وهناك عدة تلال ربما تضم أحدها على أنقاض الدير المذكور » .

قلت : الصحيح أن دير قنّى غير دير الدائن ، قال الشابشتي في دير قنى : « هذا الدير على ستة عشر فرسخاً من بغداد ، منحدراً في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد . وهو دير حسن نزه عامر وفيه مائة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه ، لكل راهب قلاية[3] ... » .

ثم إن المصدر الذي صدر عنه الأستاذ الجليل لا يعترف بانحصـــاد دير قنى ودير الدائن لاستحالة ذلك ، فمؤلفه عمرو بن متى يقول في ترجمة (بابالاها الثالث) الجاثليق : « ووصل الى

---

(١) باسم « محيي الدين أبي عبد الله محمد بن يحيى بن الفضل بن هبة الله المعروف بابن فضلان البغدادي قاضي القضاة » . « التلخيص ج ٣ الترجمة ٨٦٤ من القسم » .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي « ٥ : ٤٤ » .

(٣) الديارات « ص ١٧١ » ، قال ياقوت : « وأما الآن فلم يبق من هذا الدير غير سوره وفيه رهبان صعاليك ، وكأنه خرب بخراب المروان » . (معجم البلدان) .

بغداد بالاكرام والتبجيل وتجهزوا لمحدر الى دير الدائن وكان وصوله يوماً مشهوداً [1] ... » .
ويقول في الصفحة ١٠٤ : « وانحدر الى دور قنى وتقبل فيه [2] . »

وقال في الصفحة ١٠٣ في ترجمة الجاثليق إيليا الثاني : « ثم انحدروا إلى دور قنى وخرج الكهنة والاسكولانيون من دير ماري السليح واستقبلوه بالصليب والانجيل والشموع ... ثم قصدوا دير مارجبرائيل المعروف بدير الكرسي ، وتقبل فيه وعاد بالجوع صاعداً إلى بغداد » وكان إنحدارهم بعد أن نصبوه فطركاً بالمدائن كما ذكر المؤلف ، وكان ذلك سنة ٥٠٤ هـ ، وكل أخبار الكتاب وغيره تدل على أن دير قنى هو غير دير المدائن الذي عنده البيعة العظمى .

فقولنا : إن دير المدائن يعرف بدير قنى هو كقولنا مثلاً إن المهارة الحالية تعرف بالكوت الحالية .

٤٤ — وجاء في الصفحة ١٧٥ « الجاثليق بابالاها » بالباء الموالية وجاء كذلك مكرراً في البحث ، والذي حفظناه هو « بيالاها » أو يابالاها بالياء المثناة من تحت تليها الباء الموحدة أو الألف ، ثم إنه « بيالاها » الثالث دون غيره [3] ، وجاء في الصفحة ١٧٣ « مكيخا » والصواب « مكيخا » بالكاف كما جاء في كتاب عمرو بن متى « ١١٩ » وهو مكيخا الثاني ، وأما مكيخا الأول فكان في خلافة المقتدي بأمر الله في القرن الخامس للهجرة تراجع «ص١٠٢» منه و «ص١٣٧» من كتاب الفطاركة لماري بن سليمان . وأما ما جاء في كتاب الحوادث فسببه أن مؤلفه لا يلفظ الكاف وما شاكلها فظنتها لاماً إذ ذاك ، ولا بُدَّ لنا من التصحيح والأخذ بالصحيح .

٤٥ — وجاء في الصفحة ١٨١ قوله : « والمرجح أن نتائج التزام المغول النصارى على هذه الصورة في بغداد والموصل وبعض أقطار الشرق تعـــدت إلى مصر فتنكر الملك الظاهر

---

(١) فطاركة كرســي المشرق « عمرو بن متي ص ١٢٤ » ، ولقد سماها « بيعـة المدائن » كما في الصفحة ١٢ . وذكر ماري بن سليمان أنها البيعة الكبيرة وأنها غير دير قنى « الفطاركة ص ٤ » .

(٢) المرجع المذكور « ص ١٠٤ » .

(٣) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متي « ص ١٢٢ — ١٢٥ » .

المعروف بالبندقدار لهم في مسيره إلى بلاد الروم وظفره بالمغول في واقعـــة وقعت هناك بين الفريقين ومع أن سيرة البندقدار كانت حسنة جداً في بلاد الروم في هـذه الرحلة ... إلا أنه نهب النصارى وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم عند عودته ... » .

قلت : إنه « البندقداري » لا « البندقدار » فهو منسوب إلى هذا الاسم ، وصاحبه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب الأيوبي ، وكان سيد بيبرس المذكور ، فقيل لبيبرس البندقداري [1] . والظاهر أن الأستاذ الجليل اخذ هذه التسمية من كتاب الحوادث « ص ٣٤٤ ، ٣٥٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ » وتاريخ مختصر الدول فانه سمّى بيبرس « البندقدار الصغير » ، قال في حوادث سنة ٦٥٨ : « ولما وصل [قوتوز] قريباً من غزة نهض عليه بيبرس المعروف بالبندقدار الكبير وقتله [2] ... » والمعتمدة في ذلك التواريخ الشامية [3] والتواريخ المصرية ، ولعل الأستاذ رجع إحدى التسميتين على الأخرى ، إلا أنه لم يذكر التانية « البندقداري » ولا نبه على جوازها ، وأنا كنت قد نبهت على ذلك في حواشي كتاب « الحوادث » إلا أن نعمان الأعظمي اتفق على طبع الكتاب حذف ذلك مع كثير من الحواشي حتى جدول الخطأ والصواب والاستدراك وذلك بشبهة الاقتصاد في النفقات .

وأما القول إن نتائج التزام المغول على تلك الصورة في بغداد والموصل وبعض أقطار الشرق وتمدت الى مصر والشام فتنكر الملك الظاهر البندقداري لهم في مسيره الى بلاد الروم ، فمن الانتجاع البعيد في التاريخ ، لأن النصارى في دمشق كانوا قد استطالوا على المسلمين بعد احتلال هولاكو للمدينة وأدخلوا الخمر في الجامع ، فأعقدوا المسلمين وغاظوهم ، قال أبو الفداء في حوادث سنة ٦٥٨ : « وفي خامس عشر شعبان من هذه السنة أخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق ووالييها وضربوا أعناقهما بداريا . واشتهر عند أهل دمشق خروج العساكر من مصر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ١ : ٦٣٢ » .

(٢) تاريخ مختصر الدول « ص ٤٩٢ » .

(٣) قال أبو الفداء مثلا : « وجرد قماز ركن الدين البندقداري » ، « المختصر ٣ : ٢١٤ » .

لقتال التتر ، فأوقعوا بالنصارى ، وكانوا قد استطالوا على المسلمين بدق النواقيس وادخال الخمر الى الجامع ، فنهبهم المسلمون في سابع عشري رمضان من هذه السنة وأخربوا كنيسة مريم وكانت كنيسة عظيمة [1] » . جرى ذلك في دمشق ولم يجر مثله من نصارى بغداد ولا جرى نهب عليهم ، فالأصحاب بلدية عملية كما يقولون . وأراد الملك الظاهر أن ينتقم لرعاياه ودينه ، مضافاً إلى أن النصارى الذين نهبت أموالهم كانوا من أعوان التتر ومواطئيهم على العدوان .

٤٦ — وقال في الصفحة ١٨٩ وهو يذكر ظفر الأمير أبي فراس بن أبي فراس بالعرب الأجاودة المتعرضين — كانوا — لأذية الحاج سنة : « هذا ما ورد في كتاب الحوادث عن ظفر هذا الأمير بعرب الأجاودة[2] من المنتفك في ذلك العصر » أراد بالمنتفك المنتفق ، والذي حفظناه أن « الأجاودة » من قبيلة « غزّية » لا من المنتفق وفزية من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وأن المنتفق من عامر بن عقيل بن كعب ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن ، قال القلقشندي في بني عامر بن صعصعة هم إخوة بني المنتفق [3] ، فهم قد تشعبوا وانخزل بعضهم عن بعض .

وقال ابن فضل الله العمري : « عرب غزية قال الحمداني [بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن أبي المعالي] : هم بطون وأفخاذ ولهم مشايخ ... مياههم ... مياه الأجود لبنة والثعلبية » ثم قال : « بطن الأجود بن غزّية : آل منيع وآل سنيد وآل سند وآل مناف وآل أبي الحزم وآل علي وآل عقيل وآل مسافر ، هؤلاء المشهورون ، من بطون غزية [4] . قلت : وذكر لي نصر بن نرجس المشرقي زيادة أولاد الكافرة وساعدة وبني جميل وآل أبي مالك » وكان قد قال: « وأما سرة ... ويأتيهم من عرب البرّية من نذكره ، فمن غزية: غالب وآل أجود والبطنين

---

(١) المختصر « ٣ : ٢١٣ » .

(٢) قال مؤلف الحوادث « العرب الأجاودة » وهو الصواب ، وقال الشيخ الجليل « عرب الأجاودة » وليس بصحيح لأن قولنا « عرب الأجاودة » يفيد أن فيهم من غير العرب .

(٣) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب « بنو عامر » و « بنو المنتفق » ، و « بنو الأجود » .

(٤) ذكر قبلهم « آل دهيج وآل روق وآل رفيع وآل سرية وآل مسعود وآل تميم وآل شرذل » .

وساعدة [1] » .

وخلاصة القول أن « الأجاودة » ليسوا من فرع المنتفق بل من غزية التي عناها الشاعر بقوله :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشدِ

ومن بني الأجود دهش بن سند بن أجود الذي ذكره الأمير علي بن مقرّب العيوني الشاعر في قوله :

منا الذي ضربت عن القباب له بالمشهدين وأعلى الأمن واتقها

لولا عياذ بني الجراح منه به لصاحبت دهشاً وألحقت دَرِما [2]

قال شارح ديوانه : يعني بالمشهدين مشهد علي ـ رضي ـ ومشهد ابنه الحسين ـ رضي ـ . وبنو الجراح هم الأمراء المعروفون ببني ربيعة رهط سعد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود ابن بريك بن الصميط . ودهش هو دهش بن سند بن أجود سيد غزية . والذي ضربت له القباب بالمشهدين هو الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي الفضل بن عبد الله العيوني ، وكان من حديثه أن سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك أمراء بني ربيعة جمعوا قبائل طيء وزُبيد والخلط وجميع عرب الشام ، واجتمعت اليهم قوم دهش بن سند بن أجود وساروا يريدون أرض بني عقيل وهم عامر وعائذ وخفاجة ومن خالطهم من قبائل قيس وربيعة وغيرها . وكان الأمير محمد بن أبي الحسين يومئذ قد رأس على قبائل العرب وهو إذ ذاك في الأحساء ، فسمت بنو خفاجة وعبادة ومن معهم بتجهيز تلك السرايا ، فبعثوا الى الامير محمد بن أبي

---

(١) مسالك الأبصار ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٨٦٨ ، الورقة ١٠٥ ، ١٢٣ ، .

(٢) قال في القاموس ، كمكتف شيباني قتيل ولم يدرك بثأره فضرب به القتل أو فقد كما فقد القارظ العنزي » . وقال شارح الديوان : « درم رجل من العرب قتل فلم يطلب بثأره فقيل : أودى من درم . أي أهلك منه ، فصار يضرب به القتل لمن يقتل ولا يؤخذ له بثأر ويذهب هدراً » . « ص ٤٦١ » .

الحسين من يخبره بالخبر وهم [1] على خوف مما فعلوا بطريق مكة من غصب الحاج على ما أرادوه ، فشكا الحاج الى الخليفة الناصر لدين الله ، وقد بعث الخليفة رسولاً إلى الأمير محمد [2] بن أبي الحسين يخبره بذلك ويحثه على النهوض إلى دهش وقومه والتنكيل بهم والنكاية فيهم على ما فعلوا بالحاج ، بحسب ما يقدر عليه فيهم ، واستنهض الأمير جميع عرب البحرين وجميع جنوده حتى لحق بالعراق ، وانضمت اليه عربها من (النتفق) وعبادة وخفاجة حتى استكملت جيوشه ، وسار حتى لقي جموع الأمراء من بني ربيعة وطيء وزبيد وعرب الشام ، وكان ذلك بظاهر الكوفة ، فالتقوا واقتتلوا ، فحمل عليهم الأمير محمد وحملت عليهم أولاده بحملته وجميع جيوشه فانهزمت جيوش طيء ومن معها حتى بلغوا رحالهم ، ثم إن الأمراء من بني ربيعة أرسلوا إلى الأمير محمد يناشدونه بالنسب والقرابة ويذكرونه الحمية ، لأنهم يقولون إن أمراء بني ربيعة من نزار ، فرق لهم ، وعطف عليهم ، فأجارهم وأجار أهلهم وأموالهم ، ولم يجر دهشاً ، فدخل دهش مشهد علي ـ ك ـ وتحرّم به وأقام مستجيراً بقبره ، فأقام الأمير محمد بن أبي الحسين على دهش الحُراس بباب المشهد يحفظونه لئلا يهرب ، وبعث الى الخليفة الناصر لدين الله رسولاً يخبره بذلك ليرى الخليفة فيه رأيه ، فأرسل الخليفة الى دهش رجالاً ليقبضوا عليه ، فقبضوه ووردوا به مع غلمان الأمير محمد بن أبي الفضل الى بغداد ، فاستتابه الناصر لدين الله من الفساد في الطرق ،

---

(١) يعني المتجمهرين ، قال ابن الدبيثي في ترجمة سنجر بن عبد الله التركي الناصري أبي المظفر : « أحد مماليك الخدمة الشريفة الامامية الناصرية — خلد الله ملكها — تولى إمارة الحاج في سنة ٥٨٩ هـ وأقطع الجوزة وأضيف اليه خمسمائة فارس ، فحج بالناس هذه السنة وعاد في صفر سنة (٥٩٠ هـ) فاعترض الحاج في طريقهم رجل من غزية يعرف بدهش وطلب منهم مالا قرره عليهم لجيزهم ، فألزم سنجر ، وسري الحاج بذلك وجعله له وسلمه اليه ... فأنكر الديوان على سنجر ما فعله وألزم برد ما أخذ من كل واحد ... وعزل سنجر عن إمارة الحاج خاصة ... » . « ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٩٢٢ هـ الورقة ٧٤ ، ٧٥ » .

(٢) قال الشاوح : « كان الخليفة الناصر قد عظمه وشرفه تشريفاً جليلا وفرض له في كل سنة من بغداد ألفاً ومائتي ثوب من عمل مصر أكثرها إبريسم ، وفرض له في البصرة كل سنة ألفاً وخمسمائة حمل حنطة وشعيراً وأرزاً وتمراً مدة حياته » . « ص ١٦٣ » .

وضرر الحاج ، فتاب ، وخلع عليه الخليفة وخلى سبيله » . وقال الشارح بعد ذلك : « وكان الأمير محمد بن أبي الحسين العيوني قد جمع قبائل عامر وعائذ وخفاجة وعبادة (والمنتفق) وجميع من كان معه من القبائل حين واقع قبائل طيء ومن كان معهم ممن تقدمنا ، وكان لما أحضرت الغنائم أمر غلمانه بأن يركزوا رمحين وقال : لايجوز أحد منهم إلا من بين الرمحين غادياً ورائحاً ، ووقف على فرسه ، وصار كل من مرّ به أخذ بما حمل له من الغنم ، فاذا استحسن شيئاً أمر غلمانه بضمه اليه فيضمونه عندهم حتى جازت تلك القبائل كلها من بين الرمحين ، ومن لا يجوز من بين الرمحين أخذه أسلاً ، فجمع من الخيل والابل والخدم والأمتعة ما لايحصى عدده ، وقسّم من أراد وخيّب من أراد لأنه صار يأخذ من كسب هذا ويعطيه هذا فلا يقدر أحد على إنكاره[1] » .

ففي هذه الحرب كانت المنتفق محاربة لبني الأجود ، فكيف تكون الأجود من المنتفق ؟! ومما يدل بوضوح على أن غزّية كانت منفصلة عن المنتفق يومئذ عشيرياً وسياسياً ما ذكره المؤلف ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٧ قال : « ثم وصل الخبر بأن[2] دبيساً حين هرب مضى إلى غزية فأضافوه وسألهم أن يحالفوه فقالوا : ما يمكننا معاداة الملوك ونحن بطريق مكة وأنت بعيد النسب منا ، وبنو المنتفق أقرب اليك نسباً ، فمضى إليهم وحالفوهم[3] ... » .

٤٧ — وجاء في حاشية الصفحة (١٩٠) : « اختزل ابن الفوطي كلمة الايلخانية بكلمة (الايليّة) وهو يستعملها في معجمه بمعنى الدولة الايلخانية مثل قوله : كان لا يدخل الى السلاطين الايلية إلا من يعرفه[4] ، انظر المعجم ٥ : ٢٣٣ » .

---

(١) شرح ديوان ابن مقرب العيون « ص ٤٦٤ — ٤٦٤ » .

(٢) هو أبو الأغر دبيس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة وقد اقتبه بالملك الثالث ، وترجمته معروفة في كتب التراجم والتواريخ كالوفيات والمنتظم ومرآة الزمان وكامل التواريخ والتاريخ الأتابكي ، وتاريخ حلب ، قتله السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي سنة ٥٢٩ .

(٣) المنتظم « ٩ : ٢١٥ » .

(٤) ثم قال في الصفحة ١٦٥ : « حيث قامت لهم (للمغول) دولة معروفة تسمى الايلخانية وقد تسمى الايلية اختزالا وأول من أطلق عليها هذا الاسم المختزل مؤرخ العراق ابن الفوطي ، فعل ذلك أكثر من مرة في معجمه » .

قلت : الصحيح أن ابن الفوطي لم يكن أول من اختزل كلمة « الايلخانية » بل اختزلها قبله والد العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر وهو سديد الدين يوسف فقد قال العلامة في كتابه « كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين » في باب إخباره بالغيبيات : « من ذلك إخباره بمهارة بغداد وملك بني العباس وذكر أحوالهم وأخذ التتر الملك منهم . رواه والدي — رضي — وكان ذلك سبب سلامة أهل الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين من القتل ، لأنه لما وصل السلطان هولاكو الى بغداد قبل أن يفتحها هرب أكثر [أهل] الحلة الى البطائح إلا القليل فكان من جملة القليل والدي — رضي — والسيد عبد الدين بن طاوس والفقيد ابن أبي العز ، فأجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت (الايلخانية) [1] » . فالايلخانية قد استعملت منذ سنة ٦٥٦ وعمر ابن الفوطي أيامئذ ١٤ سنة .

٤٨ — وذكر في الصفحة ١٩٦ ترجمة السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المبيدلي الحلي المعروف بابن مهنا ، وذكر أنه من أعلام أواخر المائة السابعة في العراق ومن أجل مشايخ ابن الفوطي وأن ابن الفوطي نقل عنه ومن مصنفاته كثيراً في كتابه تلخيص مجمع الآداب ولقبه بالعلامة ، ونقل الأستاذ الجليل أسماء كتبه من تلخيص المجمع ، وقد فات ابن الفوطي اسم كتاب مهم من كتب أستاذه ابن مهنا لم يذكره فيما وجد من كتابه التلخيص ولعله ذكره في موضع آخر منه ، قال صلاح الدين الصفدي في ذكر التواريخ الجامعة : « ترجمان الزمان لجمال الدين بن مهنا العلوي [2] » .

هذا ولم يذكر الشيخ الجليل إلا الجانب الممدوح من سيرة السيد ابن مهنا وهذا يجعل الكتاب كتاب تقريظ وإطراء ، ولم يذكر سنة وفاته ، قال مؤلف غاية الاختصار وهو من مراجع الأستاذ الجليل في أسرة ابن مهنا : « ومنهم أحمد أبو الفضل بن محمد بن مهنا ، كان

---

(١) روضات الجنات « ج ٢ ص ٢٣٣ » .

(١) الوافي بالوفيات « ٩ : ٥٠ » .

سيداً فاضلاً نسابة مشجراً فليل التحقيق ، رأيت بخطه مشجراً فلما تتبعته وجدت فيه من الأغاليط شيئاً كثيراً ، حدثني بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي الكاتب — رح — قال : حُكي لي أن المنجم الذي سيّر مولد أحمد بن مهنا قال في جملة ما حكم له به : ويقول شعراً غير جيد [1] » .

وقال العلامة شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٦٨٢ : « أحمد بن مهنا العلامة جمال الدين الحسيني العبيدلي ، قال الفوطي : عارف بالأنساب وفنون الآداب ، أوحد في علمه ، صنف كتاب وزراء الزوراء وكتب عني وكتبت عنه ، مات ببغداد في صفر [2] » ، وقال ابن عنبة في ذكر بني مهنا السادة : « فمنهم الشيخ العالم النسابة المصنف جمال الدين أحمد بن محمد بن مهنا بن الحسن بن محمد بن المسلم بن المهنا المذكور ، صاحب كتاب وزراء [3] الزوراء ، له عقب [4] » .

٩٩ — وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة المذكورة أن ابن الفوطي سمّى لجمال الدين بن مهنا المقدم ذكره كتاب « لطائف المعاني في شعراء زماني » وغيره من مؤلفاته ، وليس ذلك بمستقيم ، فإن ابن الفوطي عدّ هذا الكتاب في تآليف شيخه تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي ، قال مثلاً في ترجمة عميد الدين أبي الظفر منصور بن أحمد الدجيلي المقدم ذكره : « ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب في تاريخه وفي كتاب لطائف المعاني في شعراء زماني [5] ... » . وذكره له كاتب جلبي في كشف الظنون « ج ١٥٥٤ » .

والظاهر أن اسم هذا الكتاب التبس على الأستاذ الجليل باسم كتاب « الطرف الحسان في

---

(١) غاية الاختصار « ص ٩٠ ، ٩١ » .

(٢) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية بلندن ١٥٤٠ الورقة ١٠ » .

(٣) في الأصل المطبوع من عمدة الطالب بالهند « وزير » وهو تصحيف لطيف .

(٤) عمدة الطالب في أنساب آل طالب « ص ٣٩٥ » طبعة بومبي سنة ١٣١٨ هـ .

(٥) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٤٩ من نسخي بخطي » .

أعيان الآن » لجمال الدين بن مهنا المذكور ، قال ابن الفوطي في ترجمة كمال الدين أبي علي محمد ابن يوسف بن هبة الله ابن البوقي الواسطي الحاجب الكاتب الأديب : « كان من حجاب المناطق ، ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل بن مهنا في كتاب (الطرف الحسان في أعيان الآن) وأنشد له شعراً في صبيّ اسمه عثمان من التركمان [1] ... » .

٥٠ — وورد في الصفحة ٢٠٣ قوله : « وفي معجمه أي معجم ابن الفوطي ما يدل على أن خبرته في هذا الشأن — يعني علم اللغات — تناولت معرفة اللهجات المغولية والتركية على اختلافها وتعدُّدها (كذا) ... والأمثلة على ذلك غير قليلة في معجمه » من ذلك ما قاله في ترجمة هزال عراقي يتكلم المغولية وهذا نصه : جمال الدين أبو المحاسن أحمد يعرف بابن الشديدي ، له نظم حسن وكان يلبس القميص والقباء ... وكان يتكلم المغولية بدون تفخيم الألفاظ من غير معرفة بها » .

ولم يحسن الأستاذ الجليل النقل من الكتاب ، ودونك النص الصحيح : « كمال الدين أبو المحاسن منصور بن أحمد يعرف بابن الشديدي السكوني الظريف الشاعر ، كان من ظرفاء العصر ، وله نظم حسن وكان يلبس القميص والقباء ، ويحضر في مجالس السدور الكبار ويتكلم بالمغولية بتفخيم الألفاظ من غير معرفة بها ، ويتسخر في كلامه ، وقد ذكرته في التواريخ ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وستمائة وحضر في مجلس مولانا نصير الدين [2] » .

فالنقل الأول قد غيِّر من الترجمة ، فكمال الدين صار فيها فيهـا « جمال الدين » و « منصور بن أحمد » صار فيها « أحمد » و « بتفخيم الألفاظ » صارت « بدون تفخيم الألفاظ » ، وقد سبب ذلك للأستاذ الخطأ في الحكم فقال بعد ذلك : ومعنى هذا القول أن منطق المغول يتميز بتفخيم الألفاظ » . والأمر بالعكس ، لأن ابن الفوطي قال « ويتكلم

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٥ » : الترجمة ٥٢٥ من الميم » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٥ » : الترجمة ٥١٨ من الكاف » .

ويتكلم بالمغولية بتفخيم الألفاظ من غير معرفة بها » . فهو قد كان يتكلم بتفخيم وترنيم تغطية لجهله اللغة المغولية ، فتأمل ذلك .

٥٩ — وجاء في الصفحة ٢٠٦ قوله : « تكرّر ذكر الخاتونية في مجمع الآداب وفي كتاب الحوادث » وقال في الحاشية : « كتاب الحوادث ٢٢٤ والخاتونية كما يظهر من معجم ابن الفوطيّ محلتان خاتونية داخلة وهي المحلة القديمة وخاتونيّة خارجة استجدت بعد ذلك ، والظاهر أن بعض محلات بغداد اندثرت في عصور المغول وأضيفت إليها أقسام جديدة » .

قلت : الأستاذ الجليل يكلف نفسه حين يتكلم شيئاً على خطط بغداد الشائكة المعقدة فيستنبط أموراً لا وجود لها في الواقع الخططيّ ، فقد ذكر ابن الجوزي في استخلاف القتدي بأمر الله ابن الذخيرة بن القائم بأمر الله سنة ٤٦٧ أنه في خلافته عُمر الجانب الشرقي من بغداد ، فعمرت البسلية والقطيعة ... والخاتونيتين ، والمقتدية [1] » . فالخاتونية الخارجية لم تستجد بعد ذلك بل عمرت منذ أواخر القرن الخامس للهجرة ، وفي سنة ٥٧٧ كانت معمورة أيضاً ، أي قبل العصر الذي أشار إليه الأستاذ الجليل ، قال القفطي في ترجمة كمال الدين بن الأنباري : « وكان مقيماً برباط له بشرقي بغداد في الخاتونية الخارجة [2] » . وكانت وفاته سنة ٥٧٧ .

وقال ابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧ في إحدى التراجم من تاريخه : « محمد بن علي بن هبة الله أبو بكر القرىء الناسخ ، من أهل واسط سكن بغداد واستوطنها إلى حين وفاته ، وكان يؤم بمسجد الخاتونية الخارجة بدرب يعرف بدرب الشيرجي ويقرئ فيه [3] ... » .

وقال في ترجمة أبي طاهر شعبان بن بدران بن أبي طاهر بن مضروب المقرئ : « من

---

(١) المنتظم « ٨ : ٢٩٣ » .

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة « ٢ : ٢٧٠ » . وقال ابن الدبيثي في تاريخه : « أنشدني أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري من لفظه برباط بشرقي بغداد في الخاتونية الخارجة ... » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٩٢٢ الورقة ١٢٥ » .

(٣) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٩٢١ الورقة ٩٢ » .

أهل بادرايا ، سكن بغداد ونزل الخاتونية الخارجة وسمع ببغداد [1] ... » .

وكانت الخاتونية الداخلة تسمّى « دركاه خاتون أيضاً » وقد سكنت فيها خاتون سلجوقية أخرى هي السيدة فاطمة بنت السلطان محمد بن ملكشاه زوج الخليفة المقتفي لأمر الله قال ابن خلكان في نشرة وفياته الأولى [2] :

« تزوج الامام المقتفي لأمر الله فاطمة بنت السلطان محمد المذكور ، وكان الوكيل في قبول النكاح شرف الدين أبو القاسم علي بن طراد الزينبي وذلك في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة وحضر أخوها مسعود العقد ، ودخلت فاطمة المذكورة إلى دار الخلافة لاثنتي عشرة سنة أربع وثلاثين [وخمسمائة] ويقال إنها كانت تقرأ وتكتب ولها التدابير الصائب وسكنت في الموضع المعروف بدركاه خاتون ، وتوفيت في عصمته يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفنت بالرصافة — رحمها الله تعالى — [3] » . وأعاد ابن خلكان هذا القول في نشرة كتابه الجديدة [4] أي الثانية .

وقال محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار في ترجمة أبي الحسن علي ابن أتوشتكين الجوهري : « من ساكني دركاه خاتون بباب الحرم من دار الخلافة ، كان يبيع الجوهر ثم كبر وأسن فانقطع في منزله [5] ... » . وذكر أن وفاته كانت في سنة ٥٧٨ .

وظهر لي أن المؤرخ الذي يسمي الخاتونية الداخلة « دركاه خاتون » كان لايحتاج إلى تسمية

---

(١) المرجع المذكور « ٩٢٢٠ » الورقة ٢٩ » .

(٢) هذه النشرة هي النسخة الأولى فوفيات ، وتختلف عن الثانية وهي المطبوعة بمصر وإيران ببعض الاختلاف ، كاحتوائها على تراجم جماعة من خلفاء بني العباس وسمهم المتوكل على الله ، انتسخ هذه النسخة ونشرها بخطه في المانيا المستشرق الكبير فرديناند وستنفيلد الألماني سنة ١٨٣٥ م .

(٣) الوفيات ، طبعة وستنفيلد « الترجمة ٣ . ٢ » .

(٤) الوفيات « ٢ . ١٠٧ : ١٠٨ طبعة بلاد العجم » .

(٥) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية » الورقة ١٩١ » .

الخاتونية الأخرى بالخاتونية الخارجة ، وهو شأن ابن الساعي [1] . وإذا كان ابن الفوطي في مصر نُسي فيه اسم « دركاه خاتون » وجب على المؤرخ أنْ يذكر الخاتونية مميزة بالداخلة أو بالخارجة . في سياق التاريخ . ولما نشرت كتاب الحوادث لم أكن أعلم أن في بغداد محلة تسمى « الخاتونية » وإنما كنت أعرف « دركاه خاتون » الوارد ذكرها في الوفيات ، فلذلك ظننتها تصحيف « الأمونية » كما قلت في « ص ٢٢٤ » منه ، ثم اطلعت عليها في الجامع المختصر وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي وتلخيص معجم الألقاب أخيراً .

٥٢ — وتكلم في الصفحـــة ٢١٠ على أبناء نصير الدين الطوسي الثلاثة صدرالدين علي وفخرالدين أحمد وأصيل الدين الحسن ، وأحسن الثناء عليهم وذكر أن السلطان محمود غازان قتل فخرالدين منهم في سيواس من بلاد الروم يومئذ ، سنة (٧٠٠ هـ [2]) ، ولم يذكر سنة وفاة أصيل الدين الحسن ، قال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٧١٥ : « وتوفي الشيخ أصيل الدين الحسن ابن الامام العلامة نصيرالدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي البغدادي ، كان عالي الهمة ، كبير القدر ، في دولة غازان ، وقدم الشام ورجع منه الى بلاده ، ولما تولى خربندا الملك ووزر تاج الدين علي شاه قرّب أصيل الدين هذا إلى خربندا حتى ولاه نيابة الســـلطنة ببغداد ثم عُزل وصودر . وكان كريماً رئيساً عارفاً بعلم النجوم لكنه لم يبلغ فيه رتبة أبيه نصيرالدين الطوسي ، على أنه كان له نظر في الأدبيات والاشعار ، وصنف كتباً كثيرة وكان فيه خير وشرّ ، وعدل وجور ، ومات ببغداد [3] » . وقال مؤلف غاية الاختصار المجهول ، إن صحت تسمية كتابه بهذا الاسم ـ ص ٩ ـ : « ذكر الباعث الذي حداني على هذا الكتاب : أنه لما وردت الى مدينة السلام صحبة الحضرة السلطانية ورأيت المولى الوزير الأعظم الصاحب الكبير المعظم ملك أفاضل الحكماء ، قدوة أماثل العلماء ، مختار الملوك ، عضد الوزراء ، أصيل الحق والدين ، نصير الاسلام

(١) الجامع المختصر ، ٩ : ٥٩ ، ١٣٢ ، .

(٢) ترجمه ابن الفوطي في معجمه وذكر مؤلف الحوادث شيئاً من أخباره .

(٣) النجوم الزاهرة ، ٩ : ٢٣٢ ، .

والمسلمين ، الذي أنشر مبث الفواضل ، ونشر طي الفضائل ، وأقام مراسيم العلوم ، في عصر كسدت فيه سوقها ، وأنهض مقعدات المحاسن بعد ما عجزت عن حمل أجسامها سوقها ، ودبّ من الأحرار ، في زمان لم فيه أقل من القليل ، وملأ أيديهم من حبائه بأياد واضحـــة العزة والتحجيل ، وحقن من وجوههم ما دونه إراقة دمائهم ، وحرص عليهم وقد شارفوا زوالها ، بقيةَ دمائهم ، وأفاء عليهم ظل رأفـة لا ينقل ، وخفض لهم جناح رحمته ، فما فتىء يتفضل عليهم ويتطوّل ، كلما ازداد رفعـــة وتمكيناً ، زاد تواضعاً ولِيناً ، وكلما بلغ من الشرف غاية ، رفع للتواضع راية ...

يا ابن النصير وما الزمان مسالمي ... إلا وأنت على الزمان نصيري

سألوك في علم النجوم لو أنهم ... قد وُفّقوا سألوك في التدبير

العالم الذي جمع أشياخ العلم بين يديه لاقتباس الفوائد ، واقتناص الشوارد ، وشاربه ماطر ، وعذارُه ما بقل ولا اخضرّ ، فكأن القائل عناه بقوله :

بلغ العلاء بخمس عشر حجة ... ولحاته إذ ذاك في أشـغال

الذي ما ظلم لأنه أشبه أباه ، فلم يغادر من نهاه شيئاً إلا حواه ... أبو محمد الحسن ابن مولانا الامام الأعظم ، إمام العلماء ، وقدوة الفضلاء وسيد الوزراء ، فريد دهره علماً وفضلاً ، وقريع دهره جلالة ونبلاً ، نصير الحق والدين ، ملاذ الاسلام والمسلمين أبي جعفر محمد بن أبي الفضل الطوسي — قدس الله روحه ونور ضريحه ، حضرت مجلسه الأرفع الأسمى ، ومثلت بحضرته الجليلة العظمى ، فشنف مسامعي بمفاوضات أوهيت منها دُرّا ، ودميت بياناً كالسحر إذ لم يكن سحراً ، فأدتنا شجون الحديث الى الأخبار والأنساب ، فأعربت مفاوضته عن علم جم ، وفضل باهر وفهم ، واطلاع كامل باضطلاع ، ولقد والله ردني [1] في أشياء كنت واهماً فيها من علم النسب والأخبار ، وقمت أمدحه بهذا القول :

(١) الصواب « رد علي » لأن المردود هو القول أو الخبر أو الحجة ، ولا يستعمل « رده » إلا بمعنى أعاده ورجعه ، فكيف يكون هو مرجوعاً معادا ، فتقدير قوله « رد علي قولي » .

ألم تر أن السيفَ ينقص قدره إذا قيل هذا السيف أمضى من العصا

وشكي حكيت الواقع فقال : في أثناء المفاوضة : أريد أن تضع لي كتاباً في النسب العلوي، يشتمل على أنساب بني علي لأقف منه على بيوت العلويين ، فأجبته بالسمع والطاعة ... » .

٥٣ — وقال في قتل السلطان غازان لفخرالدين أحمد بن النصير الطوسي كما قدمنا ذلك في الصفحة ٢٩٠ بعينها : « هذا ومن أكبر الأدلة على أن شرّ الدول وغدرهم بأصحابهم ورجال دولتهم غير مأمون مقتل فخرالدين أحمد هذا وهو عميد أسرة عنيت بخدمة الدولة الإيلخانية من عصر هولاكو إلى أيام غازان » .

قلت : لم يكن فخر الدين أحمد عميد أسرة الطوسي فقد كان أصغر من أخويه صدرالدين علي وأصيل الدين الحسن ، قال ابن الفوطي في ترجمته : « فخرالدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن محمد ابن الحسن الطوسي عتداً للراغي مولاً الحكيم المتولي الوقوف . كان أصغر أخويه ، جميل السيرة ، حسن الصورة ، كريم الكف ، حيي الطرف ، لطيف الأخلاق ، حلو السيارة ، اشتغل مع إخوته على مولانا رشيد الدين الرازي ، وكتب على مولانا نجم الدين أحمد بن البواب واشتغل بالعلوم الرياضية ، وقدم العراق في خدمة أرغون ابن السلطان أباقا في شعبان سنة إحدى وثمانين [وستمائة (١)] ، ولما جلس أرغون على سرير المملكة أجراهم على ما بأيديهم من القرامين القديمة ، وورد بغداد صحبته الأمير أروق في منتصف شعبان سنة ثلاث وثمانين [وستمائة (٢)] ، والناس قد قحطوا ، والأمّة من خير الوقف وخيره قد قنطوا ، فأجراهم على أحسن القواعد ، وأدرّ

(١) لم يذكر مؤلف كتابه الحوادث قدومه العراق في تلك السنة ، وهذا موضع حسن للمقابلة بين المؤلفين ، يوضح اختلافهما وتفرد كل منهما بذاتية وشخصية ووجهة .

(٢) قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٨٣ — ص ٤٤٣ — : « ووصل بعد ذلك فخرالدين أحمد ابن خواجة نصيرالدين الطوسي وقد أعيد أمر الوقوف بالعراق جميعها اليه وحذفت الخاصة الديوانية ووقرت على أربابها ، فعين على عماد الدين إسماعيل بن الياس صدراً بالوقوف ... فعين (هذا) على عزالدين محمد بن شمام نائباً عنه فيها » . فتأمل المخبرين والأسلوبين في التعبير .

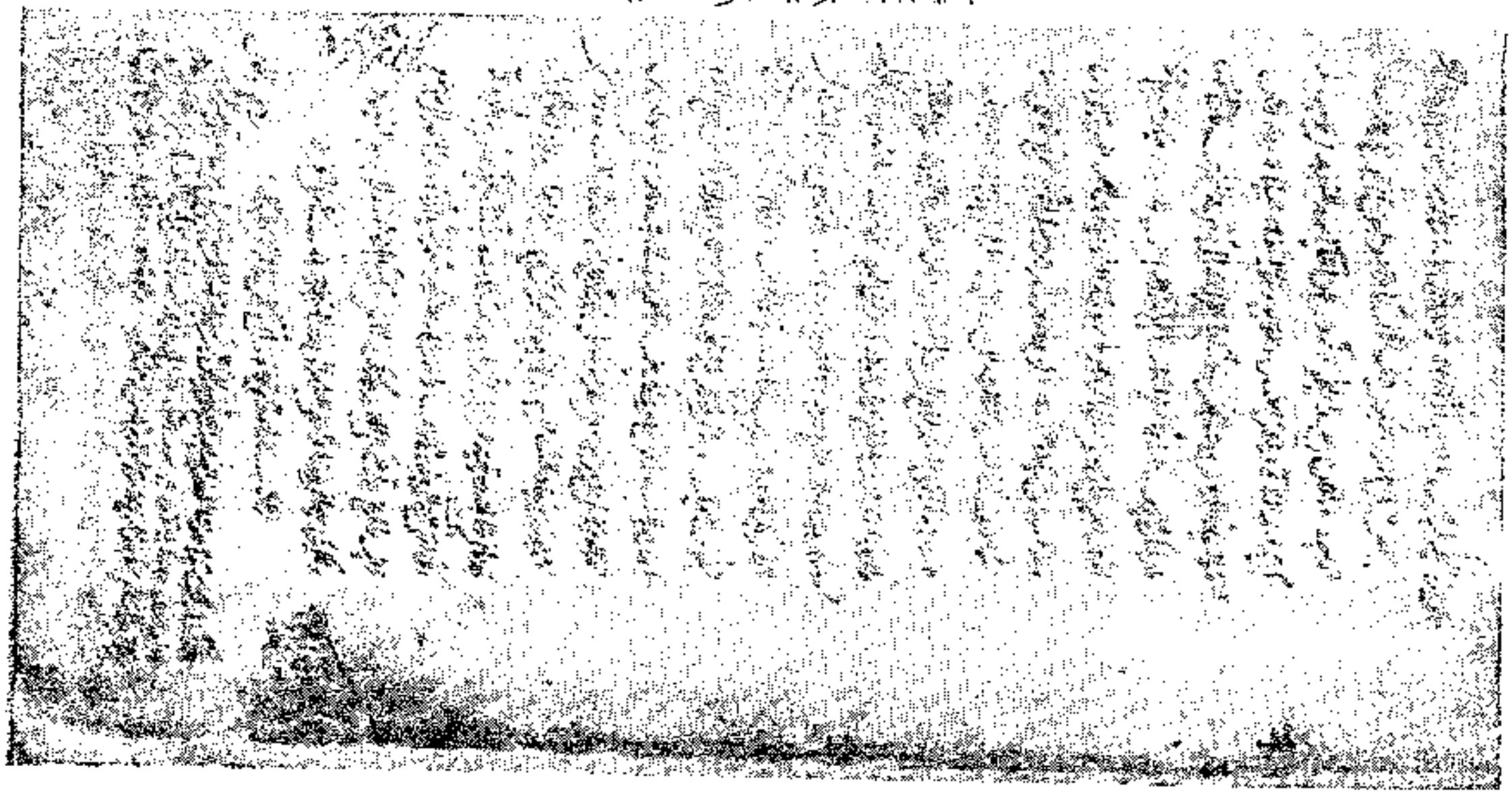

أخبازهم ووظائفهم ، وعوتب على ذلك فلم يصغ الى مقالهم ، وشكرت طريقته وقصده الشعراء فأعزل سلفهم . وقتل بسبواس من بلاد الروم في يوم الأحد حادي عشري ذي الحجة سنة سبعمائة ، ونقل الى صراغة فدفن عند أخيه » .

ومما قدمت يعلم أن صدرالدين علياً كان عميد الاسرة بعد وفاة أبيه وأن أصيل الدين صار عميدها بعد وفاة صدرالدين علي ، ومات فخرالدين أحمد قبل موت صدرالدين ، فلم يبلغ أن يكون عميداً ، قال الحسن بن أحمد الاربلي الحكيم المؤرخ : « سافرت إلى صراغة وتفرجت في هذا الرصد ، ومتوليه صدرالدين علي بن الخواجا نصيرالدين الطوسي ، وكان شاباً فاضلاً في التنجيم والشعر بالفارسية [1] ... » . وهذا تأييد لما قلت من أنّ صدرالدين علياً كان أكبرهم وعميد الاسرة ، وقد ذكرنا أن ابن الفوطي نسخ له كتاب الأحكام سنة ٦٨٠ تلك السنة التي حسبها الأستاذ الجليل سنة ٦٦٨ كما مرّ ، وقد نعته ابن الفوطي بأعظم النعوت قال وقد ذكرنا قوله : « علّقه لخزانة كتب سيدنا ومولانا الخدوم الصاحب المعظم ، صدرالحق والدين ، نصير الاسلام والمسلمين أبي الحسن علي ابن مولانا المعظم نصيرالدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي ـ أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره ـ عبده وخادمه وغرس أياديه وأنعمه عبد الرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي بمنزله بالخاتونية الخارجة من شرقي مدينة السلام ... » .

والظاهر أن فخرالدين كان فيه شيء من الطيش والغرور ، فقد ذكر ابن الفوطي قدومه بغداد في شعبان سنة ٦٨١ في صحبة الأمير أرغون بن أباقا بن هولاكو ، وسكت عن عمله في تلك القدمة ، وعن فعل أرغون ، أما صاحب كتاب الحوادث فقد ذكر أفعال أرغون المنكرة ببغداد ، قال : « وتوجه أرغون الى بغداد فدخلها في شعبان والأمير علي جكيبان [2] بين يديه ، واستنقذ صفي الدولة بن الجمل [النصراني] كاتب السلة من أصحاب علاء الدين [الجويني] صاحب الديوان وخلصها مما كانا فيه من الصداع ثم أمر بعمل حساب العراق ، فعمل وتخلف على الضمناء شيء كثير ، فطولبوا به وضوبقوا عليه ، وألزم أهل بغداد بالمساعدة ، وأحضر قاضي

(١) الوافي بالوفيات « ١ : ١٨٢ » .

(٢) ذكر في حوادث سنة (٦٨٠) أن اصحاب علاء الدين الجويني اعتقلوا الأمير علي جكيبان وصفي الدولة بن الجمل كاتب السلة « ص ٤١٧ » .

القضاة عزالدين بن الزملكاني وقرر عليه وعلى العدول عشرة آلاف دينار ، واستوفي ذلك بالعسف وكان كل من اختفي من الناس نهبت داره وبيع ما فيها ، وألزم نواب الاعمال العلية والواسطية والبصرية وغيرهم بمثل ذلك ثم طولب أهل بغداد بأجرة أملاكهم عن ثلاثة شهور فاستوفي من أكثرهم ، ثم تقدم باعفاء الناس كافة ثم عاد أرغون الى خراسان في الربيع [1] » .

ولقد شهد فخرالدين أحمد بن الصير الطوسي هذه الأفاعيل كلها ، وكان يعد من الموافقين عليها بمجرد صحبته لذلك الأمير الطاغي الباغي المقيم على دين آبائه ، فلا عجب إذا كان فخر الدين ابن الطوسي عرضة لاصابة الثناء عليه والسمايات المهلكة في ذلك العصر المضطرب الأحوال ، الذي اختلت فيه القيم الاخلاقية ، وأطافت فيه الوحشية من عقالها ، وكانت التهمـــة فيه والموت سواءاً .

٥٤ — وذكر في الصفحة ٢٣٨،٢٣٩ طائفة من أسماء الكتب التي حوتها خزانة كتب آل طاوس ، ذكر منهـا « كتاب التذييل لصدقـة بن الحسن وهو من كتب التاريخ » . قلت : والصواب « صدقة بن الحسين » قال أبو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة ٥٧٣ : « صدقة بن الحسين بن الحسن أبو الفرج الحداد ، ولد ســـنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وكان في صباه قد حفظ القرآن وسمع شيئاً من الفقه . وكان له فهم ... » . والمؤرخون مجمعون على أن اسم والده « الحسين [2] » .

٥٥ — وورد في الصفحـــة المذكورة « كتاب الوزراء ليحيى بن محمد الصولي » . والصحيح « محمد بن يحيى الصولي » وهـــذا مما لا يحتاج الى استشهاد لتاريخ من التواريخ

(١) الحوادث « ص ٤٢٤ » .

(٢) المنتظم « ١٠ : ٢٢٦ — ٢٢٨ » . قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٧٣ : « وفيهـا في ربيع الآخر توفي صدقة بن الحسين الحداد الذي ذيل على تاريخ الزاغوني لبغـــداد » . وقال سبط ابن الجوزي في السنة ٥٧٣ : « وفيها توفي صدقة بن الحسين أبو الفتح الناسخ الحنبلي ويعرف بابن الحداد » . « مخ ج ٨ ص ٣٤١ » وله ترجمة في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ٣٣٩ » والشذرات « ٤ : ٢٤٤ » .

لاشتهاره واستفاضته .

٥٦ — وقال في الصفحة (٢٤٠) : « وكانت عند آل طاووس نسخة كاملة من معجم الأدباء لياقوت ولا يخفى أنّ هذه الأصول وكثيراً غيرها وصلت الينا ناقصة أو مبتورة أو مشوهة مغلوطة ، وعلى هذا تكون خزانة كتب رضي الدين علي بن موسى بن طاووس من أغنى خزائن الكتب العراقية في أواسط المائة السابعة الى أوائل المائة الثامنة » أضف الى ذلك أن المؤلف [1] يتحدث في كتابه هذا عن جملة من خزائن الكتب الكبرى ... ومن أهمها حديثه عن خزانة علي بن يحيى المنجم البلدي (كذا) البغدادي وقد أنشأها في القفص [2] يسميها خزانة الحكمة ... » .

قلت : باستراجعي ما ذكرت في الحاشية راجعت كتاب « فرج المهموم » لتجديد العهد به ، فوجدت مؤلفه يقول في الصفحة ١٥٧ : « فقد قال التنوخي في كتاب النشوار المذكور حدثني أبو الحسن بن أبي بكر الأزرق قال : كان في نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ... » . فرضي الدين الطاووسي يذكر أنها أي الخزانة كانت في « نواحي القفص » والشيخ الجليل يقول « وقد أنشأها في القفص » كما ذكرت ناقلاً عنه ، والصحيح أنها كانت في ناحية من نواحي القفص ، تسمى « كركين [3] » ، وأصل الخبر لياقوت الحموي وقد أشار الأستاذ الى ذلك في الصفحة ٢٤٢ من كتابه وإن كان الرضي بن طاووس نسخة من النشوار في خزانته ، قال ياقوت : « وحدث أبو علي

---

(١) الظاهر أن الشيخ الجليل يريد مؤلف « فرج المهموم » رضي الدين أبا القاسم علي بن موسى ابن طاووس المذكور لأن البحث بعنوان « سفر مفيد » يعني به فرج المهموم .

(٢) قال الشيخ في الحاشية : « اجتاز السمعاني في رحلته من الشرق الى العراق بالقفص (كذا) وأورد عنها في كتاب الأنساب نبذة لطيفة اشتملت على فوائد فاتت ياقوت الحموي كما فاتت مؤلف مراصد الاطلاع ... » .

(٣) تصحفت على الأستاذ مرغوليوث المستشرق المعروف الى « كركر » فصارت عنده من بلاد الشمال النائية جداً « معجم الأدباء » : ١٩٧ » .

التنوخي في نشواره [قال] حدثني أبو الحسن بن أبي بكر الأزرق قال حدثني أبي [1] قال : كان بكركيّ من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ، يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ويتطرون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة في ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى [2] ... » . فهذا كما ترى .

٥٧ — ونقل الأستاذ الجليل الفوائد التي رآها في نسبة « القفصي » من الأنساب خاصة بالقفص وأشرت الى وقوفه عليها في الحاشية ولكنه أسقط سهواً اسم راو من رواة الخبر الأدبي فجعل السمعاني من الراوين عن عاصم بن الحسن السكرخي [3] ، قال ناقلاً من الأنساب : « وكانت أي القفص من متنزهات بغداد اجتزت بها وأنشدني عاصم بن الحسن السكرخي لنفسه : يا صاحبي بالقفص لاصاحبي ... » . والذي في الأنساب « أنشدني أبو سعد ابن الدوري إملاءً من حفظه ببغداد ، أنشدني عاصم بن الحسن السكرخي... » .

(٥٨) وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ٢٤١ : « وضبط السمعاني كلمة القفص بضم القاف مع أن صاحب المراصد ضبطها بالفتح ، هذا والمعول على كلام السمعاني في جميع ما يكتب من القفص لأنه رآها ... » .

قلت : إن ما ورد في بعض نسخ المراصد من فتح القاف في « القفص » إنما هو من تصحيف النساخ ، ولذلك ترى النسخة المنشورة في القاهرة تذكر ضم القاف مشاراً فيها إلى فتحها في

---

(١) جملة « حدثني أبي » سقطت من نقل الرضي الطاووسي في كتابه المذكور .

(٢) معجم الأدباء « ٥ : ١٦٢ » طبعة مرجوليوث .

(٣) تنبهت على ذلك لأني كنت أعلم أن أبا سعد بن السمعاني لم يلق أبا الحسن عاصم بن الحسن بن محمد ابن عاصم العاصمي السكرخي الأديب الفاضل المحدث المتوفى سنة ٤٨٣ بل روى عنه بالواسطة « مختصر أنساب السمعاني بخطي ص ٤١٧ » . وخريدة القصر للعماد الأصفهاني « أصول التاريخ والأدب من مجموعتي ١١٤ ص ١٤ » وغيرهما .

نسخة أخرى ، وكلمة « القمم » تلتبس بالفتح إذا صغرت القاف وضخمت الميم . وقد رأيت من ذلك التصحيف كثيراً في المخطوطات السقيمة الخط ، التي كان ناسخها من الجهال .

٥٩ — وقال الشيخ في الصفحة ٢٤١ بعينها : « ويستفاد من كلام هؤلاء البلدانيين أن موقع القفص فوق دجيل الحالية » . ثم قال في الصفحة ٢٤٢ التي تليها « هذا ماوراه المؤلف من أخبار خزانة الحكمة وصاحبها وإذا كانت ناحية القفص — وهي تبعد مئات الأميال من بغداد — تشتمل على مثل هذه الخزانة فكم خزانة اشتملت عليها بغداد نفسها في العصر المذكور ... » .

قلت : الميل القديم هو أربعة آلاف ذراع بالذراع السوداء التي تساوي « ٥٠ » سنتيمتراً على التقريب ، فهو كيلو متران على التقريب أيضاً ، ومئات الأميال أقلُّها ثلاثمائة ميل ، ومضاعفها ستمائة ميل وهو عدد الكيلو مترات المساوية لبعد القفص من بغداد ، على تقدير الشيخ الجليل ، وهذه مسافة أطول مما بين الوصل وبغداد ، مع أن القفص كانت تبعد مئات أمتار من أعلى بغداد يومئذ ، قال ابن عبد الحق في المراصد : « القفص : بالضمّ والسكون ... وأيضاً قرية ببغداد مشهورة فوقها قطربل » ، فتأمل قوله « ببغداد » وقوله « فوقها قطربل » . وكان قد قال : « قطربل : بالضمّ ثم السكون وفتح الراء وباء مشدّدة مضمومة ولام ، وقد روي بفتح أوله وثانيه ، قال [ياقوت] : قرية بين بغداد وهكبرا . قلت : بين بغداد والزرفة ، لأن هكبرا [كانت] في الجانب الشرقي وهي في الغربيّ ، وبينها فراسخ ، وإليها ينسب الطسّوج الذي هي فيه ، فيقال طسّوج قطربل ، وما فوق العمراة من أسافل سقي دجيل فهو من طسّوج قطربل وهي شمالي بغداد ، يضاف إليها الخمر والخانات وهي الآن [سنة ٧٣٩] خراب » . وعلى هذا أستطيع أن أقول إن « القفص » كانت قريبة من أرض الكاظمية ، ألا تراه يقول « بين بغداد والزرفة » والزرفة كما في معجم البلدان لياقوت « قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ » . يعني خمسة عشر كيلو متراً تقريباً ، وهي اليوم معروفة أرضها دائر عمرانها ، فإن كان ما بين بغداد والزرفة خمسة عشر كيلو متراً ، وكانت قطربل بين بغداد والزرفة

وكانت القفص بين بغداد وقطربل فالمسافة بين بغداد والقفص قصيرة لا تتجاوز خمسة كيلو مترات فكيف تكون المسافة مئات الأميال كما قال الشيخ الجليل أي مئات الكيلو مترات ؟!

٦٠ — وقال في الصفحة ٢٤٩ : « أشهر مشاهير بني النجم : علي بن يحيى بن أبي منصور ، يحيى بن علي بن يحيى ، هارون بن علي أبو محمد ، أحمد بن هارون ، علي بن هارون ، أسماء لمعت لمدار النجوم ، منذ منتصف المائة الثالثة الى منتصف المائة الخامسة في الدولة العباسية ... » .

قلت : إن أحدهم المذكور هو « أحمد بن علي بن هارون » لا أحمد بن هارون ، قال ياقوت في معجم الأدباء ١ : ٢٣٢ : « أحمد بن علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو الفتح ، أحد من سلك سبيل آبائه في طرق الآداب ... » .

ثم قال ياقوت في ترجمة أبي الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور بن المنجم : وكان لعلي بن هارون ولد يقال له أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم ، كان أديباً فاضلاً إلا أني لم أقف له على تصنيف فلم أفرده بترجمة ، والمقصود ذكره ، وقد ذُكر هاهنا روى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر [1] ... » .

وقد سها ياقوت عن أنه أفرده بترجمة ، فقال ما قال ، وقد أشرنا الى ترجمته ونبهنا على موضعها من معجمه . هذا وقد قات الأستاذ الجليل التنوخي « بأبي الحسن أحمد بن يحيى بن علي ابن يحيى بن علي بن يحيى ابن المنجم ، قال الخطيب البغدادي : « ذكر أبو عبيد الله المرزباني أنه كان أحد متكلمي المعتزلة ، متقدماً فيهم ، وقال : توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين » قال الخطيب : « وحدث المرزباني عنه عن أبيه وعميه أحمد وهارون [2] » ، وقد ذكر ابن خلكان أن أبا الحسن أحمد بن يحيى هذا تمم كتاب « الباهر » في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين ، وعزم على أن يضيف الى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين ، فذكر

(١) معجم الأدباء « ٥ : ٤٤٥ طبعة مرغليوث » .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب « ٥ : ٢١٥ » .

منهم أبا دلامة ووالبة بن الحباب ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس وأبا علي البصير ، وقال ابن خلكان : وكان أبو الحسن أحمد المذكور متكلماً فقيهاً على مذهب أبي جعفر الطبري وله كتب منها كتاب أخبار أهله ونسبهم في الفرس ، وكتاب الاجماع في الفقه على مذهب أبي جعفر الطبري ، وكتاب المدخل الى مذهب الطبري ، ونصرة مذهبه ، وكتاب الأوقات وغير ذلك [1] » ، فهو إذن من أشهر مشاهيرهم .

وقال الأستاذ الجليل أيضاً ذكر « أبي العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن المنجم » قال أبو علي التنوخي : « حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن المنجم وهو أحد بني يحيى بن أبي المنصور المنجم صاحب المأمون [2] ... وعمل أبي العباس في نفسه أشهر من أن يحمل في العلم والأدب وقول الشعر ، والمعرفة بالجدل والفقه وغير ذلك مما يفوق به وقد نادم أبا محمد المهلبي — رحمه الله — واختص به ونفق عليه سنين كثيرة و[ملاه] من بعده من الوزراء وغيرهم من الرؤساء وهو أحد بقايا أهله [3] ... » .

٦١ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ٢٥٣ وهو يتكلم أيضاً على آل المنجم الأدباء الفضلاء : « قال عبيد الله بن أبي طاهر : كان علي بن يحيى مشتهراً بالأدب مائلاً إلى أهله ... » ، وعلق الأستاذ على عبيد الله [4] بن أبي طاهر في الحاشية ما هذا نصه : « معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥ : ٤٥٩ وفي هذا الاسم تحريف والصواب عبيدالله بن طاهر ، حفيد طاهر ابن الحسين الخزاعي أشهر قواد المأمون وأكبر أعوانه ... وكان حفيده عبيد الله بن عبدالله بن

---

(١) الوفيات ٥ ٢ : ٣٢٩ » طبعة بلاد العجم .

(٢) قال التنوخي : « وكل أهله وسلفه وبيته في منادمة الخلفاء والوزراء والأمراء مشهور ، وموضعهم من الكلام والنجوم والعلم والأدب وقول الشعر وتصنيف الكتب في أنواع ذلك معروف ، ومكانهم من المنزلة في خدمة السلطان وعظم النعمة والمال متعالم » . « نشوار المحاضرة ١ : ١١ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ١١ » ، وقد روى أبو علي التنوخي عن أبي العباس ابن المنجم هذا خبراً آخر في هذا الجزء من النشوار « ص ٦٢ » .

(٤) سيذكر قريباً أنه « عبيد الله بن عبد الله بن طاهر » وهذا من الاختصار .

طاهر شاعر الطاهريين [1] ومحدثهم في عصره ... » .

قلت : إنه قد نقل الخبر من معجم الأدباء لياقوت الحموي كما أشار إليه في الحاشية ، وقد تأملته مودعاً كما تأملته قبلاً ، فلم أجد في قول ياقوت « عبيد الله بن أبي طاهر » تحريفاً ، فقد حفظتُ هذا الاسم بين أسماء الأدباء والمؤرخين ، وعبيدالله بن أبي طاهر غير عبيد الله بن عبد الله الطاهري ، قال محمد بن اسحاق النديم في الكلام على سيرة « ابن أبي طاهر » والد عبيدالله رواي الخبر المذكور : « أخبار أبي طاهر ، وهو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ، واسم أبي طاهر : طيفور ، من أبناء خراسان من أولاد الدولة [2] ... » وذكر أخباره وتآليفه وهي كثيرة في التاريخ والأدب والشعر والسياسة والقصص وغير ذلك ، ثم قال :

« ابنه عبيدالله ـ يعني عبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر ـ ويكنى أبا الحسين ، سلك طريقة أبيه في التصنيف والتأليف ، وروايته أقل من رواية أبيه ، فأما الدراية والتأليف فكان أحذق وأمهر ، فما لأبي الحسين من الكتب ما زاده على كتاب أبيه في (أخبار بغداد) فان أباه صل الى آخر ايام المهدي ، وزاد أبو الحسين أخبار المعتمد وأخبار المعتضد وأخبار المكتفي وأخبار المقتدر ، ولم يتمه ، وله من الكتب كتاب السكباج وفضائلها ، كتاب المقرظين والمقرظات [3] » . وقال في موضع آخر من الفهرست : « قرأت بخط أبي الحسين عبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر : الحسين ابن منصور الحلاج ، وكان رجلاً محتالاً مشعبذاً يتعاطى مذاهب الصوفية [4] ... » . ومن

---

(١) يعني شاعر أهله الطاهريين وأدبهم ومحدثهم ، وهذا التعبير أوضح من ذاك .

وراجع قول الأستاذ في الصفحة ٢٥٩ : « اعتز آل المنجم بمدح البحتري لهم ... بل كان يروق لبعضهم ان يقول على ما في ذلك من غلو إنه شاعرهم » .

(٢) الفهرست : « ص ٢٠٩ من الطبعة المصرية » .

(٣) المرجع المذكور « ص ٢١٠ » .

(٤) المرجع المذكور « ص ٢٦٦ » . وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان في ترجمة اسحاق بن محمد النخعي الأخير : « وقال عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر في كتاب أخبار المعتضد ، حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى ابن علي بن يحيى (ابن المنجم) حدثني أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع ... »

في ذم الحلاج وذكر شيئاً من سيرته الاجتماعية .

وقال الصلاح الصفدي : « عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر طيفور أبو الحسين ، توفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وكان أحذق من أبيه ، ومن تصانيفه الذيل على تاريخ أبيه في أخبار بغداد ، كتاب السكباج وفضائله [1] ، كتاب المستظرفات [2] والمستظرفين [3] » . وقال ياقوت الحموي في ترجمة أبيه أحمد بن أبي طاهر طيفور : « وأنشد له ابنه عبيدالله في كتابه : وما الشعر إلا السيف ينبو وحده [4] ... »

وقال الخطيب البغدادي : « عبيد الله بن احمد بن أبي طاهر ، واسم أبي طاهر طيفور ، وكنية عبيد الله (أبو الحسين) ، صرور وذي الأصل ، روى عن أبيه كتابه المصنف في أخبار بغداد ، وذكر ملوكها وشرح حوادثها ، حدث عن علي بن هارون المنجم و [روى عنه] أبو عمر بن حيويه [5] ، حدثنا علي بن أبي علي قال قال لنا محمد بن العباس بن حيويه : مات أبو الحسين بن أبي طاهر في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [6] » ، وقد روى عنه المرزباني حضوراً وبالواسطة كما في الموشح « ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ » وراجع « ص ٢٦٥ » . فعبيدالله بن أبي طاهر اختصار « عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر » . وهذا واضح بحمد الله تعالى وتوفيقه ، لا يحتاج الى فضل بيان .

٦٢ — ونقل الأستاذ الجليل في الصفحة ٢٧٥ بعض ما ذكره ابن السمعاني في الأنساب

---

(١) تقدم « وفضائلها » .

(٢) تقدم « المنظرفات والمتظرفين » .

(٣) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ١٩٩ » .

(٤) معجم الأدباء « ١/١٠٥ » .

(٥) زدت ما بين المتضادتين لأن أبا عمر محمد بن العباس بن حيويه المتوفى سنة ٣٨٢ هو الذي ينبغي أن يروي عنه « تاريخ بغداد ٣/١٢٣ » وقد وردت الكنية « أبو عمر » في تاريخ الخطيب مرفوعة لا مجرورة ، وفي ذلك دلالة على ذهاب شيء من الجملة ولولا ذلك لجرت .

(٦) تاريخ بغداد « ١٠ : ٢٤٨ » .

من سيرة آل المنجم قال : « وفيها كتب السمعاني عن آل المنجم فوائد لا نجدها في كتاب آخر فانه سمى فروعهم من أولاد علي بن هارون وذكر منهم أربعة ؛ وإن كان هذا الفصل لايخلو من الاختلال والاضطراب كما جاء في نسخة الكتاب[1] من قبيل تقديم طبقة متأخرة وبالعكس وهذا نص ما قاله السمعاني في الانساب « المنجم لمن يعرف علم النجوم ، وفيهم كثرة ، ومن المحدثين أبو الفتح أحمد بن علي من أهل بغداد ، حدث عن أبيه علي بن هارون المنجم ، روى عنه القاضي أبو القاسم التنوخي ، وفي عبارة الانساب بعد ذلك اضطراب فانها تتحدث عن يحيى ابن علي بن أبي منصور منجم المأمون الذي أسلم على يده وكأنه من أولاد أحمد بن علي وهـذا خلط لا نعلم منشأه بالضبط والمرجح أنه خلط من الناسخ ... »

وهذا القول صحيح فان نُسّاخ نسخة الانساب التي طبعت بخطوطهم قد شوهوا من أعلامها وعباراتها ، وسقطت منها من أيديهم ضروب من الجمل أخلّت بها إخلالاً بيناً ، وكان الأستاذ الجليل قد نقل في بعض مقالاته المتعة ما ورد مطبوعاً ناقصاً في الانساب من الكلام على آل الزينبي العباسي ، فطلبت الى الأديب ناشر المقالة أن ينبه القراء على النقصان[2] ، وذلك أني في اثناء اختصاري للانساب ، على حسب ذوقي التاريخي ، شعرت بجملة من ذلك الاخلال وأشياء من ذلك النقصان ، فتصحيح ما جاء في الانساب خاصاً بآل المنجم يكون على النحو الآتي :

« ... ومن المحدثين أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم . من أهل بغداد حدث عن أبيه علي بن هارون ، روى عنه القاضي أبو القاسم التنوخي ، وأما جدّ[3] أبيه : يحيى فكان منجم المأمون ونديمه وأسلم على يده ... » وكل ما أصلحنا منه

---

(١) قلت : وقع اختلال أيضاً في مادة « النجم » من كتابه « اللباب في تهذيب الانساب » للمؤرخ الشهير عز الدين بن الأثير وهو ناقل لكلام ابن السمعاني في هذه المادة ، قال : « وعرف به من المحدثين أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، حدث عن أبيه ... روى عنه القاضي أبو منصور منجم المنصور أمير المؤمنين وكان مجوسياً ، وأما ابنه يحيى فكان منجم المأمون ونديمه وأسلم على يده » .

(٢) راجع « سيرة المرتضى من شعره » في تصدير ديوان المرتضى « ١ : ١٥ » .

(٣) في الأصل « ابنه » وهي بقية قوله « جد أبيه » بتصحيف أبيه الى « ابنه » .

هو زيادة كلمة « جده » ووضع « أبيه » مكان « ابنه » المصحفة تصحيفاً مقبولا .

واما إصلاح ما في القباب فيكون على النحو الآتي : « ... وعرف به من المحدثين أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، من أهل بغداد ، حدث عن أبيه علي بن هارون ، روى عنه القاضي أبو القاسم التنوخي ، وجدّ جده أبو منصور منجم المنصور أمير المؤمنين كان مجوسياً ، وأما ابنه يحيى فكان منجم المأمون ... » .

٦٣ — وقال في الصفحة ٢٨٤ عند الكلام على سيرة اسحاق بن ابراهيم الموصلي : « ... مع أن المتبين بسيرته لم يقولوا أكثر من أنه كتب الحديث ، وهذه الجملة لا تعني أنه أصبح في عداد العلماء المتقطعين لهذه الشؤون » .

قلت : الذي ذكره أبو الفرج الاصفهاني في سيرته هو « وقد روى الحديث ولقي أهله مثل مالك بن أنس [1] » . وجاء في لسان الميزان : « قال أبو الفرج الاصبهاني في ترجمته : روى الحديث ولقي أهله . وروى عنه ابنه حماد ومحمد بن عطية[2] » فأبو الفرج الاصفهاني يذكر أنه روى الحديث ، وابن حجر العسقلاني يقول إن ابنه حماداً ومحمد بن عطية رويا عنه ، وفي كلا القولين تصريح بالرواية عنه لا يعني كتابة الحديث وحدها ولا الوقوف عند الاستماع ، غير أن الرواية عندهم عامة ، فيجوز أن يكون إسحاق روى الاخبار والحديث معاً . ومحمد بن عطية هذا هو المطوي الشاعر ، وقد ذكر الأستاذ الجليل جملة حسنة من أخباره وأدبه ومنها مجادلته لاسحاق بن ابراهيم الموصلي في وجوب الاختصاص الكامل والتخصص التام بالعلم والفن ، لمن يريد حقه ورتبته في المجتمع ، قال الاستاذ : « ناقش المطوي اسحاق في مجلس يحيى بن اكثم وأفحمه وزيف هواه في تطلعه وتطلعه الى المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها أئمة الفقه والحديث » . ولم يذكر الأستاذ ما قاله يحيى بن اكثم بعد هذا النقاش ، فقد قال للمطوي : « لقد وفيت الحجة وفيها ظلم قليل

(١) الأغاني « ٥ : ٢٦٩ » طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) لسان الميزان « ١ : ٣٥٠ » .

لاسحاق لانه ربما ماثل أو زاد على من فضّلته عليه وإنه ليقل في الزمان نظيره » . فهذا قول قاضي قضاة الأمة وفيه طعن في حكم المطوعي ، وقد كان إسحاق يستطيع أن يرد عليه بعض قوله إلا أنه كان بحضرة من يقوم مقام وزير العدالة في عصرنا ، فكانت اعتراضة وزير العدالة على الحكم أجدى على إسحاق وأوجه في التاريخ والمجتمع وكان المطوعي من أهل الجدل كلابياً [1] ، جاء في لسان الميزان : « محمد بن عطية أبو عبد الرحمن الشاعر وقيل هو ابن عبد الرحمن بن عطية ، بصري يعد من متكلمي المعتزلة ، وكان يذهب مذهب الحسين النجار ، اتصل بابن أبي دؤاد فحظي عنده ، وهو حسن الاشعار جيد الأوصاف قال المبرد : كان ظاهر العمامة والوسخ مقتراً عليه ، مدموماً بالنبيذ ، وله فيه وفي الصبوح أشعار كثيرة [2] » .

وقال الصلاح الصفدي : « محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية ، مولى كنانة ، بصري شاعر وهو أحد المتكلمين الحُذاق ، يذهب الى مذهب حسين النجار [3] وهو معتزلي ، كان زمن المتوكل ، قال :

فمن حكّمت كأسك فيه فاحكمْ ... له بإقالة عثـــر المثار

وقال :

فوحق البيان بعضده البر ... هان في مأقط أخ الخصام [4]

ما رأينا سوى الحبيبة شيئاً ... جمع الحُسن كلّه في نظام

وهي تجري بجرى الآصالة في الرأ ... ي وبجرى الأرواح في الأجسام

---

(١) قال السمعاني في الانساب ونقله مؤلف اللباب : « الكلابي : بفتح أولها واللام والباء وبعد الألف باء فوقها نقطتان . هذه النسبة الى محلة الكلام والاصول واشتهر بها أبو الحسن محمد بن سفيان بن محمد بن نجوه الأديب الكلابي ، هكذا ذكره الحاكم أبو عبد الله وكان مناظراً في الفقه والكلام ... ومات بالجوزجان قبل الخمسين والثلاثمائة » .

(٢) لسان الميزان « ٥ : ٢٨٥ » ، وفي نص اللسان المطبوع بالهند ، وهو الذي نقلنا منه ، تصحيف كثير في هذه الترجمة وغيرها يعد بمئات لا بعشرات .

(٣) في معجم الشعراء « ص ٤٣٢ » : الخياز وهو تصحيف .

(٤) هذا البيت وما يليه والثالث تدل على أن ناظمهن من المتكلمين حقاً ،

وقال :

لم أحاكم صروف دهري الى الأقـ ... ـداح حتى فقدت أهل السّماح
أحمـــد الله صارت الخمر تأسو دون إخواني الثقات جراحي[1]

وقال الوزير أبو عبيد البكري الأُوني : « هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن كنانة ، يكنى أبا عبد الرحمن ، من شعراء الدولة العباسية ، بصري المولد والنشأ » وقال أيضاً : « شاعر من شعراء الدولة الهاشمية ، وكان منزلياً قريباً في مذهبه ، متقدماً في جدله ، وبهذا المذهب اتصل بأحمد بن أبي دؤاد وتقرّب اليه ، وكان مختصاً به[2] ... »

ثم قال : « وأنشد أبو علي [القالي] :

وليس صرير النمش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قوم تقصف

هـــذا الشعر للمطوي أبي عبد الرحمن بن عطية الكناني مولاهم بصري ، قال أبو يعقوب : توفي أحمد بن أبي دؤاد ، فقال المطوي يرثيه من قصيدة ارتجلها وأنشد البيتين[3] »

ثم قال : « ومن أحسن ما خاطب محجوب محتجباً قول المطوي :

إذا أنت لم ترسل وجئت فلم أسل ملأت بعذر منك سمع لبيب
أتيتك مشتاقاً فلم أر حاجباً ولا ناظراً إلا بوجه مغضوب
كأني غريم مقتض أو كأنني طلوع رقيب أو صدود حبيب
فعدت وما قلّ الحجاب مزيتي الى شكر سبط الراحتين أريب
عليّ له الأحلام ما ردع الهوى أصالة رأي أو وقار مشيب[4]

---

(١) الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ » .
(٢) سمط اللآلي « ١ : ١٤٠ ، ٨٠٠ » .
(٣) المرجع المذكور « ١ : ٣٣٩ » .
(٤) المذكور « ١ : ٤١٨ ، ٦١٣ » ، والمطوي شعر في المدة بكرر « ٢ : ٦٥ » وفي بديع ابن المعتز « س ٤ » وكتاب المرصعات « ٣٨ » وأمالي الزجاجي « س ٥٦ » وزهر الآداب « ٣ : ٨٣ » ورسالة الجحاب لابن المدبر « ١٠٠ » ، ذكر ذلك المحقق عبد العزيز الراجكوتي ، وهذا من المستدركات أيضاً على الأستاذ الجليل .

٦٤ — وقال الأستاذ الجليل في ترجمة المطوي المذكور : ويستفاد مما قرأنا من مجموع شعر المطوي أنه كان فقيراً معدماً وإلى ذلك مرد انتقاله من البصرة الى بغداد وإقامته في كنف أحمد بن أبي دؤاد مؤيد المعتزلة والاعتزال ، وكان ابن أبي دؤاد بالاضافة[1] الى ذلك مؤالفاً لأهل الأدب من أي بلد كانوا ... »

قلت : ثبت ذلك بما أثبت المؤرخون في سيرته ، قال الخطيب ، وقد أشار الاستاذ الجليل الى ترجمته في تاريخه : « وكان مقتراً عليه ، ظاهر الدمامة والوسخ » . هذا وقول الأستاذ : « ... انتقاله من البصرة الى بغداد واقامته في كنف أحمد بن أبي دؤاد ... » يشعر بأن انتقاله كان في ايام المعتصم بالله وأن مقامه بعد الانتقال هو ببغداد ، على حين ذكر الاستاذ أنه دخل بغداد أيام المأمون وحضر مجلس يحيى بن أكثم ، ذكره نقلاً من معجم الأدباء ، ونقل بعد ذلك ما يفيد أن إقامته برهة من عمره كانت بسامرا لا ببغداد كما أراد هو بقوله المذكور آنفاً « انتقاله من البصرة الى بغداد وإقامته في كنف أحمد بن أبي دؤاد » . ومصداق ذلك قول البرد : « كان المطوي لا ينطق بالشعر معنا بالبصرة ، ثم ورد علينا شعره لما صار بسر من رأى وكنا نتهاداه » .

٦٥ — وقال في الصفحة ٢٩٣ في الكلام على المهلب وأبنائه : « وقد ظفر المهلب بن أبي صفرة أمير خراسان وأولاده من بعده في جميع اللاحم التي خاضوا غمارها في الشرق والغرب ، وكانوا قادة جيوش الدولتين الأموية والعباسية ...» . وأكثر هذا القول صحيح ، إلا أن بني المهلب ثاروا على بني أمية في آخر الأمر ، فقليهم بنو أمية في وقعة مقر بابل ، وكانت هذه الوقعة

(١) الصواب « مضافاً الى ذلك » ويجوز « إضافة الى ذلك » أما « بالاضافة الى ذلك » فمناه بالنسبة اليه ، قال أبو حيان التوحيدي في الامتاع ١ : ٢٠٧ « وهذه كلها غليظة بالاضافة الينا وفوق الدقيقة بالاضافة الى أعيانها » ، وقال ابن رشيق في العمدة : « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله » ، « ج ١ ص ٥٩ » ، وقال أبو الفرج الاصفهاني في الأغاني « ٦ : ١٦٤ » يعني سلم بن سلام السكوني : « كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وابراهيم وابنه اسحاق وقليح بن المورياء وحكم الوادي فيكون بالاضافة اليهم كالساقط » ، والشواهد كثيرة أبرزنا منها بهذه الثلاثة .(راجع ص ٩ منه) .

السبب فى دمارهم وتبارهم وقتل عبيدهم يزيد بن المهلب ، وأكثر أزوالهم وأبطالهم وأنجادهم وأبطالهم [1] . قال عزالدين ابن أبي الحديد : « ومن أبناء الضيم يزيد بن المهلب ، كان يزيد بن عبد الملك يشنؤه قبل خلافته ، لأسباب ليس هذا موضع ذكرها ، فلما أفضت اليه الخلافة وخلعه يزيد بن المهلب ونزع يده من طاعته وعلم أنه إن ظفر به قتله وناله من الهوان ما القتل دونه فدخل البصرة وملكها ... » . وقص خبر الحرب بينه وبين مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد بن عبدالملك ، وقتلهما إياه فى صفر بابل سنة ١٠٢ ، وقد قتل معه أخواه محمد بن المهلب وحبيب بن المهلب ثم هرب بنو المهلب من العراق خوف استئصال بني أمية لهم : حملوا عيالهم فى السفن ولججوا فى البحر تلجيجاً ، فبعث اليهم مسلمة بن عبد الملك بمثاً عليه قائد من قواده هو هلال بن أحوز المازني فأدركهم فى قندابيل ، فتحاربوا وقاتل آل المهلب يومئذ فقتلوا من آخرهم (كذا) وهم المفضل بن المهلب وزياد بن المهلب ومروان بن المهلب وعبد الملك بن المهلب ومعاوية بن يزيد بن المهلب والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رؤوسهم الى مسلمة بن عبد الملك ، وفى أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه ، واستأمر الباقون فى الرقعة فحملوا الى يزيد بن عبد الملك بالشام وهم أحد وجلاً . فطلب اليه أن يعفو عنهم فلم يجب الى ذلك وأمر بقتلهم فقتلوا صبراً بين يديه ، وبقي منهم صبي صغير فقال لهم : اقتلوني فلست بصغير [2] ولا خير فى العيش بعد أهلي . فأمر يزيد بن عبد الملك به فقتل ، وهؤلاء الذين قتلوا صبراً هم المبارك وعبد الله والمغيرة والفضل والمنهال بنو يزيد بن المهلب ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل بن المفضل بن المهلب لصلبه (كذا) ، والمفضل بن قبيصة

---

(١) راجع تاريخ أبي جعفر الطبري فى سنة (١٠١ — ١٠٢ هـ) ج ٨ ص ١٤٤ — ١٦٠ من الطبعة المصرية الأولى ، ووفيات الأعيان ج ٢ : ٤١٤ — ٤١٨ ، وكامل المبرد ج ٣ : ٢٤٨ من طبعة الدالجموني . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، وتاريخ ابن واضح اليعقوبي ج ٣ : ٥٢ من طبعة النجف ، ومروج الذهب ج ٣ : ١٣٤ من طبعة دار الرياء . والكامل في حوادث سنة ١٠٢ هـ وأنساب العرب تأليف سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري ، نسخة باريس ١٩٠٥ ، الورقة ٢٢٥ .

(٢) حذفنا من قوله ما لا حاجة بالقارىء اليه .

ابن المهلب ، ولم يبق بعد هذه الوقعة الثانية لأهل المهلب باقية سوى أبي عيينة بن المهلب وعمرو ابن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب فانهم لحقوا برتبيل ثم أخذوا بعد ذلك [1] » .

إذن لايصح أن يقـــال « إن أولاد المهلب ظفروا في جميع اللاعم التي خاضوا غمارها في الشرق والغرب » . فقل استؤصلوا في هاتين الوقعتين استئصالاً فظيعاً ومشياً شنيعاً ، ولا غرو في أن بقايا السيوف منهم انضموا إلى بني العباس ونصروهم وآزروهم ، قال أبو العباس المبرد : « وكان يقال : « ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلا وضحى بنو مروان بالمروءة يوم النقر ، فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي بن أبي طالب وأصحابه ، ويوم النقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه [2] »

وقال الكلبي : « نشأت والناس يقولون : ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم النقر [3] » . ونقل ابن خلكان أيضاً في ترجمة كثير عزة قال : « ولما قتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وجماعة من أهل بيته بمقر بابل ... وكانوا يكثرون الاحسان الى كثير ، فلما بلغه ذلك قال : ما أجل الخطب !! ضحى بنو حرب بالدين يوم الطف ، وضحى بنو مروان بالكرم يوم النقر . وأسبلت عيناه بالدموع » .

٩٦ — وجاء في الصفحة ٢٩٥ قول يزيد بن محمد المهلبي [4] :

والنقر والكلب إما كنت ذا جلد ... وإن ضعفت والشيك

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ١ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ » .

(٢) الكامل في الأدب ، ٣ : ٢٤٨ ، طبعة الدالجموني .

(٣) الوفيات ، ٢ : ٤٢٩ » .

(٤) نقلا من طبقات الشعراء ، ص ١٤٩ » وهي الطبعة التي ساعدت بإشرافها على تصحيحها عند طبعها بصورتها الأصلية ، وقد طبعت ثانية بمصر طبعة جيدة ، وقد جاء في الصفحة ٩٦ من هذه الطبعة ترجمة لقول الأستاذ عباس اقبال من الفرنسية الى العربية وهو « وإني أشكر صديقي السيد محمد كاظمي (كذا أي الكازروني) الذي ساعدني وجعلني أستفيد من مكتبته الخاصة وكذلك الدكتور مصطفى جواد أحد المؤرخين والعلماء المشهورين ببغداد ، وقد ساعدني في عدة مواضع ... » كذا قال .

وقال في التعليق على البياض العارض في هذا البيت : « في الأصل كلمة محرفة غير مفهومة ». وقد صحح الأستاذ عباس إقبال كلمة « فريس » بـ « فريش » وصحح الأستاذ الآخر المعرَّف غير المفهوم فصار الشطر « وإن ضعفت فريشي الدبق والشبك » .

٦٧ — وقال في الصفحة ٣٠١ « وصف الزوّ ومواكب اللهو : كان المتوكل معنياً جداً بأسباب اللهو والمرح واختيار ندمائه ودعوتهم الى حفلاته بكثير من الالطاف والرعاية وقد بلغ من التأنق في ذلك مبلغاً بعيداً حتى أمر بصنع سفينة تحاكي بضخامتها قصراً أو صرحاً مشيداً أطلق عليها اسم الزوّ لتقام فيها حفلات اللهو والأنس ، وكانت تمخر عباب الماء في دعة والقاطول ... » ، ثم قال في حاشية الصفحة ٣٠٦ : « الزوّ في أصل اللغة الزوج ضد الفرد يقال جاءا زوأ . أي معاً ، وقد أطلقت كلمة الزو على سفينة صنعت للمتوكل ، والغالب أنها سفينة مزدوجة أو مركبة من سفينتين ... ». ونقل قول الزبيدي في التاج وَوَهَم الجوهري في اعتداده الزوّ جبلاً ثم قال : « ولاحظ أن حروف الزوّ هي بعينها حروف كلمة الزوج ما عدا الحرف الأخير ، وربما كانت لغة قديمة أو لهجة في الزوج » .

قلت : قد قال ذلك قديماً ياقوت الحموي في معجم البلدان ونص قوله « زوّ بفتح أوله وتشديد ثانيه ، الزو : نوع من السفن عظيم ، وكان المتوكل بنى في واحدة منها قصراً منيفاً ونادم فيه البحتري وله فيه شعر في قصيدة (ألا هل أتاها بالمغيب سلاي) يقول فيه : ولا جبلاً كالزو . والزو في اللغة الزوج والند الفرد ، والزو القمر ، والزو الذي يغص فيه شعر الضأن والمعز منه زوء المئية بالهمزة ما يحدث من حوادث المنية » .

فقوله « وكان المتوكل بنى في واحدة منها ... » يدل على أن الزو كانت معروفة قبل المتوكل ، وأن المتوكل لم يطلق هذا الاسم على ذلك الضرب من السفن بل كان الاسم شائعاً من قبل ، فأما كون الزو معروفة من قبل فدليله ما جاء في حوادث سنة ١٨٧ هـ في تاريخ الطبري ، قال في أخبار الرشيد : « ... فحدثني العباس بن الفضل بن الربيع قال : جلس الرشيد في الزو في الفرات ...

ثم قال العباس : اخرج وُمر برفع النضائج المطروحة على الزو، ففعل ذلك[1] ... » . والدليل أيضاً ماورد في حوادث سنة (٢٢٠) في خلافة المعتصم بالله قال: « ذكر ما فيها من الأحداث ، فمن ذلك ما كان من دخول عجيف بالزط بغداد وقهرهم إياه . . وصبأهم في زواريقهم على هيأتهم في الحرب معهم البوقات حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة (٢٢٠) والمعتصم بالشماسية في سفينة يقال لها الزو[2] ... » . وما ورد في أخبار الحسين بن الضحاك ، يرويه أبو الفرج الاصفهاني بسنده الى إبراهيم بن الحسن بن سهل ، قال: « كنا مع الواثق بالفاطول وهو يتصيد ، فصاد صيداً حسناً وهو في الزو ، من الإوز والدراج وطير الماء وغير ذلك[3] ... » .

وأما الذهاب ولو استرجاحاً الى أن « الزوّ » مأخوذ من الزو الكلمة العربية بمعنى الزوج فغير وارد ، والصحيح أن الزو كلمة صينية وهي اسم لضرب من سفن الصين ، تُقلد صنعها في العراق ، قال ابن بطوطة : « ذكر مراكب الصين ، ومراكب الصين ثلاثة أصناف : الكبار منها تسمى الجنوك ، واحدها جنك (بجيم مضمومة ونون ساكن) والمتوسطة تسمى الزو (بفتح الزاي وواو) والصغار يسمى أحدها الكَكم (بكافين مفتوحين) ... ويتبع كل مركب منها ثلاثة : النصفي والثلثي والربعي ، ولا تصنع هذه المراكب إلا بمدينة الزيتون من الصين أو بصين كلاي وهي صين الصين[4] ... » .

٦٨ — وقال في الصفحة ٣٠٨ : « فهذا أحمد بن أبي طاهر طيفور مصنف تاريخ بغداد وهو من الأخباريين والرواة المدونين ...» « . وكان الأستاذ الجليل قد فرغ من التعريف به في الصفحتين ٢٧٧ ، ٢٧٨ وقد كرّر مثل هذا التكرار في جملة من نكت الكتاب ، وذلك يدل على أنه ألفه في أوقات مختلفة ، فاتت أربعين سنة كما قال في « ص ٣٤ ، ٣١٣ منه » .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك « ١٠ : ٨٦ من الطبعة المصرية الأولى » .

(٢) المرجع المذكور « ص ٣٠٦ » .

(٣) الأغاني « ٢ : ١٥٨ طبعة دار الكتب المصرية » .

(٤) تحفة النظار في غرائب الأمصار « ٢ : ١١٦ طبعة مطبعة التقدم بالقاهرة سنة ١٣٢٢ » .

٦٩ — ونقل الشيخ الجليل في حاشية الصفحة ٣٠٩ خبراً أدبياً من كتاب « الموازنة » للآمدي ، يقول فيه الآمدي : « حكى أبو عبد الله محمد بن داود الجراح في كتابه ... أن ابن أبي طاهر أعلمه أنه أخرج للبحتري ستمائة بيت مسروق ... » . وزاد الأستاذ بعد قوله (في كتابه) ما هذا نصُّه « لم يرد في هذه الحكاية اسم كتاب ابن الجراح فلعله غير كتاب الورقة لأن كتاب الورقة خال من هذه الرواية » .

قلت : إن قول الآمدي « في كتابه » يشعر بأنه لم يكن يحسب له كتاباً ثانياً ، فلا بد أن يكون مريداً له وعانيا إياه لا كتاب الشعر والشعراء ولا كتاب الأربعة من كتبه . والمطبوع من كتاب الورقة يدل على أن نسخته ناقصة وذلك لقول الناسخ — ص ٥ — : « هذا آخر ما وُجد في النسخة العتيقة ... » ولقول الدكتور عبدالوهاب عزام ناشر الكتاب — ص ١٠ — : « والظاهر أن في هذه النسخة نقصاً ، يدل عليه ما نجده في كتب الأدب والتراجم من نصوص منقولة من كتاب الورقة لا نجدها في النسخة » . وذكر من النصوص المفقودة ما ورد في ترجمة إبراهيم بن العباس الصولي في الوفيات ، وما ورد في ديوان أبي نواس من أخبار له منقولة من كتاب الورقة لا أثر لها في المطبوع منهما[1] ، فهذا كما ترى .

٧٠ — وقال في الصفحة ٣١٣ : « نشر جزآن من كتاب الأوراق للصولي أحدهما في أخبار الراضي والثاني في أخبار الشعراء ، والمرجح أن تمام الكتاب أكثر من خمسة أجزاء ... » . والصحيح أن ثلاثة أجزاء منه نشرت ، وهي الجزآن اللذان أشار إليهما الأستاذ الجليل والجزء الذي نشر بالقاهرة أيضاً سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦[2] ، نشره ناشر الجزءين

(١) وجدت أنا من التراجم التي ليست في النسخة المطبوعة وهي من الأصل ترجمة « فضل الشاعرة » و « سعيد بن حميد » و « أبي الحسن علي بن ثابت الأنصاري » و « عبد الله بن العباس بن عبد المطلب » و « عبيد الله بن إسحاق الكاتب » ، و « محمد بن عمر بن سعيد الحربي » . ولعلي أجد فرصة فأنشرها من مظانها .

(٢) ذكر فيه محمد بن السفاح وسليمان بن المنصور وعبد الله بن إبراهيم بن المهدي وعلية بنت المهدي =

المذكورين الأستاذ هيورث المستشرق ، وفي الثلاثة أوهام وتصحيفات عدّة لعلي أنشرها قريبـــاً .

٧١ — ومن أغرب ما رأيت في هذا الكتاب المتع تصحيح الأستاذ الجليل أحياناً التركيب الصحيح بالتركيب الغلط : صحح في الصفحة ٣٢ « ثمن عشرة سنة » وهي تركيب صحيح قريب في الصحة من ثماني عشرة ، صححها بثمانية عشر ، وصحح في الصفحة ١٧٥ « خمس عشرة سنة » وهي من التركيب الصحيح بـ « خمسة عشر » .

وصحح الغلط بالغلط في الصفحة ٩٩ : صحح ثمانية عشرة سنة « بثمانية عشر » والصواب «ثماني عشرة » على الفصيح و «وثمان عشرة » على غير الفصيح، وكان قد فعل مثل ذلك في الصفحة «٤٤٤» . وكان قد قرأ ترجمة علي بن يحيى بن المنجم في معجم الأدباء ومن شعره في مدح الفتح ابن خاقان :

قريع الموالي سماد في خمس عشرة موالي بني العباس لم يبق واحدا [1]

هذا وقد وقع خطأ في أرقام الفهرس لا يستهان من به فضلاً من الخطأ في الأعلام ففي ص٣٢٣ طبع ابن دريدة البغدادي بدلاً من « ابن دريدة » وفي ص ٣٣٠ عبد العزيز بن الخليفة المعتز بدلاً من «عبدالعزيز بن المستنصر بالله » ، وفي ص ٣٣١ عماد الدين القزويني القاضي بدلاً من «... القضوي » وفي ص ٣٣٤ هبة الله الصوفي نقيب العلويين . بدلاً من « نقيب العباسيين » .

٧٢ — وجاء في الصفحة ٣٤٢ قول الأستاذ الجليل : « قال في المعجم وهو يترجم لمجد الدين سعد بن إبراهيم المعروف بالنشاشيبي الاربلي الكاتب الشـــاعر : رتب مشرفاً بنهر الملك ، له أشعار » .

قلت الذي حفظناه أنه « أسعد » لا « سعد » وقد رجعت إلى مرجع الأستاذ الجليل وهو

= وعبدالله بن موسى الهادي ومحمد بن الرشيد وعبدالله بن الأمين وهارون بن المعتصم ومحمد بن المتوكل وعبدالله ابن المعتز وعبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وعيسى بن موسى بن محمد بن علي وأبو العبر .

(١) معجم الأدباء « » : ٤٢٢ » .

تلخيص معجم الألقاب فاذا هو «أسعد» ولكنه لما نقله منه تصحّف عليه ، قال ابن الفوطي : « مجد الدين أبو الفضل [و] أبو سعد أسعد بن إبراهيم بن الحسن يعرف بالنشاشيبي (كذا) الإربلي الكاتب ... » . وقال ابن شاكر الكتبي : « أسعد بن إبراهيم بن حسن مجد الدين النشابي[1] ... » . وقال كمال الدين عمر بن العديم الحلبي مؤرخ حلب في كتابه بغية الطالب في تاريخ حلب : « أسعد بن إبراهيم الإربلي المعروف بالمجد النشابي ، شاعر حسن الشعر ، قدم إليها حلب واتصل بخدمة الوزير شمس الدين محمد بن عبد الباقي بن أبي بملي[2] ... » .

وقال ابن تغري بردي : « أسعد بن إبراهيم بن حسن العلامة مجد الدين النشابي الإربلي[3] ... » .

وعامّة المؤرخين الذين ذكروه نسبوه « النشابي » إلا ابن الفوطي أو ناسخ معجمه المطبوع قد سماه « النشاشيبي » وهو نسب غير معروف في القدماء دون بعض المعاصرين وهو « الأديب الفلسطيني النشاشيبي » . وقد نسب مؤلف كتاب الحوادث قصيدة موفق الدين عبد القاهر ابن الفوطي الحنبلي ، الدالية التي ذكرت أبياتاً منها فيما سبق من هذه الملاحظات ، إلى المجد

---

(١) فوات الوفيات ، ١ : ١٧ طبعة محمد محي الدين عبد الحميد بالقاهرة ، وفيها أوهام كثيرة ، منها انتقال صفحة من ترجمة « أحمد البلقي » في ص ١٣٤ الى ترجمة إبراهيم بن سليمان بن حمزة ص ٨ وتصحف عليه « البلقي » إلى « الثقفي » . ومنها « أحمد الدوبيتي » في « ص ٦٠ » والصحيح « أحمد الديتي » الأديب المشهور ، المترجم في البداية والنهاية وتلخيص معجم الألقاب والذهبيات والمذكور في شرح نهج البلاغة « ٤ : ٤٠ » ومنها « حلاو شاة وبنو لاي » يعني القائدين المغوليين المشهورين « خلاوشاه وبولاي » ، ونقل ترجمة الشيخ صدر الدين الوكيل الى الصفحة ١٠٩ من الجزء الأول مع الأحمدين مع أن اسمه « محمد » وترجمته في الجزء الثاني . « ص ٤٤٥ » . وجعل حسام الدين بركة خان في ص ١٦٦ « حسام الدين بن كرخان » وصير « توريز » توربن في ص ١٢٦ ، والجواني في ص ٢٠٤ صيره « الحراني » ، وتوجين في ص ٢١١ « تمرجين » ، واليسق في ص ٢١٢ « النسق » ، وابن الجباب في ص ٢٤٤ « ابن الحباب » وسداد بن إبراهيم الجزري صيره « شداد بن إبراهيم » .

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٨ الورقة ١٩ ظ .

(٣) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي « نسخة الدار المذكورة ٢٠٦٨ الورقة ١٧٣ ظ » .

النشابي هذا [1] وهي ليست من بزّه ولا من سوقه ولا من ذوقه .

٧٣ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ٣١ في الكلام على الخلل الواقع في الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب والبحث والتلفيق كما سماه هو : « أوقعنا هذا البحث أو التلفيق كما أوقع غيرنا في أوهام لم نفطن إليها إلا بعد مضي زمن غير قليل ... » . وليت الأستاذ الجليل ذكر غيره فرداً أو جماعة ، اعترف أخطاءهم ومزالقهم في النقل من هذا الكتاب ، وليته ذكر الأوهام فصححها كما حاولت أنا خدمة للتاريخ والحقيقة ، فإن تصحيحها واجب أدبي مقدّس ، ونبهة السكوت عليها غليظة ، ونرجو منه رجاءاً مؤكداً بالابتهال أن يذكر في مستقبل الأيام الأوهام التي وقع فيها غيره .

٧٤ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ١٢ : « علّق بخطه — يعني ابن الفوطي — على ترجمة عميد الدين عبدالمطلب بن علي بن المختار النقيب ، وهو من صدور العراق الذين اتصل بهم ، ما هذا نصّه : « وقد ذكرته في التاريخ وتوفي وأنا يومئذ في أذربيجان سنة ٧٠٧ . ولم يسم ابن الفوطي كتاب التاريخ الذي ذكره فيه ، ونرجح أنه معجمه الكبير الذي اختصر منه هذا الكتاب » .

قلت : لا أرى وجهاً لهـــذا الترجيح ، فالمعجم المفقود الذي أشار إليه لم يسمه هو باســـم « التاريخ » كما لم يسمّ تلخيص ذلك المعجم بالتاريخ ، وإنما التاريخ الذي أراده هو « تاريخ الحوادث » الذي ذكره في التلخيص غير مرة ، حكى قوله في ترجمـــة عز الدين أبي محمد شرفشاه بن محمد بن عبد الرزاق الجعفري الطبرســي الصدر الصاحب : « تقلّب في الأعمال الجليلة ، ومرّت على رأسه أمور عجيبة ، وقد ذكرتُ ذلك في حوادث التاريخ [2] ...» وقال في ترجمة عز الدين الحسين بن محمد ابن النيار البغدادي : « وعزلني ابن الساقولي مما كان

(١) الحوادث « ٣٢١ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٤٩ من النسخة الأولى بخطي » .

بيدي فتركت الترداد إليهم وذلك سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، وقد ذكرت ذلك مستوفى في التاريخ والحوادث المرتب على السنين [1] » . وقال ترجمة فلك الدين أبي نصر محمد بن عبدالله السنجاري الكاتب : « وتوفي في رجب سنة عشر وسبعمائة وله شعر حسن ورسائل وأخبار ذكرتُ في التاريخ أكثرها » . وقال في ترجمة كمال الدين منصور بن أحمد ابن الشديدي الكوفي : « وقد ذكرته في التاريخ وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وستمائة [2] ... » وقد تقدمنا ذكر هذا الرجل . وقال في ترجمة مجد الملك هبةالله بن محمد بن هبة الله البزدي : « وجرت له أقاصيص ذكرتها في التاريخ » ، وقال في ترجمة علاء الدين أبي منصور عطا ملك بن محمد الجويني المشهور : وهو الذي أعادني إلى مدينة السلام وفوّض إلي كتابة التاريخ والحوادث ، وله رسائل وأشعار وحكم وأمثال يضيق هذا المختصر عن ذكرها [3] » . وقال في ترجمة فخر الدين أبي الفضل أحمد بن الحسن بن محمد الآملي التبريزي : « الصاحب المعظم ، من أكابر تبريز وأعيانها وأماثلها . ولما تسلم الوزير علي شاه الوقف من نواب خواجه أصيل الدين الحسن بن مولانا نصير الدين تقدم بجمع النواب ، لعمل الحساب ، وقدم بغداد ... وذكرت ذلك في التاريخ مستوفى [4] ... » .

ثم إن المؤرخين يذكرون معجم الألقاب باسمه حين يذكرونه ولم يسمه أحد بمجرد « التاريخ » بل موصوفاً موسوماً بالألقاب ، قال الشمس الذهبي في حوادث سنة ٦٨٣ : « محمد ابن محمد بن محمد الوزير الكبير شمس الدين أبو المكارم الجويني ، وزير الدولة التترية والحاكم في المغول ، نفذت أقلامه في الأقاليم ، وله رسائل وأشعار ، وقد ذكره ابن الفوطي مستقصىً في معجم الألقاب وقال : قتل بنواحي أبهر بعد أن كتب وصيته بيده ، سمعنا من لفظه قصائد

---

(١) التلخيص « ٤ : ٢ من نسختي المذكورة » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ج » في الترجمة ٦٠٠ من الكاف » .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٦٣ من نسختي بخطي .

(٤) التلخيص « ٤ : ٢١٩ » .

بتبريز ، قتل في رابع شعبان [1] » . وقال في ترجمة أخيه علاء الدين الجويني : « ولي علاء الدين نظر العراق سنة نيف وستين [وستمائة] بعد العماد القزويني فأخذ في عمارة القرى وأسقط من الفلاحين مغارم كثيرة الى أن تضاعف دخل العراق ، وعمر سوادها ، وحفر نهراً من الفرات مبدؤه من الأنبار ومنتهاه الى مشهد علي ـ رضي ـ فأنشأ عليه مائة وخمسين قرية ، ولقد بالغ بعض الناس وقال : عمر صاحب الديوان بغداد حتى كانت أجود من أيام الخليفة ووجد أهل بغداد به راحة ... وكان الرجل الفاضل إذا صنف كتاباً ونسبه اليها — يعني علاء الدين وأخاه شمس الدين ـ تكون جائزته ألف دينار ، وقد صنف شمس الدين محمد بن الصيقل الجزري خمسين مقامة وقدمها فأعطي ألف دينار [2] ، وكان لها إحسان إلى العلماء والصلحاء ، وفيها إسلام ولها نظر في العلوم الأدبية والعقلية ، وفي وقتنا هذا الامام المؤرخ العلامة أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي مؤرخ عصره ، قد أورد في تاريخه الذي على الألقاب ترجمة علاء الدين مستوفاة ... » ثم قال : نقلاً من معجم الألقاب : « كتب لي ـ يعني ابن الفوطي نفسه ـ منشوراً بولاية كتابة التاريخ بعد شيخنا تاج الدين علي بن أنجب [3] » .

ثم إن الشيخ الجليـــل قد كان اعترف بأن من تآليف ابن الفوطي كتاب « الحوادث والتاريخ » وأنه الكتاب الذي طبعته أنا باسم « الحوادث الجامعة » خطأ ، وبهذا الاسم أعني « كتاب الحوادث والتاريخ » متون رأيه الذي قدم به كتاب الحوادث [4] ، ولم يذكر هناك أنّ هذا الكتاب يعنى به معجم ابن الفوطي الكبير ، أو الحوادث الجامعة ويستبعد منه بالبداهة أن يسوي بينهما ، فكيف صار الى هذا الرأي الجديد ؟!

---

(١) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية ، ١٠٤٠ الورقة ٣٣ » .

(٢) ارجع الى قول الشيخ الفاضل الذي نقلناه قبلا : « وخلت غالباً من العلماء والأدباء وفقد المؤلفون والمصنفون والباحثون ... » .

(٣) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية ١٠٤٠ الورقة ١٦٨ » .

(٤) مقدمة كتاب الحوادث « ص ١ » .

٧٥ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٩٥ : « أدرك ابن الفوطي في حداثته انحلال الدولة العباسية واجتياح المغول للمشرق وفي جملته العراق حتى أصبحت هذه البلاد جزءاً صغيراً من مملكة المغول وخلت غالباً من العلماء والأدباء وفقد المؤلفون والمصنفون والباحثون وجرى على حملة الفنون والعلوم ما جرى من التقتيل والتشريد » .

قال الأستاذ الجليل ذلك ثم ذكر في أثناء الكتاب ما يخالفه ، قال في الصفحة ١٤٦ : « فالحق أن الجويني — يعني علاء الدين — لم يكن دون القزويني إن لم يتفوق عليه في التوسل بجميع الوسائل الممكنة لبث حركة عمرانية كبرى في العراق بأسره ، فهو الذي جدد كثيراً من المدارس القديمة ومنها المستنصرية وهو الذي أنشأ جملة من المدارس ودور الكتب وغير ذلك ، كما أنشأ جملة من الرباطات واللاجىء والمستشفيات[1] وأجرى عليها الجرايات وعني بتعمير المشاهد في النجف والحائر ومشهد الكاظمين ، وحفر الأنهار والترع وأجرى الماء من الفرات الى الكوفة فالمشهد النجفي وهو الذي شجع حركة التأليف والمؤلفين وأجزل العطاء والبذل لهم ، ومن هذه الناحية نجد جملة من (أمهات الأسفار والمصنفات في شتى الموضوعات العلمية والادبية والتاريخية مهداة لخزائنه أو خزائن أهليه وذويه) ولا نظن القزويني عمال الدين[2] يستطيع مجاراته في هذه الناحية ففي الوسع أن نقول إن الجويني برّ جميع وزراء المغول في بعث حركة إنشائية كبيرة شملت العراق وفارس وأذربيجان تشهد بذلك المدارس والمكتبات والكتب

---

(١) لم نجد في العراق ولا في بغداد مدرسة واحدة تعرف بمدرسة علاء الدين الجويني ، أما مدرسة زوجته « المصمتية » فهي لزوجته بالبداهة ، ولم نجد ببغداد دار كتب عرفت باسم « دار كتب علاء الدين الجويني » ولا رباطا سوى رباطه بمشهد الامام علي — ع — ولا مارستاناً « مستشفى » باسم « مارستان علاء الدين الجويني » ، بل عمر دار الشفاء بخوزستان كما ذكر ابن الفوطي في سيرته . وقد عمر بركة جامع الكوفة كما ذكر ابن فضل الله العمري قائلا ، فهل يفيدنا الشيخ الجليل تعريفاً بمرجعه التاريخي ؟ .

(٢) قال في الصفحة ١٤٤ في سيرته نقلا من معجم ابن الفوطي : « عمر المساجد والمدارس ورمم الربط والمشاهد وأجرى الجرايات من وقوفها للعلماء والفقهاء والصوفية وأعاد رونق الاسلام بعد ما ذهب وفاز بهذا الفضل الجميل الذي يبقى على جبهات الزمان حسن الأجر والثناء » .

والمعاهد العلمية » . وهذا لا يحتاج إلى فضل إيضاح .

وكان واجباً أن يضاف الى منشآت علاء الدين الجويني . الخان الذي كان يستغله وينتفع به وقد بناه في أرض كان السلطان يتفقون بها جيداً ، قال ابن الفوطي في ترجمة علاء الدين أحمد ابن عبيدالله الأسفماني الأصل البغدادي المحتد المحتسب : « ورامى جانب الصاحب علاء الدين وعمر له الخان الذي أسسه بباب القربة على شـــاطيء دجلة وظلم الناس الذين كانوا يسكنون منه وأوجب له أنه هرب من العراق الى الشام ثم الى الحجـاز وتصوف وجاور الحرم الشـريف سنة إحدى وثمانين وستمائة [1] » .

٧٦ — وقال في ذكر ملكات ابن الفوطي في الصفحة ١٧ : « وكانت له خبرة عملية في الموسيقى ، ومن الأدلة على ذلك إشارته إلى قصيدة معاصره الأديب العراقي المدعو معين الدين الطنطراني [2] التي مطلعها :

يا خلي البـال قـد أفـ	ـرحت بالبلبـــال بال
بالنوى زلزلتني والـ	ـعقـل في الزلزال زال
يا رشيق القد قوّ	ـمت فـدي فاستقم
في الهوى وافرغ فقد	جي شاغل الأشغال غال

وقد سماها « القصيدة المرجّعة المصنوعة) أو كما يقال في مصطلحات الموسيقى هذا اليوم (القصيدة الملحنة) فهو خبير بالفن المذكور » .

ولا أرى هذا الاستدلال مستقيماً بحيث يتخذ دليلاً على معرفة ابن الفوطي الموسيقى ، ولم يذكر الأستاذ الجليل أين وجد أن معنى « المرجّعة » هو « الملحّنة » فالمصطلحات ينبغي أن يُذكر صاحبها التاريخي أو الفني ، وابن الفوطي لم يذكر في الترجمة أن القصيدة مُنشاة فضلاً

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٥٥ من نسختي بخطي » .

(٢) هو أبو محمد إسماعيل بن محمد بن اسماعيل المتوفى سنة ٦١٣ « تلخيص معجم الألقاب ج ٥ الترجمة ١٤٠٥ من اللام » .

من أن يذكر أنها (ملحنة) ، وقوله « مرجمة مصنوعة » يُريد أن فيها صنعة بديعية وجناساً (مردّداً) ، وأن قافيتها (مرجمة) في آخر كل بيتين بعد الأولين ، قال رشيد الدين محمد الوطواط البلخي : « التجنيس المكرر ويسمونه أيضاً (المردّد) أو (المزدوج) ويكون بأن يجعل الكاتب أو الشاعر في نهاية الاسجاع أو أواخر الأبيات لفظين متجانسين ، ويجب أن يكون هذان اللفظان متتاليين، ويجوز أن تكون في صدر اللفظ الأول منها زيادة ؛ ومثاله (النبيذ ينير الغم غمّ ، وينير الهمّ همّ) . (من طلب شيئاً وجدّ وجد) . (من قرع باباً ولجّ ولج) ... ويقول أبو الفتح البستي :

أبا العباس لا تحسب بأني ... لشيبي من حُلى الأشعار عار

فلي طبع كسلسال معين ... زلال من ذرا الأحجار جار

إذا ما أكبت الأدوارُ زندا ... فلي زند على الادوار وار[1] ».

هذا وقد راجعت ما عندي من كتاب مسالك الأبصار في مبحث الثناء والمثنين ، فلم أجد فيه شيئاً يؤيد قول الأستاذ الجليل ، وانما وجدت قوله ناقلاً : « ... قال صدقة بن محمد الملحن : حضرت القاضي أبا حامد الشهرزوري وقد صنعت لحناً في أبيات البحراني : أيها البارق من وادي سلم[2] ... » ثم قال في ترجمة زين الدين بن الدهان الموصلي : « ومن أصواته ما رواه لي عنه الجمال المشرقي في الراست : يا نار أسود قلبي[3] ... » . ثم قال في ترجمة صفي الدين الأرموي : « وحدثني الجمال المشرقي عنه وذكر عدة أصوات له فنها في شعر المتنبي : اليوم موعدكم فأين الموعد[4] ... » . ثم قال « وكانت أكثر أصوات الكمال المشرقي

---

(١) حدائق السحر في دقائق الشعر ، ص ٩٨ » .

(٢) مسالك الأبصار ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٨٧٠ ، الورقة ١٥٤ » .

(٣) المرجع المذكور ، الورقة ١٥٥ » .

(٤) المذكور ، الورقة ١٥٧ » .

فى الأشعار المنظومة بالفارسية[1] » .

والمعروف فى الغناء أن « الترجيع » هو ترديد الصوت فى الحلق وهو مأخوذ من « ترجيع المؤذن » قال الفيومي فى المصباح المنير : « ورجّع فى أذانه بالتثنية إذا أتى بالشهادتين مرة خفضاً ومرّة رفعاً » ، ومنه قول أبي حيان التوحيدي : « ولاطرب ابن غيلان على ترجيعات بلّور[1] » . فالترجيع شعبة من شعب الأصوات الاصطلاحية أي الألحان الغنائية وهو معروف فى الغناء وليس هو التلحين .

٧٧ — وقال الأستاذ الجليل فى الصفحة ١٨ : « وقد يبلغ شغفه — يعني ابن الفوطي — بالتصوّف والتصوفة حد التهوّس فهو يلهج بذكر الصوفية الفقراء » وهي تزمة من تزماته القوية التي نشأت من وجوده فى ديار العجم على الأكثر فى ذلك العصر ... » .

قلت : لم تكن ديار العجم مختصة بالتصوف والصوفية والمتصوفين والفقراء منهم ، حتى يقال إن تزعته الصوفية القوية نشأت من وجوده فى ديار الأعاجم ، فالتصوف ألصق بالمذهب الشافعي والشافعية منه بأي مذهب آخر ، وبغداد كانت فى أيام ابن الفوطي من معادن المذهب الشافعي ومراكزه ، وكان فيها من الرُبط « الخانقاهات » والزوايا ما لم يكن مثله فى مدينة أخرى ، حتى لقد أخذت جماعة من الحنابلة مذهب التصوف بالمنافسة والمباراة ، لوجود الكثرة الكاثرة منهم فى شافعي بغداد ، وقد أوجد الميلَ الصوفي فى ابن الفوطي عوامل عدة لم يكن منها كينونته فى ديار العجم خاصة ، السبب الذي قدمت ، فأولها ميل والده الى مذهب الصوفية وإيلافه إياه مجالسهم ، وتعويده زياراتهم ، قال فى ترجمة محي الدين أبي الفقراء محمد بن عبد العزيز السكران الخالصي : « الشيخ العارف الزاهـــد ، كان شيخ زمانه ورعاً وعبادة ، ومعرفة وزهادة ، والزاوية المنسوبة اليه هي طراز العراق التي اشتهر ذكرها فى جميع الآفاق ، أدركت زمانه وتبركتُ برؤيته وتشرفتُ بتقبيل الرقعة بتقبيل يده ، وكان قد استدعاه الخليفة [المستعصم]

(١) الورقة « ١٦٢ » .

(١) الامتاع والمؤانسة « ٢ : ١٦٦ » .

لأجل الدعاء مع جماعة من الفقراء [1] ... » . فهو قد رأى هذا الصوفيّ الزاهد قبل وفاته ببغداد سنة ٦٥٦ أي قبل أن يكون عمره أربع عشرة سنة ، ولا شكّ في أن ميله إليه وتبركه به كان « بحث وحض » من والده تاج الدين أحمد ، قال في ترجمة عماد الدين أبي عبد الله محمد ابن غانم الاصفهاني الكاغدي الواعظ الصوفي : « قدم بغداد شاباً وصحب شيخ الشيوخ شهاب الدين [عمر بن عبد الله] السهروردي ، وانتفع به ، وتقدم على أكثر أصحابه ، ولما توفي شهاب الدين انقطع بعده في جامع المنصور [2] واشتغل بالعبادة والتلاوة ، ثم عني بالوعظ ، فتتبع عليه ، وكان في مدرسة أبي النجيب [عبد القاهر السهروردي] ، وكان يتكلم على طريقة الصوفية وكان حسن الاستنباط [ط] لمعاني القرآن العزيز (وحضرت مجلسه في خدمة والدي) وله تصانيف حسان ، وكلام عال ، وشعر كثير على طريقتهم ، وتوفي يوم الأحد غرة رجب سنة خمس وسبعمائة ، ودفن بقرب الدرجة من عقبة الخاتونية [3] » .

فابن الفوطي كان يألف مجالس الصوفية منذ الصبا ، ويقتدي بأبيه لأنه كان له هوى في سيرهم ، ولكننا لا نستطيع أن نقول إنه كان متصوفاً كامل التصوف ، ألا تراه يقول : « وله تصانيف حسان وكلام عال وشعر كثير على طريقتهم » . ولم يقل « على طريقتنا أرباب التصوف » . والظاهر أنه لبس خرقة التصوف من بعض الشيوخ لتحسين أمره وتسهيل معيشته ، قال في ترجمة فخر الدين أبي الفتوح محمد بن أحمد المسفري التبريزي : « الشيخ المحقق ، قبلة المحققين وبقية المتكلمين ... ذكر أن نسبة خرقته الى والده تاج الدين أبي الفتوح (كذا) ... ونسبة الصحبة الى الخضر ع - وكتب لنا الوصية النافعة التي ذكرناها في المشيخة وكتب لي بخطه في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج » الترجمة ٨٤٢ » .

(٢) هذا يصور لك انتشار التصوف ببغداد في المؤسسات الدينية حتى المساجد .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٢٥ من نسختي بخطي » .

وستمائة (وأمرني أن ألبس الخرقة منه) وكان صادق العزم وكانت وفاته سنة ثمانين وستمائة[1] » .

فتأمل قوله « وأمرني ... » فهو كالصوفي المجبر على التصوف . فالعامل الأول في ميله الى التصوف إذن هو نشأته وبيأته ، على النحو الذي ذكرت ، والعامل الثاني كونه في شبابه أسيراً فقيراً يترمق العيش في الربط « الخانقاهات » والزوايا ، والمدارس والمساجد ، ولبث كذلك حتى اعتدلت حاله بعض الاعتدال ، وكان ميله إلى التصوف سبباً في إقباله على الحديث والتاريخ والأدب دون مسالك العيش الأخرى ، فذو قرابته ورفيقه قوام الدين أبو الفضل محمد بن عبد القاهر بن محمد الفوطي الحنبلي[2] مع دراسته اللغة ابن مُعْطيَ وحفظه معه مقامات الحريري وسماعه الأحاديث النبوية في عنفوان شبابه انصرف الى صنعة التجارة وتمهر فيها ، ونُسب اليه أنه كان يكاتب ملوك الشام ، وأرادوا تصديمه - على حد قول ابن الفوطي - فهرب الى دمشق (والفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين) كما قال هو أيضاً ومات بدمشق سنة سبع وثمانين وستمائة[3] » .

والعامل الثالث ولاينه شيئاً من أملاك الوقوف المحبوسة على المتصوفين ، قال في ترجمة عز الدين الحسين بن علي الطواري التاجر : « نزل بغداد وأقام بها وحج الى بيت الله الحرام وهو جميل المعاشرة ، صحيح المعاملة ، مشكور الطريقة ، حصل بيني وبينه معاملة من جهة الوقف وكان يشتري تمرة البستان الديباجي الموقوف على رباط السكاتبة ، ولما ولي ابن العاقولي وكنت قد بعته[4] منه واستسلفت ثمنه الزهات التي كان أصلها تولية ركن الدين الملوي ، فأحسن هذا عز الدين التناضي - جزاه الله خيراً[5] - » .

ومن البديهي أن من الخير لمتولي وقف مؤسسة خيرية صوفية أن يتخلّق بأخلاق الواقف ،

---

(١) التلخيص المذكور ، ٤ : ٢٤٨ ، وراجع « ص ٤٤٤ » من هذا الجزء .

(٢) يحسن تذكر قولي آنفاً إن الحنابلة كان لهم الفضل البين في تقديم الضحايا لهذا الشأن .

(٣) التلخيص ، ٤ : ٣٤٦ من نسختي بخطي » .

(٤) يعني التمرة التي هي الثمر فكأنه رجع بالضمير الى الأصل .

(٥) التلخيص ، ٤ : ٥ ، ويعني بالسكاتبة ، خير النساء شهدة بنت الابري ، وكان رباطها برحبة جامع الخلفاء وقد ذكرته بتفصيل في مجلة سومر ، مج ١١ ج ٢ ص ١٩٠ سنة ١٩٥٥ » .

أو يميل إلى مايحبه ليكون أحرى من غيره بالولاية وأحق بنيل الرعاية ، وقديماً قال الوصي بالتخلّق:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

والعامل الرابع هو كثرة مخالطته للشافعية والشيعة الامامية ، فالمخالطة الأولى سوّغت أن يولّى وقف سيدة بارة صالحة شافعية هي السيدة شهدة بنت الابري كما ذكرنا قبلاً ، مع أنه كان حنبلياً ، والمخالطة الثانية خففت حنبليته ، وذلك بعد التحاقه بنصير الدين الطوسي وأبنائه وغياث الدين عبد الكريم بن طاووس ومن جرى مجراهم من الشيعة الامامية ، قال في ترجمة فخر الدين أبي الفتح علي بن يوسف ابن البوقي الأديب الشافعي : « كتب لي بخطه أوراقاً من فوائده ، وتردد إليّ أول ما قدمت العراق وسكنت في مشهد البُرمة بالجعفرية مع شيخنا غياث الدين عبد الكريم بن طاووس وتوفي سنة سبع وسبعمائة وكنت يومئذ بالحضرة[1] » .

٧٨ — وقال الشيخ الفاضل في الصفحة ٢٩ : « ورد في بعض تراجم المعجم (ابن أبي زيادة[2] من سادات خراسان ، استوطن تبريز وجاء ابن طاووس لتصحيح نسبه وقدم بغداد سنة ٧٠٧ وكتبت له نسبه[3]) فالمؤلف ـ يعني ابن الفوطي ـ يحترف كتابة الوثائق والكتب والمؤلفات في شتى المواضيع » .

قلت : لم يكن المذكور « ابن أبي زيادة » بالياء بل « ابن زبارة » بالباء الموحدة بعد الزاي ، قال ابن الفوطي : « قطب الدين أبو علي حيدر بن الحسين بن محمد العلوي ، يعرف بابن زبارة ، السوكندي الصوفي من السادات الاكابر ، الاكارم ، أصلهم من خراسان وينسب الى بيت الزبارة من نيســـابور ، وسوكند قرية على باب نيســـابور ، واستوطن تبريز مع أهله ، وجاء الى حضرة النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاوس لتصحيح نسبه ، وسأل النسابة العالم شرف الدين محمد بن عبد الحميد الحسيني ، فوعده بتحصيله ، وقدم بغداد سنة سبع وسبعمائة

(١) التلخيص « ٤ : ٢٤٢ » .

(٢) وهكذا (أثبته الشيخ في فهرست الكتاب « ص ٣٢٣ » .

(٣) وقال الشيخ الفاضل في الحاشية « يراجع فصل الانساب » ولم ادر ماذا أراد بذلك وما أدريه .

وكتبت له نسبة[1] » .

فتأمل الفرق بين القولين : بين « ابن أبي زيادة » و « ابن زيارة » ، وابن زيارة منسوب الى « زيارة » وهو ، على ما حققت ، بطن كبير من العلويين منهم أبو علي محمد بن أحمد ابن محمد وهو الملقب بزيارة بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب العلوي شيخ العلويين بنيسابور ، بل بخراسان ، سمع الحسين بن الفضل البجلي وروى عنه ابن أخيه أبو محمد بن أبي الحسين بن زيارة ، وتوفي سنة ستين وثلاثمائة بنيسابور[2] » ، قال : « وإنما لقب محمد بزيارة لأنه كان من أهل المدينة ، وكان شجاعاً شديد الغضب ، وكان إذا غضب يقول جيرانه : قد زير الأسد . فلقب زيارة » ، وقال ابن مهنا المعروف بابن عنبة : « وأما عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف ففيه البيت ، ولم يأت ابني الأفطس بيت مثلهم ويقال له بنو زيارة لأن عقبه يرجع الى أبي أحمد زيارة بن محمد الاكبر[3] ... » .

٧٩ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٢٢ : « ... كما يُعنى — أي ابن الفوطي — بسيرة الوراقين والناسخين ، وقد ترجم لأحد فقهاء المستنصرية بأنه كاتب النسخ قائلاً : كتب لنفسه ولغيره جملة من الكتب الدينية والأدبية من المطولات والتوسطات والمختصرات وجمع أشعار تقي الدين المغربي . ثم أثنى على خطه وضبطه وما إلى ذلك » . وأحال بقوله هذا على المجلد الرابع من تلخيص معجم الألقاب في الورقة ٣٢ منه كما يأتي ٤/٣٢ . والظاهر أن وهماً وقع في أرقام الورقة ، ثم إن الفائدة قد قلت حتى نقصت بهذا الذكر المبهم وإبهام الترجم ، والحقيقة أن الفقيه المذكور هو « قوام الدين أبو الفضل علي ابن الأمير قتلغ بن عبد الله التركي

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣١ من نسخي بخطي » .

(٢) أنساب السمعاني في « الزيادي » واللباب في تهذيب الأنساب .

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ٣١٣ طبعة الهند » ، وقد نقلنا من الأنساب واللباب آنفاً أن زيارة هو محمد بن عبد الله ، ومؤلف العمدة جعله ابنه أحمد بن محمد كما ترى .

المعتد البغدادي الحنفي [1] » قال ابن الفوطي : « من فقهاء الطائفة المالكية بالمدرسة المستنصرية ، فقيه فاضل ، كاتب ناسخ ... وله أخلاق حسنة وهو مليح الخط ، صحيح الضبط ، أنحفني بأشعار تقي الدين وغيره ، وكان أقضى القضاة نجم الدين الطشتي التبريزي ، مدة مقامه ببغداد سنة إحدى عشرة وستمائة قد استنسخه منه وكان يشكره على صحة ضبطه [2] » .

٨٠ — وقال في بيان افتنان ابن الفوطي في الصفحة ٢٣ : « فهو الناسخ الوراق الذي يعني بالنسخ المختارة من المخطوطات وبأنسابها وتواريخها وبمظان وجودها وما إلى ذلك ، والأمثلة في كتبه من هذا القبيل كثيرة » . وقال الشيخ الفاضل في الحاشية : « من هذه الأمثلة ما جاء في كلامه عن [3] أحد المحدثين وهذا نصه : قوام الدين نصر بن موسى الواسطي المحدث ، عنده ديوان عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد بخطه ، حدث عنه شيخنا بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي ٤/١٣٩ » .

وفي نقل الشيخ الفاضل وهم مبين ، فلم يكن ديوان عبد الحميد بن أبي الحديد عند قوام الدين نصر بن موسى الواسطي المحدث بل عند ابن الفوطي نفسه ، وكان بخط قوام الدين أبي الفضل نصر ابن تاج الدين أبي نصر محمد الصاحب ابن نصر ابن الصلايا العلوي الحسيني المدائني الكاتب ، قال ابن الفوطي بعد ذكر اسمه ونسبه كما نقلناه عنا: «من البيت المعروف بالرياسة والسيادة، وأصل بيت الصلايا من المدائن ، تقدم ذكر والده الصاحب مطلقاً تاج الدين ، المتولي على إربل وجميع الجبال المحيطة

(١) سيأتي قول ابن الفوطي « المالكي » وأنه سهو منه ، فالتركي مستبعد أن يكون مالكي المذهب ، والصواب ما ذكرته ، قال الذهبي في وفيات سنة ٦٨٤ : « علي بن عيسى المزرز بن علي بن جابر الفقيه الفقيه الأديب البارع تقي الدين القرشي البغدادي الشاعر المعروف بابن المغربي . . . مات ببغداد فيما ورخه ابن الفوطي ... وقد اعتنى الفقيه قوام الدين الحنفي بجمع ديوانه » ، تاريخ الاسلام ، نسخة دار الكتب البريطانية ١٥٤٠ الورقة ٣٨ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣٤٣ » والترجمة في النسخة المصورة المخطوطة في مكتبة مديرية الآثار هي في الورقة ٤٠٢ منها .

(٣) كذا ورد ، والصواب « على أحد » ، أما « عن » فتفيد النيابة ، يقال « تكلم الوكيل عن موكله على الدعوى » .

به ، وكان قوام الدين كاتباً سديداً وعندي ديوان عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد بخطه ، وحدثني شيخنا بهاء الدين علي بن عيسى [الإربلي] عنه قال : كان دمث الأخلاق ، قد تربى في النعمة وخفض العيش وكان محباً للأدب ولم يكن عنده اشتغال طائل وذكر شيئاً [1] .. » .

وأما قوام الدين نصر بن موسى الذي ذكره الشيخ الفاضل فقد قال ابن الفوطي في سيرته : « قوام الدين أبو الفتح نصر بن موسى بن منصور الواسطي المحدث . أورد في تعاليقه : قال أبو حامد بن الشرقي النيسابوري : قيل لي وأنا أكتب الحديث في بلدي : لم لا ترحل إلى العراق ؟ فقلت : وما أصنع بالعراق وعندنا من بنا درة [2] الحديث ثلاثة محمد بن يحيى الذهلي ، وأبو الأزهر أحمد بن الأزهر ، وأحمد بن يوسف السلمي ، فاستغنينا عن أهل العراق [3] » .

٨١ — وقال الشيخ الفاضل في الصفحة ٢٣ أيضاً : « من الأمثلة على ذلك — على الاشارة الى مميزات النسخ — ما جاء في ترجمة مثبتة في معجمه هذا نصها : قوام الدين محمد بن عزيز ابن علي القاضي الرئيس ، صنف له أفضل الدين الكاشي الحكيم كتاب مدارج الكمال الى معارج الجلال » . والنص في الحقيقة هو « قوام الدين أبو طالب محمد بن عزيز بن علي القاضي الرئيس ، قرأت بخط مولانا السعيد نصير الدين أبي جعفر الطوسي — طاب ثراه — على كتاب مدارج الكمال الى معارج الجلال من تصنيف الحكيم الفاضل أفضل الدين الكاشي للصدر الأجل قوام الدين المذكور :

رقيت بهاتيك المدارج في العُلا ... فلله ربي درها من مدارج

وقدس ربي روح حر أجادها ... أعز فتى حيا وأكرم دارج [4] »

---

(١) التلخيص « ٤ : ٣٠١ من نسختي بخطي وهي في الورقة ٤٦٦ من نسخة مكتبة مديرية الآثار المصورة أي مكتبة المتحف .

(٢) البنادرة جمع البندار ، قال السمعاني في الأنساب : « البنداري ... هذه النسبة الى من يكون مكثراً من شيء يشتري منه من هو أسفل منه ، أو أخف حالا وأقل مالا منه ثم يبيع ما يشتري منه من غيره وهذه لفظة عجيبة » .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣٥١ » .

(٤) التلخيص « ٤ : ٣٤٧ » .

فأين القاضي من « القاشي » وأين ذلك النصّ من هذا النصّ ؟

٨٢ — وقال في حاشية الصفحة ٢٣ أيضاً : « وقال — يعني ابن الفوطي — في ترجمة لأحد معارفه ... ما هذا نصُّه : كتبت له نسخة من مشيخة شيخنا كمال الدين عبد العزيز المراغي قاضي سراو ٥/٥٩٢ » . وفي هذه التسمية وهم مبين ، لأنه « كمال الدين أحمد بن العزيز ينال » ، قال ابن الفوطي : « كمال الدين أبو محمد أحمد بن عبد العزيز بن سال بن العزيز محمد بن جامع ، نزيل سراو المراغي ، قاضي سراو [1] ... » .

فاسم الرجل كمال الدين أحمد بن عبد العزيز لا عبد العزيز ، ثم إن ابن الفوطي لم يترجمه في اسم « عبد العزيز » من باب كمال الدين ، فلا وجه لهذا الوهم ـ وي السهو .

٨٣ — وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة ٢٥ الطبقات التي مني بذكرها ابن الفوطي في كتبه مضافاً إلى عنايته بالتاريخ وسير الناس ، على الطريقة المألوفة في كتب المؤرخين وأصحاب السير والطبقات ، فذكر خمس طبقات ، وفاته طبقة « القراء والمقرئين » و « طبقة المفسرين » والشواهد على ذلك كثيرة ، لا تقتضي أكثر من تقرّي الباحث ألقاب المترجمين اسماً إسماً .

٨٤ — ونقل الأستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٢٩ ما ورد في كتاب مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع ، من الكلام على « نهر المعلى » من الأنهار التي تخترق شرقي بغداد في أيام بني العباس ومن بعدهم الى أن عفا ودثر ، قال « في مراصد الاطلاع أيضاً : نهر المعلى هو اليوم [صدر المائة الثامنة] أعظم وأشهر محلة ببغداد وفيها دار الخلافة ... قلت (والقول لصاحب المراصد) : ... » . فاضافته « الثامنة » لا تصح ، لأن القائل الأول هو ياقوت الحموي المتوفى

---

(١) التلخيص « ه » : الترجمة ٢٧٥ من « الكاف » ، وذكره في موضع آخر من الجزء الخامس ، قال : « كمال الدين أبو الخير أحمد بن عمر بن عبد الله المراغي الصوفي ، ذكره شيخنا كمال الدين أحمد بن العزيز المراغي قاضي سراو في مشيخته ... » . وذكره في الجزء الرابع غير مرة ، قال في ترجمة عماد الدين عبد الحميد بن محمد القزويني : ذكره شيخنا كمال الدين أحمد بن العزيز المراغي قاضي سراو ... » . وقال في ترجمة علاء الدين أبي علي مؤيد بن عبد الحميد القزويني : « وروى لنا عنه شيخنا كمال الدين أحمد بن العزيز المراغي في مشيخته ... » .

سنة ٩٢٦ ، فالصواب « الثالثة السابعة » أما « الثالثة الثامنة » فيجوز إستعمالها بعد قول مؤلف المراصد « قلت » لأنه توفي في أثناء النصف الأول من القرن الثامن الهجرة .

٨٥ — وقال في الصفحة ٢٩ « شارع السلطان » وهو بعد أسماء مواضع ببغداد وغيرها ، ولم يكن ببغداد شارع اسمه « شارع السلطان » بل كان « سوق السلطان » و « صور سوق السلطان » و « باب السلطان » وهو الباب المعروف اليوم بباب المعظم قرب وزارة الدفاع .

٨٦ — وذكر في الصفحة ٤٩ كتاب « الوافي بالوفيات » للصلاح الصفدي ، قال : « ولا تزال جل أجزاء هذا الكتاب مخطوطة وقد طبع منه جزآن في مطبعة الدولة في الاستانة ... » وهذا الخبر قديم ، فقد طبع من الوافي « أربعة أجزاء » .

٨٧ — وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة ٥١ ابن شاكر الكتبي مع المؤرخين الذين اطلعوا على بعض كتب ابن الفوطي في التاريخ ، قال « سادساً (كذا) ابن شاكر الكتبي في وفيات الوفيات ، ولا شك أنه اطلع على بعض مصنفات ابن الفوطي في التاريخ وعوّل عليها في كتابه المذكور » وقال في الحاشية : « لابن الفوطي ترجمة حسنة في وفيات الوفيات ١/٣٤٨ من طبعة بولاق » ثم قال في حاشية الصفحة ٥٨ : « ... وأيضاً ابن شاكر الكتبي ، نقل عبارة مؤلف الحوادث الجامعة بعينها عن عدد قتلى واقعة بغداد وذلك في جزء من كتاب (عيون التواريخ) وتوجد نسخة الأصل منه بخط المؤلف ابن شاكر الكتبي ، هي نسخة الخزانة التيمورية في القاهرة ، وليس فيها نقله ابن شاكر إشارة الى اسم الكتاب المنقول منه » .

وعلى هذا القول يكون ابن شاكر الكتبي قد اطلع ، بحسب رأي الأستاذ ، على كتابين لابن الفوطي ، أحدهما تلخيص معجم الالقاب ، والآخر كتاب « الحوادث » المستحيلة عندي نسبته الى ابن الفوطي ، ولا يصح القول الأول فضلاً من الثاني ، لأن ابن شاكر الكتبي نقل من « الوافي بالوفيات » كما ثبت بالمقابلة والموازنة ، وكما صرّح هو به غير مرّة ولأنه لم يقل في موضع من كتابه الفوات أو غيره « نقلت من كتاب ابن الفوطي ولا قرأته بخطه » ، ولست أنفي ذلك حباً للنفي ، بل أنفيه من حيث الواجب التاريخي ، وأسأل الله تعالى أن يوفق الشيخ الجليل

المشور على دليل يُثبت به قوله ، فان الاثبات في مثل هذه الأمور أولى وأحب الى الباحثين من النفي لأن النفي نقصان والاثبات زيادة . ثم إني لو أردتُ التكثر بالشُّبه لقلت مثلاً : قال الأستاذ الجليل من الظان « المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي » لابن تغري بردي ، فقد ذكر مثلاً في ترجمة « الحسن بن علي أبي عبد الله الشهرزوري الفقيه الشافعي » أنه « كان إماماً فقيهاً زاهداً وهو من شيوخ الفرضي ، قال ابن الفوطي : أفتى مدة سنين وكان يحفظ المهذب لأبي إسحاق [الشيرازي] وكان أمياً . توفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة [1] » .

وابن تغري بردي في رأيي ، نقل من تاريخ الذهبي ، قال الذهبي في تاريخ وفيات سنة ٦٨٢ : « الحسن بن علي بن عبد الله أبو عبد الله الشهرزوري الفقيه إمام علامة زاهد ، عابد قائم على المذهب ، نزل بغداد وسمع ابن قميرة . توفي في العمدة ، وهو من شيوخ الفرضي ، قال الفوطي : أفتى عدة سنين وكان يحفظ المذهب لأبي إسحاق ، وكان أمياً ، وكان مدرساً بمدرسة فخر الدين بن الفاضي . سألته عن مولده فقال : سنة عشر وستمائة تقريباً » .

٨٨ — وقال الأستاذ الفاضل في الصفحـــة ٥٧ : « فان المؤلف في كتاب الحوادث الجامعة جامع أخبار ومدوّن حوادث فوّض إليه جمعها وتدوينها بأمر علاء الدين الجويني صاحب ديوان المالك [2] فهو مؤرخ الدولة المغولية وأسلوبه الكتاب يشهد بذلك ... » وقال في الحاشية : « صرّح بذلك في ترجمة الجويني ج ٤ مادة علاء الدين » . قال الأستاذ ذلك لادحاض قول من ينفي أن يكون كتاب « الحوادث » الذي شارفت على طبعه قبل عدة سنين هو « الحوادث الجامعة » نفياً معتمداً على خفاء ذاتية مؤلف هذا الكتاب ، كما ذكرت قبلا .

---

(١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٥ الورقة ٢٦ » ، ويجوز عندي أيضاً أن ابن تغري بردي أخذ هذه الترجمة من العسقدي وهذا نقلها من تاريخ الاسلام للذهبي .

(٢) لم يكن علاء الدين الجويني « صاحب ديوان المالك » ، بل صاحب ديوان العراق ، ثم أضيفت اليه خوزستان ، أما صاحب ديوان المالك فهو أخوه « شمس الدين الجويني » .

قلت : لا يعقل ولا يقبل أن يكون مؤرخ الدولة المغولية ، بل مؤرخ علاء الدين نفسه أن يكون غريباً عن علاء الدين، جافي الذكر له على النحو الذي نراه في « كتاب الحوادث » ونحن نعلم طريقة المؤلفين في المدح والتعظيم ، والاجلال والتفخيم في تأليفهم كتاباً باسم عظيم من العظماء أو وال من كبار الولاة مثل علاء الدين الجويني ، وفي ذكر ذوي قرابته الدنيا كأخيه شمس الدين الجويني ، فتأمل قول مؤلف الحوادث في الصفحة ٣٣٩ : « فما زالوا على ذلك الى أن ولي الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني العراق فأسقط ذلك عنهم » . فهو لم يقل مثلا : « الصاحب العادل » على أقل مدح ولا « فارع هضبات المجد والشرف ، الحال من المناقب والمفاخر في الرأس وكل كريم في الطرف » ولا قال « استقامت به أمور الخلائق ، وأعاد رونق الخلافة » كما قال في ترجمته في تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٦٣ » . وهل من الممكن أن يقول مؤرخ علاء الدين في حوادث سنة ٦٥٨ ـ ص ٣٤٣ ـ : « وفيها اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق وقصدوا حضرة السلطان ، حيث كان في الشام ، ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان أشياء اعتمدها وأثبتوا ما استوعبه من الأموال فأعاده معه الى بغداد ليقابل على ذلك ، فلما قوبل وثبت عليه ما نسب اليه ، أنهوا ذلك الى السلطان فأمر بقتله ، فسئل العفو عنه فأمر بحمل لحيته فحلقت ، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه » ؟

فلو أن مؤرخاً أراد يحتقر علاء الدين ويحط من قدره ويذمه باسم التاريخ لكفاه هذا القول وشفاه ، فكيف يكون هذا القائل مؤرخ علاء الدين ؟ وهل يقول في ذكر عدو من أعداء علاء الدين الذين سعَوا في عمالة علاكه وهو علي بهادر شحنة بغداد ، وقد سمى علاء الدين في قتله فقتل ـ ص ٣٥٠ ـ : « وكان علي بهادر حسن السياسة ، مظهراً للخير ، يلازم الصلوات في الجمع والتراويح وغيرها[1] » ، وبهذا نجتزئ من ذكر غيره لئلا تؤدي الدلالة الى اللالة .

(١) كان هذا المؤرخ قال في الصفحة ٣٤١ من الكتاب : « فقبل لعلي بهادر شحنة بغداد : ان فرس الوزير على الباب وفي عنقها مشدة وعليها كنبوش إبريسم فلام وعضي وشاهد هناك عجب من ذلك ... فقال قائماً على الشدة وأمر باخراج الفرس من الدركاه ... » . فتأمل أسلوب مؤلف الحوادث في ذكر الأعيان .

٨٩ — وذكر في الصفحة (٧٢) قصة « أم عنقود » الجنية الخرافية ، قال : « رواية ثانية للقصة : لقصة أم عنقود رواية ثانية ظفرنا بها في كتاب الحوادث وبينها وبين رواية ابن الأثير في الكامل [1] ضرب من الاختلاف ، فرواية مصنف الحوادث لا تخلو من نكتة وطرافة وقد تميزت بأن سندها رؤيا رأتها امرأة فصدقتها الدهماء ولما شغل الناس بها وتركوا أعمالهم أعلن رجال الديوان أنهم أقاموا أم عنقود من العزاء ، وفيما يلي خلاصة لهذه الرواية : جاء في أخبار سنة ٦٤٦ من كتاب الحوادث ... » .

والصحيح أن القصتين مختلفتان باختلاف أصحابها وأزمانها وأمكنتها ، سفراً ووساعة ، فالتي ذكرها ابن الأثير استطراداً كانت بالموصل وما والاها من البلاد الى العراق سنة (٦٠٠) والتي ذكرها مؤلف الحوادث كانت سنة ٦٤٦ ببغداد ، إلا أن الجنية واحدة وهي « أم عنقود » وهذا على اعتبار العامة أن الجن يُعمرون ، وليست الست والأربعون سنة بمستبعدة في طول أعمارهم ، وقد ذكر القصة مؤرخ آخر في حوادث سنة ٦٤٥ هـ قال ابن دقاق : « وفيها [سنة ٦٤٥] في جمادى الآخرة عرض للناس أمراض تعقبها أمراض الملق والخوانيق ومات بهذا من الخلائق ما لا يحصون كثرة ، وفشا بين الناس أن امرأة رأت في منامها أن امرأة خاطبتها من بئر ملاصقة السور بسوق السلطان [2] تقول لها : أنا جنية أعرف بأم عنقود وإن ابني عنقوداً مات ولم يعزّوني فيه وأنا قد غضبتُ من ذلك وهُودا أحمق الناس . فأشاعت المرأة هذه الرؤيا وعرّف الناس البئر ، فقصدوه (كذا) خلق كثير لا سيما النساء ، ونصبوا الخيم هناك ، وصاروا ينوحون على البئر ويقولون ما صورته :

أم عنقود اعذرينا مات عنقود وما درينا
وهند ما درينـــا فكلنا قد جينـــا
لا تحردي منا فتخنقينا

(٢) ذكر الأستاذ أن ابن الأثير ذكرها في الكلام على حوادث سنة ٦٠٦ وقال إنها حدثت سنة (٦٠٠ هـ) وقد جمع بين الحكايتين لتشابههما ، وأصل الحكاية الأولى مذكور في المنتظم لابن الجوزي ٨ : ٢٣٥ .

(٢) سوق السلطان هو سوق الميدان العالي على التقريب .

وما يناسب من هذه الحذيانات . وشاع ذلك ، كثر ، فصدت تلك الليلة من سائر محال بغداد وألقوا فيها المآكل على سبيل الهدية ، والدراهم والثياب ، وعُلق عندها السرج والشموع ، فتكلم العقلاء في ذلك وأهل العلم وأنكروا ذلك على فاعليه ، فتقدم الأمر من الديوان الى الشحنة بالمضي الى هنـاك ومنع النساء من الزيارة ، وبعد البكر وطرد من كان هناك ، نعوذ بالله من تلاعب الشيطان ، وإشاعة مثل هذا الهذيان [1] » .

والحكايتان متقاربتان إلا أن عبارة مؤلف الحوادث أحكم وأسلس ، وأدل وأنفس ، وهي من الاسلوب البـارع الذي تميز به مؤلف الحوادث ، وتفسّر منه ابن الفوطي ، كما هو ظاهر لكل نَيْقد للأساليب الكتابية .

وفذلكة القول أن الحادثة التي ذكرها ابن الأثير من حوادث عصره هي غير الحادثة التي ذكرها مؤلف الحوادث وابن دقاق وغيرهما ، وجرت سنة ٦٤٥ أو سنة ٦٤٦ على قول مشكوك فيه أي بعد وفاة ابن الأثير بخمس عشرة سـنة أو ست عشرة سنة ، وعلى ذلك لم يكن إنشاد البيتين السامين في بغداد والوصل معاً كما ذكر الأستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٧٣ من كتابه بل كان الانشاد في بغداد خاصة .

٩٠ — وذكر الأستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٧٥ خلاصة سيرة شمس الدين إقبال الشرابي مقدم الجيوش العباسية وقال : « وأرخ صاحب الكتاب — يعني مؤلف الحوادث — وفاته سنة ٦٤٣ [2] ... » . والصحيح أنه أرخ وفاته بسنة ٦٥٣ .

٩١ — وفي أثناء كلامه على السحرة والمشعبذين ذكر في الصفحة ٨٣ أن « أعظم سحرة هذا

---

(١) نزهة الأنام في تاريخ الاسلام لابراهيم بن محمد بن أيدمر دقاق « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٤٩٣ الورقة ٤٧١ » ولم يذكر ابن دقاق مرجعه التاريخي ، وقد ذكر في هذا الجزء حوادث مهمة جرت في العراق ، ووفيات عراقيين أعيان قدماء ، وقد نقلها عن بعض مؤرخي العراق ، لأنه أدرك القرن الثامن الهجرة ولأنه عاش في مصر .

(٢) أحال بذلك على الصفحتين ٣٠٨ و ٣٠٩ من الحوادث ، وهما من صفحات سنة ٦٥٣ .

العصر — يعني القرن السابع — في العراق والشرق ، هو الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعروف بقراجه » . المقدم ذكره وقال : « اشتهر بأنه شيخ السلطان أبي السلطان أحمد بن هولاكو الايلخاني ومرشده » إلى أن قال « نجد له ترجمة مفصلة في كتاب الحوادث وأخرى في تلخيص معجم الآداب لابن الفوطي ... ويستفاد من تاريخ ابن الفرات أن هذا الشيخ ذهب إلى الشام سفيراً من قبل السلطان فلم يأمنوا شره أو سحره ، ولذلك أمروا بسجنه ثم ضاع أثره ولم يوقف له على ذكر بعد ذلك ... » .

قلت : ذكر شمس الدين الذهبي ، مختصر سيرته في وفيات سنة ٦٨٣ قال : « قرأت بخط قطب الدين ابن الفقيه : حدثني عبد الله الوصلي الصوفي — وكان ممن قدم معه — أن عبد الرحمن كان من مماليك الخليفة المستعصم بالله ، وكان اسمه قراجا ، فلما أخذت بغداد تزهد وتسمى عبد الرحمن ، واتصل بالملك أحمد ، وعظم عنده الى الغاية ، بحيث كان [السلطان] ينزل إلى زيارته وإذا شاهده ترجل ثم قبّل يده وامتثل جميع ما يشير به ، وكان جميع ما يصدر من الملك من الخير بطريقه ، فأشار عليه أن يتفق مع الملك المنصور [قلاوون] ويجتمع كلمتهم ، فنفذه لذلك ، وسير في خدمته جماعة كثيرة من الغز والأعيان ، فحضر الى دمشق في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين [وستمائة] ، وأقام بمن معه في دار رضوان ، ورتب لهم من الاقامات ما لا مزيد عليه ، وبولغ في خدمتهم وقدم السلطان الى الشام ، فمنه وصوله بلغه قتل أحمد وتملك أرغون بعده ، فاستحضر الشيخ عبد الرحمن بقلعة دمشق وسمع رسالته ثم أخبره بقتل مرسله ، ثم عاد السلطان الى مصر ، وبقي عبدالرحمن ومن معه معتقلين بالقلعة لكن اختصر اكثر تلك الرواتب وقدّر قدر الكفاية [1] ، فلما كان في آخر رمضان توفي عبد الرحمن ودفن بسفح قاسيون وقد ضاق على الستين ، وبقي مَن معه على حالهم وتطاول بهم الاعتقال وأهمل جانبهم بالكلية وضاق بهم الحال في المطعم والملبس فعمل النجم يحيى شعراً بعث به إلى ملك الأمراء ... فلما سمعها أطلق

(١) راجع « ص ٤٤٢ » من هذا الجزء للمناسبة .

ويؤثلون فواضلاً تأتيه من لحم وفاكهة ومن حلواء
حاشاه أن ينثني سماء معشر قصدوه للاحسان والنعماء [1]
نفروا من الكفار والتجؤوا إلى الاسلام واتبعوا سبيل الجهاد
فيقابلون [2] بطول سجن دائم وتحسر وجاعة وعناء !!
أخبارهم مقطوعة فكأنهم موتى وهم في صورة الأحياء
إن الذي منهم تولى كبره ولّى وزال توهم الغوغاء [3]
وإذا قطعت الرأس من بشر فلا تحفل بما يبقى من الأعضاء
هلا منت عليهم بسراحهم يجزيك رب العرش خير جزاء [4]
والله يعلم بالسرائر طالما أخذ البري بتهمة الأعداء

فوقف حسام الدين على الورقة وطالع بأسرهم وأطلقهم ، وكانت وفاة عبد الرحمن في سنة ثلاث وثمانين وستمائة [5] » . وقال الصلاح الصفدي : « عبد الرحمن الشيخ ، رسول الملك أحمد بن هولاكو ، كان من مماليك الخليفة المستعصم [6] ، وكان اسمه قراجا ، فلما أخذت بغداد تزهد واتصل بالملك أحمد وعظم عنده الى أن كان ينزل الى زيارته ، وإذا شاهده ترجل وقبل يده وامتثل جميع ما يأمره به ، فأشار عليه أن يتفق مع الملك المنصور فتدبه لذلك وسيره معه في خدمته جماعة كثيرة ، من المغل ، فحضر الى دمشق في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، وأقام بمن معه في دار رضوان ، ورتب لهم من الاقامات ما لامزيد عليه ، وقدم السلطان الشام فعند وصوله بلغه قتل أحمد وتملك أرغون فاستحضر الشيخ عبد الرحمن ليلاً بالقلعة وسمع

(١) لم يذكر الذهبي هذا البيت في نسخة كتابه المذكورة آنفاً .
(٢) في تاريخ الاسلام « أيقابلون » .
(٣) فيه بدلا منه « إن كان خيراً قد مضى أو كان شراً . . قد أمنت عواقب الأسواء » .
(٤) بهذا البيت انتهى اختيار الذهبي في نسخة كتابه المتقدم ذكرها
(٥) تالي كتاب وفيات الأعيان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦١ لورقة ٥٠ ، ٥١ »
(٦) تأمل متابعة الصفدي للذهبي في الترجمة ، على نحو ما ذكرناه سابقاً .

رسالته ثم أخبره بقتل رسله ، وعاد السلطان الى مصر ، وبقي عبدالرحمن ومن معه معتقلين بالقلعة ، واختصر أكثر تلك الرواتب ، فلما كان في آخر شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة توفي الشيخ عبد الرحمن ودفن بسفح قاسيون وقد ناف على السنين ، وبقي من معه على حالهم ، وتطاول بهم الاعتقال ، وضاق بهم الحال في المطعم والملبس ، فنظم الشيخ يحيى شعراً وبعث به الى ملك الأمراء حسام الدين لاجين» . وذكر الشعر ثم قال: « فلما وقف عليها أطلق اكثرهم وبقي منهم ثلاثة ، قيل إن صاحب ماردين أشار بابقائهم في الاعتقال ، وكانت مقاصد الشيخ عبدالرحمن حميدة ، وظاهره وباطنه منصرف الى نصرة الاسلام واجتماع الكلمة ، وله سفرات عديدة الى مصر والشام والحجاز ، ولما قدم في الرسلية كانوا يسيرون به في الليل وينزلون في النهار وقال الشيخ شمس الدين [الذهبي] : وكان يعرف السحر والكيمياء ، رأيت في تاريخ أنه كان رومياً من فراشي السُدّة ، وأخذ من الدور وقت الكائنة جوهراً نفيساً وأسر فسلم الجوهر ثم صار من فراشي القان [ملك التتار] ثم تزهد وتنمس وأظهر الجوهر وصار الى الموصل واتصل بعزالدين أيبك أحد نواب القان ، وكان متهوساً بالكيمياء فربطه وصار معه الى أبغا [1] ... » وقص خبره المشهور .

وقال المفضل بن أبي الفضائل في حوادث ٦٨٢ : « وصل الشيخ عبد الرحمن [يعني الى بلاد الشام] ومعه جمع كثير ، رسولاً من عند السلطان أحمد أغا ، وكان وصوله الى دمشق ليلة الثلاثاء ثاني عشري ذي الحجة ، فأنزلوهم بقلعة دمشق ، وأطلق له في كل يوم ألف درهم نقرة ، وكان في صحبته مائة وخمسون نفراً ، وحضر في خدمته ابن التبتي وزير صاحب ماردين . وكان هذا الشيخ عبد الرحمن عند السلطان أحمد أغا صورة كبيرة ، وكان يركب في سائر بلاد التتار بالجتر على رأسه وستر [رسالة] يقول : ما أدخل الى بلادكم وأمشي إلا بالنهار والجتر على رأسي . فلما وصل الى الفرات سيروا إليه من حلب آقوش الفارسي في عسكر حلب يتلقونه ، فلما مدّى

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ١٧٦ » .

الفرات الى ناحيتهم ساروا به في الليل ، فأراد الرجوع فلم يمكنوه وأغلظوا عليه القول ولم يمكنوه من رفع الجتر [1] ، وأقام الى سنة ثلاث وثمانين [وستمائة] وسيأتي ذكره إن شاء الله [2] » .

وقال شاهم بن علي السكناني في أخبار سنة ٦٨٢ وهو يمثل وجهة التاريخ السياسي : « قد سبق ذكر هذا الشيخ عبد الرحمن وأنه قدوة الملك أحمد ومشيره وأنه هو المشير عليه بالاسلام خديعة ومكراً حتى يطمئن الى هذه الجهة ويكتفي أمر السلطان ، ويتفرغ لقتال قومه وأقاربه وإخوته وولد أخيه أرغون ، وتحكم هذا الشيخ عبد الرحمن في البلاد وتحدث في الأوقاف جميعها في العجم وبلاد العراق والشرق والروم وجُبيت اليه ، وأظهر للمغل أشياء أخذ عقولها بها ، وهو موصلي ويقال إن أصله مملوك ، ويعرف بعبد الرحمن النجار ، وما بقي من لا أطاعه [3] ، وصار الملك أحمد ومشيرته من المغل يقفون بين يديه ، ويستمعون إشارته ، وأطاعه كل من في بغداد والعراق وخرق عقولهم بأنواع من الدارنجيات (كذا أي النيرنجيات) ، واستولى على عقولهم ، وأفهم الملك أحمد أنه يُصالح له مولانا السلطان ، واعتقد أن أموره تتم عند مولانا السلطان كما تمت هناك وأنه سيحضر فتكون له صورة في البلاد وعظمة واسم ، وتجتمع اليه الناس ، وكان الأمر بخلاف ذلك ، وذلك أنه لما بلغ مولانا السلطان خروجه من الأردو وصارت أخباره تصل الى مولانا السلطان منزلة فمنزلة ومرحلة فمرحلة ، فوصل الى ماردين في الرابع من شهر ربيع الآخر ، ثم وصل الى البيرة المحروسة ، وصحبته من أكابر المغل سمداغو ومعه جماعة من كتاب وفقهاء وفقراء ومغل لخدمته ، يحملون جتراً يُرفع على رأسه ، وصلاحدارية وأرباب سلاح ، وغير ذلك من غلمان وحواشٍ وأرباب أشغال وذوي خدمة عالم كثير ، وكان مولانا السلطان قد سيّر

(١) راجع الصفحة ٤٤٤ ، ٤٤٥ من هذا الجزء لمعرفة السبب في هذه السياسة والمخاشنة .

(٢) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٠٢٠ الورقة ٦٧ » .

(٣) أي من لم يطعه ، وهذا من تعابير ذلك العصر .

بإزالة هذه النواميس وإزالة زعم المنجم الذي يقصدون إقامته في بلاد مولانا السلطان ، فلما ركبوا من البيرة المحروسة تلقاهم الأمير جمال الدين أقش الفارسي أحد الأمراء بحلب المحروسة فتسلمهم من حمل الجتر والسلاح وركوب المثل خلفه ، وركبهم في الليل من غير دهيج ولا إعلام أحد بأمرهم ، وساق بهم منكبّاً عن الطريق المسلوكة ، فمرّ عليهم ذلك وانزعجوا ، فما التفت اليهم جمال الدين أقش الفارسي ولا شال بهم رأساً ، وقرر أن أحداً من المجردين معه لا يكلمهم ولا يحدثهم ولا يساوقهم ولا يملأ منهم عيناً ولا نظراً ، ووصل بهم الى حلب في سادس عشري شوال من هذه السنة ، وأخفى أمرهم حتى لم يعلم بهم أحد ولم يجسر أحد أن يكلمهم ولا يتحدث في أمرهم ، ثم أخرجوا من حلب في الليل وعُدل بهم عن الطرقات المسلوكة وصاروا يسوقون جملة ، والمجردون بعيدون منهم بحيث لا يسمعون كلامهم ، وهم يزعجون ويحردون ، ولا يلتفت أحد عليهم ، حتى وصلوا الى دمشق ، كما ذكرنا ، فدخل بهم في الليل الى القلعة وأنزلوا في دار رضوان ، وكثرت الاقامات عليهم من كل شيء من سائر الأصناف ، وجرى الأمر على أن أحداً لا يكلمهم ولا يتحدث معهم بشيء ، بل يسمع ما يقولون ، ولا يرد عليهم جواباً ، وجُعل غلمانهم وحواشيهم وأرباب الخدم ناحية في أماكن محفوظة ، وأقيمت لخيلهم ودوابهم غلمان يدورون بها ويخدمونها ، وحفظت عُددها وآلاتها ، واستمر حالهم الى حيث حضور مولانا السلطان الى الشام على ما ستذكره » ، ثم قال في أخبار سنة ٦٨٣ : « ذكر خروج مولانا السلطان في هذه السنة الى الشام المحروس ... فلما وصل الى غزة وردت الأخبار بأن الملك أحمد مات ، وقوم يقولون أسر وإن أرغون اتفق مع جماعة من المغل على إمساك أحمد وخلصه من الملك وإن فرقة تقدير أربعة آلاف فارس حضرت مقفزة من التتار طالبين الشام ... فدخل السلطان دمشق المحروسة في تاريخ يوم السبت في جمادى الآخرة ... وكان في ابتدائه إحضار رسل أحمد وهم الشيخ عبدالرحمن وسمداغو ، فأحضرهم ، وقد سمع عند مولانا السلطان موت الملك أحمد فرسلهم هذا ولم يعلموا به ولا وسلهم خبر عنه ، وبقي كل من يحضر [1]

(١) يعني من جهة الدولة الايلخانية الى بلاد الشام لاتمام السفارة واكمال اللوازم والحاجات .

يمسك ويُحضر إلى أبواب مولانا السلطان ، وهم لا يعلمون ، وتؤخذ الكتب وتقرأ ، وهم لا يفهمون ، وجلس مولانا السلطان في الليل وأوقدت الشموع الكثيرة ولم يبق حول مولانا غير خواص مماليكه لا غير ، وهم في أحسن زي وأكمل صورة ومولانا السلطان قد بهر جلاله ، وكان يأخذ العقول جماله ... فلما دخل الشيخ عبد الرحمن اعتقد أن ذلك المقام لا يهول ، وأنه يستخف عقولاً مثل تلك العقول ، فدخل بزي الفقراء ، فرُسم له بتقبيل الأرض ، فأبى كبراً منه وزهواً ، فأُهوي به الى الأرض حتى كادت أعضاؤه تتفسخ عضواً عضواً ، وفُعل ذلك طرقاً عدة ، والمبين اليه من مولانا السلطان غير معتدة ، وكذلك فعل بصمداغو ، وبشمس الدين ابن الصاحب ، الواصل معهم ، ولما حضروا سمع مولانا السلطان كلامهم ، وأخذ الكتاب الوارد من الملك أحمد على يد الشيخ عبد الرحمن ، وقاموا من بين يدي مولانا السلطان ، فسير لهم الخلع الفاخرة مراراً وتقدمهم ، وأعلمهم بعد ذلك بموت السلطان أحمد ثم أحضرهم مرة أخرى ، وكان الشيخ عبد الرحمن قد أحضر هدية قبلت ، واستقروا على حالهم في الاحسانات والانامات الواسعة والمعاملة بالجميل ، ونسخة الكتاب المسير على يد الشيخ عبد الرحمن صمداغوا : بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى وباقبال قا آن فرمان أحمد الى سلطان مصر[1] ... ».

فالأمر على ما ترى ثم إن ابن الفوطي قد ذكر في تلخيص معجم الألقاب أن الشيخ عبد الرحمن توفي بدمشق في شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة [2] ، فلا يلتفت إلى ابن الفرات ولا يعاج على قوله في ذلك .

---

(١) تعريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور كما أرى من تأليف شافع بن علي بن عباس بن اسماعيل الكناني المنفلاني « ٦٥٩ ـ ٧٣٠ » قال الصفدي : « وذكر لي تصانيفه ... وهي ديوان شعره ... وسيرة الملك المنصور قلاوون ... » . « نكت الهميان ص ١٦٤ » وقال ابن حجر في الدرر الكامنة ـ ٢ : ١٨٤ ـ : « وله من التصانيف ديوان شعره ... وسيرة الناصر وسيرة المنصور وسيرة الأشرف » « نسخة دار الكتب الأهلية بباريس وهي خلو من اسم المؤلف ١٧٠٤ الورقة ٩٧ . ١٣٢ » .

(٢) التلخيص « ج » الترجمة ٤٠٧ من الكاف .

٩٢ — وجاء في الصفحة ٩١ قول الأستاذ الجليل : « جاء في أخبار سنة ٦٤١ ما يأتي : خرجت والدة الخليفة المستعصم بالله منحدرة في شبارة الخليفة الى درزكان متوجهة الى الحج . » وقال في الحاشية يعني درزكان : « هي قرية كبيرة على دجلة تحت بغداد في الجانب الغربي ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان » . وكرر الخبر في الصفحة ١٠٣ قال : « في رحلة الخليفة : ورد في أخبار سنة ٦٤١ ذكر خروج المستعصم لوداع والدته وهي متوجهة الى الحج منحدرة في شبارة الخليفة الى درزيجان وخروج الخليفة لوداعها ... » وقال يعني درزيجان : « قرية كبيرة كانت على دجلة تحت بغداد في الجانب الغربي ، ذكرت في معجم البلدان لياقوت » .

ولم يذكر الأستاذ الفاضل « درزكان » في فهرس أسماء البلدان ، والمعروف في الكتب العربية « درزيجان » لا درزكان ، كما أنها وردت كذلك في كتاب الحوادث « ص ١٨٧ » وقال ياقوت الحموي : « درزيجان [1] بفتح أوله وسكون ثانيه وزاي مكسورة وياء مثناة من تحت وجيم وآخره نون : قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي ، منها كان والد أبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي ، وكان أبوه يخطب بها ، ورأيتها أنا . وقال حمزة : كانت درزيجان إحدى المدن السبع التي كانت للأكاسرة وبها سميت المدائن (المدائن) وأصلها درزيندان فعربت على درزيجان » .

فكيف انقلبت درزيجان إلى « درزكان » ؟ ولم يرجع الفاضل إلى غير معجم البلدان ؟

٩٣ — وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٩٢ في الكلام على نقل الجنائز : « وأوصى عزالدين علي بن علجة وكان من كبار المتصرفين ، توفي سنة ٦٨٨ ، أن يدفن تحت أقدام سلمان الفارسي » . وعلّق على اسم الوصي بحاشية طويلة في سير أهل « آل علجة » الأميات المشهورين ، أولها قوله : « يكثر ذكر آل علجة في كتاب الحوادث وفي معجم ابن الفوطي ، وفيهم

(١) من غلط الصفدي قوله في ترجمة « وشاح بن جواد بن أحمد بن الحسن بن جواد أبي طاهر الدرزيجاني الضرير القرىء المتوفى سنة (٥٨٠) » : « من أهل قرية دارزيجان بالدال المهملة والألف والزاي والراء والياء للوحدة والجيم والألف والنون وهي بين المدائن وبغداد » .

جماعة من أصحابه وخلطائه ... » أي أصحاب ابن الفوطي .

ولم يذكر الشيخ مرجع خبر الرجل الذي أوصى وسماه « عز الدين بن علي بن ملجة » فإنّ ابن الفوطي ترجم عز الدين بن ملّجة ولم يذكر ما ذكره الشيخ في قوله ، قال ابن الفوطي : « عز الدين أبو الفضائل الحسن بن مؤيد الدين محمد بن أسعد بن علّجة الساي الاصفهاني ، نزيل بغداد ، الرئيس المعظم ، له نسب في بني سامة بن لؤي بن غالب ، وكان أجداده قد انتقلوا من فارس الى أصفهان ، ومن هناك انتقلوا الى بغداد وتنقلوا في المناصب والمراتب [وعز الدين الحسن ذو] الفضائل الباهرة ، والأخلاق الطاهرة ، والمناقب الزاهرة ، غذي بلبان الرياسة والسيادة ، كان جميل الهيأة ، ظاهر الهيبة ، طيب المفاكهة ، حسن [المحاضرة] ، لم يزل والده في جد صاعد الى أن انقضت الدولة العباسية ، ولما استولى هولاكو على العراق خرج إليه فأعطاه الفرامين ، وخلصوا بأهلهم أجمعين [1] ، وسنذكر أولاده الأكابر على ترتيب الكتاب » .

وإذ لم يكن هذا الرجل هو الذي ذكره الأستاذ الجليل أيقنت أنه قد أساء قراءة الاسم ، وعلمت أنه رأى عز الدين أبا محمد علي بن محمد بن منصور بن عفيجة ، فظنه « ابن علجة » ، واتساع الأفق في معرفة التراجم واجب في مثل هذه المباحث ، قال ابن الفوطي : « عز الدين أبو محمد علي بن محمد بن أبي البدر منصور بن عفيجة البغدادي الكاتب أمين الديوان ، من بيت معروف بالصحة والأمانة ، والكفاية والرعاية ، والرياسة والكتابة ، سمع جميع مسند عبد بن حميد الكيشي ، ولما قدمت بغداد ترددت الى خدمته ، وكتب لي الأجازة وأمرني أن أكتب عنه في إجازات طلاب العلم سنة ثمانين وستمائة ، وقد ولي الأعمال الجليلة وكتابة

(١) قال مؤلف الحوادث في خبر استيلاء هولاكو على بغداد سنة ٦٥٦ ـ ص ٣٢٩ ـ : « وكان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون الى خراسان وغيرها قد تملقوا من قبل على أمراء الدول وكتب لهم فرامين ، فلما فتحت بغداد خرجوا الى الأمراء وعادوا ومعهم من يحرس بيوتهم والتجأ اليهم جماعة من جيرانهم فسلموا » .

الديوان ، وخدم بعد الواقعة ناظراً في أوقاف الحرم الشريف وإشراف البلاد [الحلية] ... وحسنت سيرته في جميع أعماله ، وأحب الانقطاع فاستعفى من الخدمة ، وكانت وفاته ليلة الاثنين رابع عشري ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة وأوصى أن لا يُصلّى[1] ... شاطىء دجلة بباب كلواذا : فيدفن تحت قدمه[2] » .

وجاء في كتاب الحوادث في أخبار سنة ٦٨٨ : « وفيها توفي عزيز الدين علي بن عفيجة[3] ودفن تحت أقدام سلمان الفارسي وكان من أكابر المتصرفين ببغداد[4] » . وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٦٨٨ : « علي بن محمد بن منصور بن عفيجة عز الدين البغدادي ، سمع مسند عبد بن حميد من ابن بهروز وحدث ، مات في ربيع الآخر عن ست وستين ، أجاز للبرزالي[5] » . وقال ابن رافع : « علي بن محمد بن أبي البدر منصور بن أبي منصور البغدادي أبو الحسن بن أبي عبد الله الحنبلي الملقب عز الدين المعروف بابن عفيجة[6] ، سمع من أبي بكر محمد بن مسعود بن بهروز المنتجب[7] مسند عبد ، وحدّث ، سمع منه أبو عبد الله محمد بن شامة وأبو الفضل عبد الأحد بن سعد الله بن نجيح الحراني ، قال ابن الفوطي ، ومن خطه نقلت : سمع منه جماعة من الطلبة والغرباء ، وكان قد أمرني أن أكتب عنه في الاجازات ، وكان قد آثر الانقطاع ، وكان قبل ذلك من أكابر الكتاب وأعيان المتصرفين ، خدم في الأعمال الجليّة . سألته عن مولده فذكر أنه سنة ٦٢٢ وقال غيره في سنة (٦٢٠) . وتوفي يوم الاثنين

---

(١) ذهبت من هذا الموضع عدة كلمات سيأتي ذكرها عن المنتخب .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٩ من نسختي بخطي » .

(٣) ورد في المطبوع « عصمة » ولم أهتد يومئذ إلى صحته .

(٤) كتاب الحوادث « ص ٤٦٠ ، ٤٦١ » .

(٥) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ٨٥ » .

(٦) ورد في مرجع هذه الترجمة وهو منتخب المختار — ص ١٥٢ — « ابن عفيجة » ، والوجه ما ذكرناه .

(٧) في المطبوع المنتجب » .

الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٨ وأوصى أن لا يصلى عليه في الجامع ، وأن يصلى عليه بباب سور كاواذا ، وأوصى أن يدفن تحت قبة سلمان الفارسي ، وأوصى أن لا يشخص قبره ، فتولى أمره ودفنه العدل مكين الدين أبو القاسم عبد الحميد بن الزجاج ولم أره في تاريخ شيخنا الذهبي [1] وأبي محمد البرزالي [2] » .

ومما قدمتُ من القول وما نقلت من السِّير يُعلم أن الأستاذ الشبيبي الجليل نقل الخبر من كتاب « الحوادث » القديم ذكره مراراً ، وأنه ظن أنّ « عز الدين علي بن عُفيجة » هو عز الدين ابن عَلَّجة ، فأسند إليه مختصر سيرته ووقع في وهم وجب عليّ تصحيحه .

٩٤ — وجاء في الصفحة ٩٣ في ذكره من دفن في المشهد الغروي قوله : « وغياث الدين عبد الكريم بن طاووس الفوطي سنة ٦٧٣ وجماعة من أسرته » . قلت : الذي حفظته أنه توفي سنة ٦٩٣ وقد راجعت تلخيص معجم الألقاب ، لأن ابن الفوطي كان من خلطائه وتلامذته ، قال : « غياث الدين أبو المظفر عبد الكريم بن جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الفقيه العلامة النسابة ، كان جليل القدر ، نبيل الذكر ، حافظاً لكتاب الله المجيد ، لم أر في مشايخي أحفظ منه للسير والأحاديث ، والأخبار والحكايات والأشعار ، جمع ومسنف وشجّر [3] وألف ، وكان يشارك الناس في علومهم ، وكانت داره مجمع الأئمة والأشراف ، وكان الأكابر والولاة والكتاب يستضيئون بأنواره ورأيه ، وكتبتُ لخزانته كتاب (الدر النظيم في ذكر من تسمى بعبد الكريم) ، وسألته عن مولده ، فذكر أنه ولد في شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وتوفي في يوم السبت سادس عشري شوال سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، ونُقل إلى مشهد الامام علي — ع — ودفن عند أهله [4] » ، وجاء في حوادث سنة

---

(١) هذا وهم منه فقد نقلنا مختصر سيرته من تاريخ الاسلام للذهبي .

(٢) منتخب المختار « ص ١٥٢ ، ١٥٣ » .

(٣) شجر تشجيراً أي كتب الأنساب على هيأة الشجر .

(٤) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٩٢ من نسختي بخطي » .

٦٩٣ من كتاب « الحوادث » — ص ٤٨٠ — « وتوفي النقيب غياث الدين عبد الكريم ابن طاووس في مشهد موسى بن جعفر ، وحمل إلى جسده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — ع — » .

٩٥ — وقال الأستاذ الفاضل في الصفحة المذكورة أعني ٩٣ : « وفي سنة ٦٧٦ توفي الملك عز الدين ابن جعفر النيسابوري ، ودفن في المشهد المذكور وعفيف الدين الفارقي الأديب المصري [1] . قال ابن الدبيثي : دفن في النجف » . فعطف عفيف الدين هنا على عز الدين يوهم القارىء أنه توفي في سنة وفاة عز الدين ، مع أنه توفي سنة « ٦٢٨ » كما في تلخيص معجم الألقاب ، ثم إن عز الدين النيسابوري لم تكن وفاته سنة ٦٧٦ بل كانت سنة ٦٧٢ ، قال ابن الفوطي : « عز الدين أبو المظفر عبد العزيز بن جعفر بن الحسين النيسابوري ، الملك ، صاحب البصرة له نسب في آل الأشتر النخعي ، ذكره لي شيخنا أبو الفضل بن المهنا الحسيني وكتب لي بخطه ، قال : ولد المذكور سنة ٦٢٦ وسافر حتى عُدّ من الرجال المذكورين ، فتملق ببيت الأوشاديين والأمير [2] سنقر بن بتيكجي ، ولما فتحت العراق لجأ إلى الصاحبين علاء الدين وشمس الدين ، ورتب شحنة بواسط وفوضت إليه البصرة ونواحيها . وكان له الاحسان إلى العلويين ، وصنف له شيخنا كتاب (المدائح الغريزية والمدائح العزيزية) . وقدم علينا عراقة ، ورأيته وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ولنجم الدين عبد السلام [ابن الكبوش] فيه مدائح كثيرة لما استقر ملكه بالبصرة ، ومن شعره في مدح الصاحب علاء الدين عطا [ملك] :

---

(١) العبارة « للقرىء » أي الذي يقرىء الناس القرآن الكريم بالقراءات المروية ، قال ابن الفوطي : « عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن قريش بن مسلم الأسدي الفارقي للقرىء الأديب ، كان حسن السيرة... » .

« تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٩٩ من نسختي بخطي » .

(٢) سقط الأصل غامض هنا .

عطا ملك [عطاؤك ملك مصر [1]] وبعض عبيد دولتك العزيز
تجازي كل ذي ذنب بعفو ومثلك من يجازي [أو يجيز [1]]

ورثاه شيخنا عبد السلام بقصيدته الغراء التي أولها :

[لم أبك] حتى بكى لك الكرم [والسيف يوم القراع والقلمُ]

وقال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٧٢ : « وفي منتصف ذي القعدة توفي الملك عزالدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري ببغداد ، وكان سخياً [2] جواداً مُواسلاً لكل من يسترفده واشتهر ذكره في البلاد بالكرم . تولّى شحنكية واسط والبصرة ، وكان حسن السيرة ، عظيم الناموس ، ودفن في مشهد علي — ع — ورثاه الشعراء بأشعار كثيرة منها ابن الكبوش البصري من قصيدة هذا منها :

لم أبكِ حتى بكى لك الكرمُ والسيف يوم القراع والقلم [3] »

وذكر بيوت المرثية التي أختارها وهي اثنان وثلاثون بيتاً .

٩٩ — وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة المذكورة « عفيف الدين الفارقي المقرىء » المذكور آنفاً ، فيمن نقلت جنازاتهم أو جثثهم الى مشهد الامام عليّ — ع — مع أن عفيف الدين الفارقي مات في النجف بعينه ، ولم ينقل جثمانه من موضع آخر إليه ، قال ابن الفوطيّ : « عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن قريش بن مسلم الأسدي الفارقي المقرىء الأديب ، كان حسن السيرة ، ذكره الدّبيثي [4] وقال : وله بحصن كيفا ، وتفقه ببغداد على فخر الدين النوقاني ، ودخل واسط لأجل القراءة ثم استوطن الموصل وحج ، فلما رجع مات بالنجف سنة

(١) التتمة من التاريخ الفخري « ص ١٢ من الطبعة المصرية » .
(٢) التتمة من كتاب الحوادث « ص ٣٢٨ » .
(٣) جاء في المطبوع من كتاب الحوادث — ص ٣٢٧ — « شيخاً » وهو من غلط الطبع .
(٤) كتاب الحوادث « ص ٣٢٧ — ٣٨٠ » .
(٥) لم أجده في ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ » والظاهر أنه ذكره في « ذيل تاريخ واسط » له أيضاً .

ثمان وعشرين وستمائة ، ودُفن بمشهد الامام علي [1] — ع — » .

٩٧ — وجاء في حاشية الصفحة ٩٤ « لفخر الدين بن المبارك المخرمي صاحب الديوان في أيام المستنصر العباسي ذكر كثير في تاريخ هذه الفترة ، قال مصنف كتاب الحوادث : هو فخر الدين أبو سعيد بن المبارك ابن عز الدين أبي زكريا يحيى بن المبارك ... » .

والصحيح أنه « المبارك » لا « ابن المبارك » و « أبو سعد » لا « أبو سعيد » هكذا ورد اسمه في كتاب الحوادث « ص ١١١ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ٣٥٦ ... » وقال ابن الفوطي في ترجمته : « فخر الدين أبو سعد المبارك بن يحيى بن المبارك المخرمي البغدادي ، صاحب الديوان وشيخ رباط الحريم ، كان من أرباب البيوتات وأهل المناصب والمراتب الدينية والديوانية ، قال تاج الدين علي بن أنجب في تاريخه : وفي المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ولي فخر الدين النظر بدار التشريفات ، ووكالة باب مراد ، ونقل الى صدرية المخزن ثم إلى صدرية ديوان الزمام ثم عُزل ووكل به سنة ثلاث وأربعين ، وفي هذه الدولة عرض عليه الخدم الديوانية فأبى إلا أن يخدم في الخدم الإلهية الربانية ، وانتقل إلى رباط الحريم ، وأقام به ، وكتب بيده عدة مصاحف وربعات ووقفها على المشاهد ، فكان على ذلك الى أن توفي يوم الأربعاء أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين وستمائة ودفن بمقبرة الامام أحمد بن حنبل [2] » . فهذا هذا كما قال أبو حيان التوحيدي .

٩٨ — وأسند في الصفحة المذكورة الى مؤلف الحوادث أنه عرّف بيت المخرمي بقوله : « بيت معروف بالرزانة والأمانة والعدالة والكتابة والتصرف والولاية » ، والذي في كتاب الحوادث ـ ص ١٣٨ ـ « الرواية والدراية والقضاء والعدالة والكتابة والتصرّف والولاية » . ونقل الأستاذ من كتاب الحوادث ، على حسب قراءته ، أن فخر الدين بن المخرمي « خدم الخلفاء عدة خدمات

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٦٩ من نسختي بخطي » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٤٧ من نسختي بخطي » .

آخرها صاحب ديوان العراق » ، أما منصب ديوان المالك » فهو من مناصب الدولة الايلخانية ، ولم يتولّه قط .

٩٩ — وذكر الأستاذ الجليل في الصفحة ١٠١ رسالة الملك العادل أبي بكر بن أيوب إلى الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٠٤ على يد أستاذ داره « الأمير دكز العادلي » وقاضي العسكر خليل الصمودي ، وذكره أيضاً في الفهرس بصورة « دكز » ، والذي في السلوك للمقريزي « ١ : ١٦٧ » وهو مرجع الأستاذ الشيبي في هذا الخبر « أَلْدَكُز » . والهمزة واللام أصليّتان ، وبهذه الصورة ورد في الجامع المختصر « ٩ : ٢٥٩ » وهو الصحيح .

١٠٠ — وقال في الصفحة ١٠٣ : « جاء في أخبار سنة ٦٣٨ من هذا الكتاب [1] ما يأتي: وصل رسول من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومعه (قائد [2]) وجماعة من رماة البندق ، شهدوا أن الأمير إبراهيم ولد بدر الدين رماه بالبندق و (كتب) بذلك الى الخليفة ـ يعني المستنصر ـ فقبل ، وعلّق بباب البدرية ونثر عليه ألفا دينار وخلع على الواصلين معه » ، والصواب أنه « طائر » لا قائد ، و « انتسب الى الخليفة » لا كتب إليه ، وذلك أن نظام الفتوة لا يجيز أن يتفتى الرامي أي يكون تابعاً لرئيس الفتيان إلا بعد إصابته بالبندق طائراً من الطيور المذكورة في الحاشية ، بالشروط المقرّرة على الفتيان في الرمي ، ومعنى « تفتى الرامي » هو أن يصبح تابعاً لرئيس الفتيان الرماة ، وهو إذ ذاك الخليفة المستنصر بالله وهذا معنى قوله « وانتسب في ذلك الى الخليفة فقُبل » .

وقد ألف الشيخ العالم محمد بن إسماعيل بن البقال المعروف بابن ودعة الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٨٨ رسالة في أحكام رمي الطير الجليل وصيده ، وقد جعلها باسم الخليفة الناصر

---

(١) عني كتاب الحوادث .

(٢) الصواب طائر كما جاء في الحوادث « ص ١٤٣ » ، وهذا الطائر ينبغي أن يكون من طير الواجب المعروف بالطير الجليل ، وهو الهم والرزم والكركي والأوز والأنيسة والحبارى والسبيطر « القلق » والنسر والعظم والسكي « البجع » والعقاب والبناز والصوغ والغرنوق .

لدين الله مجدد الفترة ومقرر أحكام الرمي ، وسمى الرسالة « المقترح في المصطلح » وجعل مراتب الرسالة على النحو الآتي « كيفية دخول الرماية ، فيما يكمل به الرامي ، في القدمة وحكمها ، فيما يتعلق بمصرعه الفضيلة ، في الشهادات ، في التحكيم ، في الراهنات ، في المقاولة ، في التحريم ، في التكذيب والاهدار » . قال ابن رومة : « وهذا الفن وضع لتهذيب الأخلاق وتزكية النفوس ، وتكميل المروءة ، وعلى هذا حرم على الرامي أخذ العوض عن طير صرعه ، لاشعاره بالدناءة ، وإخلاله بالمروءة ، إذ لم يكن موضوعاً للاكتساب » ثم قال :

« الأمر الثاني : الرماية ، والنظر يتعلق بصيغتها ومعناها وحكمها ، أما الصيغة فهي قول الرامي عقيب سؤالهم إياه عن اختاره استاذاً : رميت لفلان ... وأما معنى الرماية فهو الانتساب إلى من يصلح في نظره للتقديم عليه كالتلميذ مع الأستاذ ، يأخذ عنه آداب فنه ، ويتعرف منه أحكامه ، والأحسن أن يكون جامعاً لصفات الكمال ليتخلق بأخلاقه ويتأدب بآدابه ، فعلى هذا لو قال : انتسب فلان إلى فلان في البندق ، أو جعلته أستاذي ، وما أشبهه جاز ، ويجب تسميته إن كان غائباً ، والاشارة إليه إن كان حاضراً [1] ... » .

١٠١ — وقال في الصفحـــة ١١١ وهو يصف كتاب « الحوادث » الذي سيناه غلطاً « الحوادث الجامعة » اتباعاً لقول الباحث المحقق يعقوب السركيس الذي في آخر سنة ١٩٥٩: « هذا ومن شواهد سقم هذه النسخة أن الأخبار المتعلقة باستيزار مؤيد الدين بن العلقمي نقلت من محلها وهو حوادث سنة ٦٤٣ ووضعت غلطاً في حوادث سنة ٦٥٣ مؤخرة عشر سنوات ، وهو تلفيق غريب يدل على تشويش النسخة من قبل [2] مجلدها أو غيره » وكرر ذلك في الصفحة ١١٣ قال : « وقد سقط من الكتاب الفصل الذي عقده المؤلف لترجمة ابن العلقمي الوزير ولم يبق إلا العنوان غير أننا نجد وصف الاستقبال باستيزار ابن العلقمي مدرجاً في حوادث

(١) المقترح في المصطلح .. نسخة دار الكتب الوطنية ٤٦٣٩ الورقة ٦ — ١١ » .

(٢) الصواب « يدل على تشويش مجلد النسخة لها » أو « إياها » ، لأن « من قبل » يستلزم النيابة ، كقولهم « كان ماشي بنداه من قبل الخليفة فلان » .

سنة ٦٥٣ بدلاً من ٦٤٣ وهو وصف شائق أو يجب أن يلحق بحوادث سنة ٦٤٣ » .

وقد كنت ذكرت في حاشية سابقة « ص ٤٢٨ » ، أني أنا الذي انتبه الى هذا التشويش في هذا الكتاب ، وقد نبهت عليه في الصفحة ٢٧٩ منه ولم يقف عليه أحد قبلي ، فجاء الأستاذ الشبيبي الجليل فأشار الى ذلك ، على النحو الذي ذكرته من كتابه ، ولو قد كان وقف عليه قبلي لم أستدرك هذا الاستدراك ، والدليل على أنه اتبع تنبيهي هو أنه وقع في وهم وهمته أنا نفسي وذلك أني قدرت أن الحوادث المنقولة من موضعها هي حوادث سنة ٦٤٣ [1] والصواب أنها حوادث سنة « ٦٤٢ » . فاستيزار مؤيد الدين العلقمي « ص ٢٧٩ » كان في سنة ٦٤٢ لا في سنة ٦٤٣، وأيا كان التاريخ فقد نبهت على الخلل الواقع في الكتاب فقلت في الصفحة ٢٧٩ : « اثنتا أخبار سنة ٦٤٣ » . وقال أبو الحسن الخزرجي في أخبار هذه السنة : « وفي يوم الثامن (كذا) من شهر ربيع الأول استوزر الخليفة أبا طالب مؤيد الدين محمد بن أحمد بن محمد العلقمي وركب في جمع عظيم من حاشيته وغيرهم إلى دار الوزارة ، وجلس في الايوان ، وكان قبل ذلك استاذ الدار فأمر الخليفة عوضه في أستاذية الدار محيي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي في يوم التاسع (كذا) من الشهر المذكور [2] » .

وقال ابن دقاق في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها ولي وزارة العراق بعد ابن الناقد الوزير مؤيد الدين بن العلقمي الرافضي [3] ... » وقال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها توفي شهاب الدين أحمد بن الناقد وزير [المستعصم بالله واعتقل] أولاده وصودروا واستؤصلوا وذهب جاههم ، وأقاموا مدة إلى أن ولي المستنصر [4] ، فاستوزر محمداً ولقبه مؤيد الدين ، وكان

---

(١) أكد الشيخ هذا التاريخ في الصفحة ١٠٤ فقد قال فيها : « استيزار ابن العلقمي ، جاء في أخبار سنة ٦٤٣ .. » .

(٢) المسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي ، الورقة ١٦٤ » .

(٣) نزهة الأنام في تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٠٩٢ الورقة ٨٥ » .

(٤) كذا ورد في مختصر الجزء الثامن « ٨ : ٢٤٢ طبعة الهند » وهو وهم مبين ، وفي الخبر هنا ظاهر.

رجلاً فاضلاً صالحاً مفيداً ديناً قارئاً للقرآن [1] » . وقال ابن كثير في حوادث سنة ٦٤٢ :

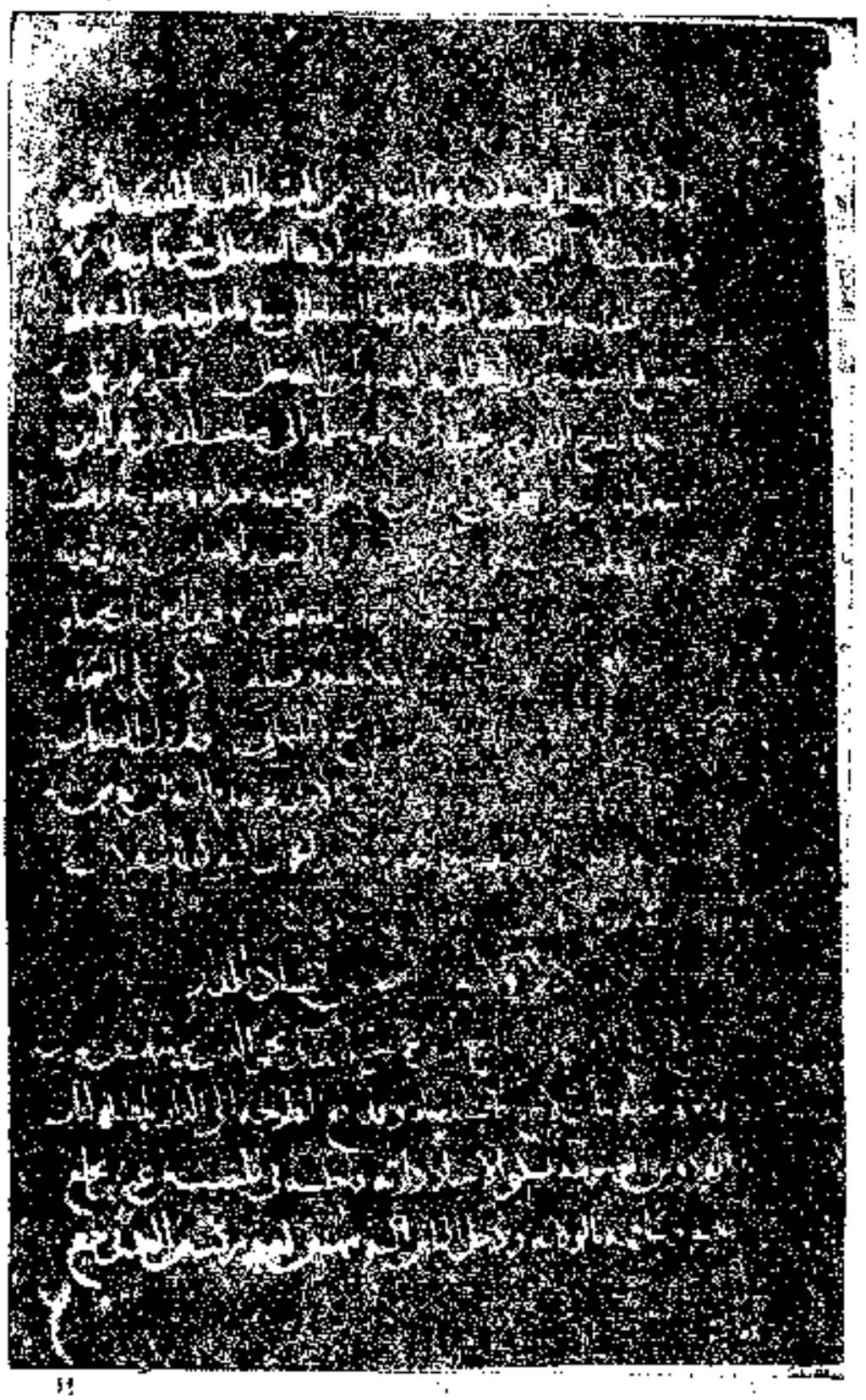

صفحة من كتاب « الحوادث » بخط مؤلفه

« وفيها استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن

(١) مختصر المرآة ، ٨ : ٢٧٢ .

الطقمي السرف على نفسه وعلى أهل بغداد ... » ، نقلته من « نسخة دار الكتب الأهلية بباريس ١٥١٦ من الورقة (٥٤) وهذه النسخة أصح من المطبوعة .

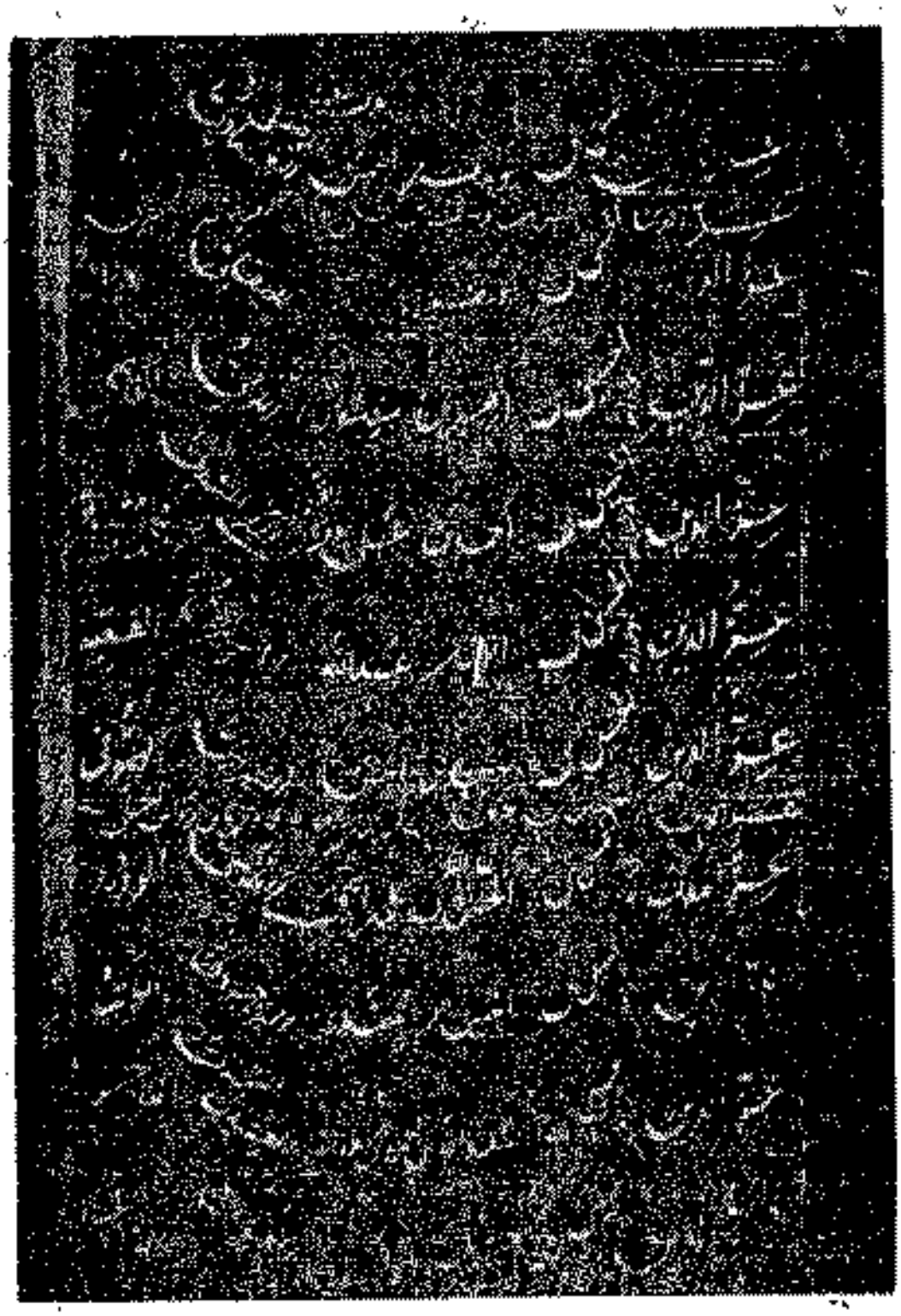

صفحة من كتاب تلخيص معجم الألقاب بخط مؤلفه ابن الفوطي

وجاء في الصفحة ٢٨٢ من كتاب الحوادث أن محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي المذكور آنفاً تولى أستاذية الدار سنة ٦٤٣ مع أن ولايته كانت سنة ٦٤٢ كما ذكرنا ونقلنا

قبلاً ، وهكذا القول فى أكثر الأخبار التي ظننتها أنها من حوادث سنة ٦٤٣ فتلافي فيها الأستاذ الشيبي الجليل ولذلك لم يشر إلى غلطي ، بل وقف عند وقوفي ، واحتطب بحبلي فى هذا الأمر ، ومما يؤيد أن الحوادث المشار اليها هي من سنة ٦٤٢ وفاة الوزير نصير الدين أبي الازهر أحمد بن الناقد[1] مع أنه قد أدخلت سيرته فى حوادث سنة ٦٤٣ (ص ٢٩١ ج ٤). قال ابن دقماق فى حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها مات الوزير نصيرالدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن الناقد ، أحد أولاد التجار المشاهير ، وذوي الثروة واليسار ، مولده فى ليلة الجمعة حادي عشري شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، ونشأ فى رياض الاشتغال بالكتابة ، ففوض إليه نظر أوقاف والدة الامام الناصر [زمرد خاتون] فى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وبقي مدة ثم صرف ثم استقر فى وكالة الامام الظاهر ثم لما تولى الامام المستنصر ولاه أستاذية الدار بعد وفاة عضد الدين أبي نصر المبارك بن الضحاك فى محرم سنة سبع وعشرين وستمائة ، فقام بأمور الخدمة أحسن قيام ثم ولي الوزارة فى سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين وستمائة وعرض له ألم فى مفاصله بعد خمس سنين من ولايته امتنع به من القيام والحركة ، ولم يزل مبجلاً مكرماً الى حين وفاته فى ليلة الجمعة سادس ربيع الأول ، فتقدم إلى كبار الدولة وأعيان الأمراء والقضاة ومشايخ الصوفية بالحضور إلى جامع القصر ثم غسل الوزير المذكور ، وتولى غسله المدرس بالنظامية نجم الدين عبدالله البادرائي ثم حمل تابوته مشى[2] وبين يديه القراء والحجاب والنواب والكتاب والدوادارية ثم صلى عليه أبو طالب الحسين بن المهتدي نقيب النقباء ثم حملت الجنازة وأدخلت

---

(١) كنت أحسب أن الصحيح فى وفاته هو أنها كانت سنة ٦٤٣ كما ذكرت فى حاشية الصفحة ٢٢٩ من الحوادث ، والصواب أنها وقعت سنة ٦٤٢ باجماع المؤرخين الذين ذكروا وفاته .

(٢) كان نصيرالدين الناقد وغيره من الناقدين شافعية ، وفي سنة ٦٤٦ توفي جمال الدين أبو الحسن علي ابن يحيى بن الخضر من الخضريين الحنابلة المشهورين ، وكان قد أوصى أن يدفن فى تل قريب من مشهد الحسين ـ ع ـ وأن يكون تابوته مكشوفاً ليس عليه غطاء ولا ثوب وأن لايقرأ بين يديه قراء بالالحان والتحزين بل قراء نظراء يقرؤون بالتلاوة المعهودة وأن يسبح جماعة ويهللوا ويحمدوا الله تعالى (الحوادث ص ٢٣٢) .

باب الغربة المستجدة وجعلت فى شبارة وشيعها كافة أرباب الدولة والصدور ، وأستاذ الدار مؤيد الدين العلقمي ودفن بتربته بالمشهد الكاظمي ، وكان أديباً فاضلاً ، مترسلاً ، للرعايا حافظاً ، وللعلماء رافعاً ، وكان سالماً عفيفاً متواضعاً ، قارئاً للقرآن ـ رح ـ [1] » .

وقال الجوزجي فى حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها توفي الوزير الكبير ملك المراقين أبو الأزهر نصيرالدين أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الناقد البغدادي ، وكان مولده فى الحادي عشر من شهر شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وهو من أولاد التجار ، نشأ فى الثروة والحشمة ، وحفظ القرآن الكريم واعتنى بالخط وتجويده ، وحصل طرفاً صالحاً من الأدب ، نحواً ولغة ، وكان يقول الشعر ، واشتغل بعلم الانشاء والرسائل ، وكان مواظباً على تلاوة القرآن ، لاسيما فى ليالي الجمع ، وكان له رأي صائب ، ودين وافر ، مليح الانشاء ، حسن النظم ، حفظة للاشعار والنكت والأخبار ، حسن الخط ، مهيب الشكل ، عفيف النفس ، وقوراً ورعاً ، توفي فى سادس شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، ونفذ جهازه من المخزن وفيه مائة وخمسون طرفاً من ماء الورد ، وأخرج عنه سدقة من البقر تسعون رأساً ، ومن الخبز خمسة عشر ألف رطل ، ومن التمر مائة وخمسون قوصرة ، وشيع جنازته كافة أرباب الدولة وذوو المناصب وأرباب الدولة » ثم قال : « ولما فتحت تركة الوزير نصيرالدين أحمد بن الناقد وجد فيها صندوق آبنوس فيه نيف وتسعون ألف دينار ، وفيه رقعة يذكر فيها (أن ذلك من فواضل معيشته وما أنعم عليه به فى الأيام المستنصرية والمستعصمية وأن ذلك حق من حقوق بيت المال للمسلمين لا تستحق ورثته منه شيئاً) فحمل إلى دار التشريفات وأنعم على ورثته وأجريت لهم جرايات على المخزن [2] » ،

وقال ابن كثير فى وفيات سنة ٦٤٢ ، « الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن الناقد البغدادي وزير المستعصم وأبيه المستنصر ، كان من أبناء التجار ثم توصل الى أن صار وزيراً [3] ... » .

(١) نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام ، نسخة دار الكتب الوطنية فى باريس ١٩٥٧ الورقة ٥٩ ، .

(٢) العسجد المسبوك ، نسخة المجمع العلمي المصورة ، الورقة ١٦٤ ، .

(٣) البداية والنهاية ، نسخة دار الكتب الأهلية بباريس ١٥١٦ الورقة ٥٣ ، .

وترجمه ترجمة حسنة صفي الدين ابن الطقطقي في كتابه الفخري « ص ٢٤٣ » وقال : « مات نصيرالدين في سنة اثنتين وأربعين وستمائة في خلافة المستعصم » .

٨٠٢ — وتكلم الأستاذ الجليل في الصفحات ١١١ ـ ١١٣ على الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن الطقمي ، ولم يتطرق الى التهمة التي ألصقها به مؤرخو مصر ومؤرخو الشام والعوام من القدماء وهي مخامرته على الدولة العباسية ومؤامرته بها ، لاسقاطها ، بل أشار إلى اختلاف الآراء فيه عموماً ، وقد ظهرت أمارات تلك التهمة الباطلة ببغداد منذ اختلافه مع مجاهد الدين أيبك الطركسي مقدم الجيوش العباسية سنة ٦٥٣ ، ذلك القائد الفَشِل ، وهذه التهمة تستأهل أن يؤلف فيها كتاب ، وقد ترجم أبو الحسن الخزرجي هذا الوزير ، كما ترجمه مؤلف كتاب الحوادث وشمس الدين الذهبي في تاريخه والصفدي في الوافي وابن شاكر الكتبي في الفوات ، ومحمد باقر الخوانساري في الروضات وغيرهم ، غير أن ترجمة الخزرجي له لم تنشر قال في أخبار سنة ٦٥٦ : « وفي هذه السنة توفي الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد (كذا) ابن العلقمي البغدادي الرافضي ، وكان عالماً فاضلاً ، أديباً ، حسن المحاضرة حسن الأخلاق ، كريم الطباع ، خير النفس ، كارهاً للظلم ، خبيراً بتدبير الملك ، لم يباشر قلع بيت ، ولا استئصال مال ، اشتغل بالنحو وعلم الأدب في شبيبته بالحلة [1] على سعيد الرؤساء بن أيوب ثم قدم بغداد وقرأ على أبي البقاء عبـــد الله بن الحسين العكبري ثم انضم إلى خاله أستاذ دار الخلافة معتمد الدين أبي نصر المبارك بن الضحاك [الأسدي] ، وكان شيخ الدولة ، فضلاً وعلماً ، ورياسة وتجربة ، فتخلق بأخلاقه ، وتأدب بآدابه ، واستنابه في ديوان الأبنية ، وأشغله بعلم الانشاء ، إلى أن توفي خاله ، فانقطع ولزم داره ، واستمر شمس الدين [2] أبو الأزهر أحمد بن الناقد أستاذاً

(١) كان أسدياً والحلة معدن بني أسد والأكراد الجاوانيين الذين استعربوا منذ مئات سنين .

(٢) كان هذا قبل أن يكون ابن الناقد وزيراً ، فلما استوزره المستعصم بدل لقب وجعله « نصيرالدين » وكان تبديل اللقب عند رفع الرتبـــة من رسوم الدولة العباسية في أواخر أيامهـــا . وهو مألوف في الدول السنية أيضاً .

الدار ، فاستدعى مؤيد الدين إلى دار التشريفات وأمره بالتردد إليها في كل يوم ، ومشاركة النواب بها ، فلما نقل أستاذ الدار أحمد بن الناقد إلى الوزارة نقل مؤيد الدين إلى أستاذية الدار ، فكان على ذلك إلى أن توفي الوزير أحمد بن الناقد ، فانتقل مؤيد الدين الى الوزارة ولم يزل على ذلك إلى أن انقضت الدولة العباسية وأقر في الدولة التترية على الوزارة ، وكابد شدة وتغيرت أحواله ولم يتم له ما أراد ولم يظن أن التتر يبذلون السيف مطلقاً ، فانه راح تحت السيف الرافضة والسنة وأمم لا يحصون وذاق الهوان والذل من التتر ، وذلك — يعني موته — في أول شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة [1] » .

١٠٣ — وقال في الصفحة ١١٣ : « وقد فاتنا بسقوط هذا الفصل [2] فوائد ثمينة فلا شك أنه اشتمل على رأي المؤلف في هذا الوزير الذي تضاربت آراء المؤرخين والباحثين في سيرته ، والغالب أن مؤلف كتاب الحوادث من أحسن المؤرخين رأياً بابن العلقمي الوزير » .

قلت : نقلنا سابقاً قول الأستاذ الفاضل : « غير أننا نجد وصف الاحتفال باستيزار ابن العلقمي مدرجاً في حوادث سنة ٦٥٣ بدلاً من ٦٤٣ وهو وصف شائق ... » . وهذا يعني أنه لم يسقط من فصله شيء ، ولا فاتت فوائد ثمينة ، أما رأي مؤلف الحوادث في ابن العلقمي فكان الأستاذ قد نقله في الصفحتين السابقين الصفحة ١١٣ مع تمهيد وإيضاح قال : « وفي هذا الصدد نقول : أثنى مؤلف الحوادث الجامعة ثناءاً بالغاً على مؤيد الدين ابن العلقمي ونوه بذكره حياً وميتاً وعقد له فصلاً في أخبار سنة ٦٥٦ عنوانه (ذكر من توفي من الأعيان بعد الواقعة) قال فيه : توفي الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي في جمادى الآخرة ببغداد وعمره ثلاث وستون سنة ، كان عالماً فاضلاً أديباً ، يحب العلماء ويسدي اليهم المعروف » ، إذن لا سقط فصل الوزير ولا أعوزنا رأي مؤلف الحوادث في الوزير ؟

---

(١) المسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي المصورة ، الورقة ١٩٣ » .

(٢) يعني الفصل الذي عقده المؤلف لترجمة ابن العلقمي ولم يبق منه إلا العنوان ، كما قال — حفظه الله — .

١٠٤ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ١١٣ أيضاً : « ومما يدل على العبث بنسخة الأصل ـ يعني كتاب الحوادث ـ ما قاله المؤلف في وقائع سنة ٦٤٥ وهذا نصه : فيها أنفذ الخليفة إلى الوزير ابن العلقمي دواة فضة مذهبة في جونة ، فخلع عليه ونظم الشعراء في ذلك ، هذا نصُّ ما جاء في الكتاب ، ونجد بعد ذلك أبياتاً في الرثاء لا علاقة لها بهذه الرقعة ... » .

وقد أصاب الأستاذ الجليل في هذا القول ، فالأبيات لا صلة لها بالخبر المذكور ، والصواب أن الخبر من أخبار سنة ٦٤٦ لا سنة ٦٤٥ كما جاء في كتاب « الحوادث » المشوّش الذي طبعته قديماً ، يدل على ذلك أن أبا الحسن المزرجي ذكر ذلك الخبر في تاريخه قال في حوادث سنة ٦٤٦ : « وفي شهر ربيع الأول أنعم على الوزير أبي طالب محمد بن العلقمي بدواة فضة مذهبة مدورة مشعة بديعة الصنعة ، جيلة الوضع ، فقال بعض الشعراء :

زاد إمام العصر ديوانه ... زيادة فيها تقر العيون
أعطى دواة للوزير الذي ... بفضله يعترف العالمون
وإنها تزن هكذا قد أتى الـ ... ـ ... قرآن إذ أقسم فيه بنون
وجوده يقضي بتكميلها ... بالقلم الجاري وما يسطرون
حتى يقول الناس في فضله ... « لئل هذا يعمل العاملون [1] » .

١٠٥ — وقال الأستاذ الجليل في الصفحة المذكورة : « والأرجح أن الأبيات المثبتة [2] من جملة قصيدة لابن أبي الحديد في رثاء أستاذ له توفي سنة ٦٤٦ ... » . وقال في الحاشية : « والقصيدة لموفق الدين بن أبي الحديد في رثاء عضد الدين المبارك بن رئيس الرؤساء [3] ، أثنى عليه صاحب الحوادث الجامعة (هكذا) وله ترجمة في معجم الأدباء

---

(١) المسجد المسبوك « نسخة المجسم العلمي العراقي المصور » ، الورقة ١٧٣ » .

(٢) يعني الأبيات المثبتة في كتاب الحوادث بعد خبر إهداء الدواة الفضة المذهبة « ص ٢١٩ » .

(٣) جاء في الصفحة ٢٢٢ من كتاب الحوادث « عضد الدين أبو الفتوح المبارك بن رئيس الرؤساء ابن المنسلة » وابن المنسلة . من خطأ الطبع ، والأصل « ابن المسلمة » .

٦/٢٣٢ والكامل ١٢/١١٨ » .

وقد أصاب الأستاذ الجليل شاكلة الصواب في نسبة الأبيات ولكنه أخذ حاشية لي كنت نشرتها في التعليق على اسم التوفى الرثي المذكور ، في كتاب الحوادث « ص ٢٢٧ » ، وقد استوعب الحاشية وزاد عليها قوله : « وله ترجمة » قبل « معجم الأدباء والكامل » ، مع أنه لم ترد له ترجمة في معجم الأدباء ٦/٢٣٢ بل استطرد مؤلفه الى ذكره ، وذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٥ . ولم أقل أنا إن ياقوتاً وابن الأثير ترجماه ، بل قلت : « في ٦/٢٣٢ من معجم الأدباء : عضد الدولة أبو الفتوح ابن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤســـاء ، وفي الكامل ١٢/١١٨ أبو الفتوح المبارك بن الوزير عضد الدين وهو الصواب » . هذا ما علقته على اسم الرجل المترجم المذكور ، أما الوارد في معجم الأدباء خاصاً به على سبيل الاستطراد فهو قول ياقوت : « وكان قد فوض إلى عضد الدولة أبي الفتوح ابن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء أمر المخزن المعمور والأعمال التي كانت مفوضة قبله الى ابن الناصر ... » . ذكر ذلك في ترجمة أبي بكر المبارك بن المبارك بن سعيد ابن الدهان فلم تكن للمبارك ابن رئيس الرؤساء ترجمة . وقد نسي الأستاذ أن لعضد الدين المبارك بن رئيس الرؤساء ترجمة في تلخيص معجم الألقاب وأنه أيضاً مذكور في الجامع المختصر « ٩ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ » ، قال ابن الفوطي : « عضد الدين أبو الفتوح المبارك [1] ابن الوزير عضد الدين محمد بن عبد الله بن الظفر بن رئيس الرؤساء البغدادي صاحب المخزن ، من بيت الوزارة والرئاسة والتقدم ، وكان مع اشتغاله بأمور الدنيا والتصرفات السلطانية ، له اليد الطولى في الهندسة والرياضيات ، وقد سمع في صباه من يحيى بن ثابت بن بندار وطبقته ، وتولى في أيام الناصر صدرية المخزن ثم عزل سنة ست وعشرين وستمائة (هكذا) ، ولما عزل لزم بيته مشتغلاً بنفسه ، وعمل داره المجاورة لجامع ثغر الدولة بالجانب الغربي رباطاً للصوفية ، وله أشعار حسنة ورسائل مدونة ، مولده في رجب

(١) يحسن أن يقابل بين هذه الترجمة وترجمته في كتاب الحوادث فيتبين بون شاسع يدل على أن مؤلف الحوادث هو غير ابن الفوطي .

صفة سنين وخمسمائة ، توفي في ذي القعدة سنة خمس [1] وأربعين وستمائة [2] » .

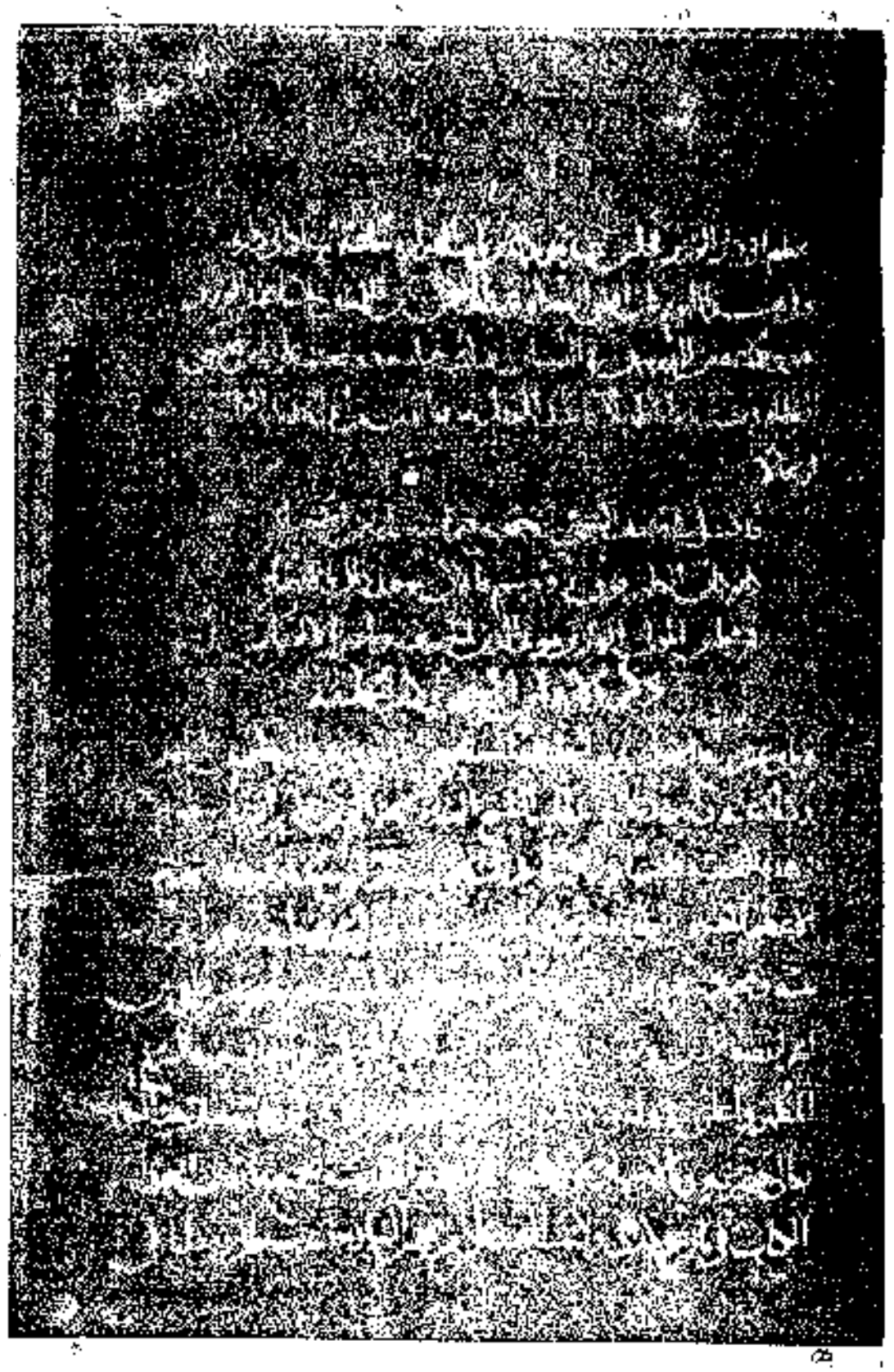

صفحة من كتاب « الحوادث » بخط مؤلفه

(١) جاء في الحوادث أنه توفي سنة ٦٤٦ والصحيح قول ابن الفوطي ، ويؤيده ما جاء تاريخ المخزومي المسجد المسبوك « الورقة ١٢٢ » . وهذا الاختلاف يعزو الى اختلال التبليد في نسخة الحوادث .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٥٥ من نسختي بخطي » .

وكون وفاته في سنة ٦٤٥ كما في تلخيص معجم الألقاب ، ومعجم المعجم ، وورودها في أخبار سنة ٦٤٦ كما في كتاب الحوادث التي طبعته بغداد سنة ١٩٣٢ إنما هو من أخبار سنة ٦٤٥ نقلت باختلال التجليد في كتاب الحوادث الى سنة ٦٤٦ . ومن ذلك وفاة السيدة هاجر والدة الخليفة

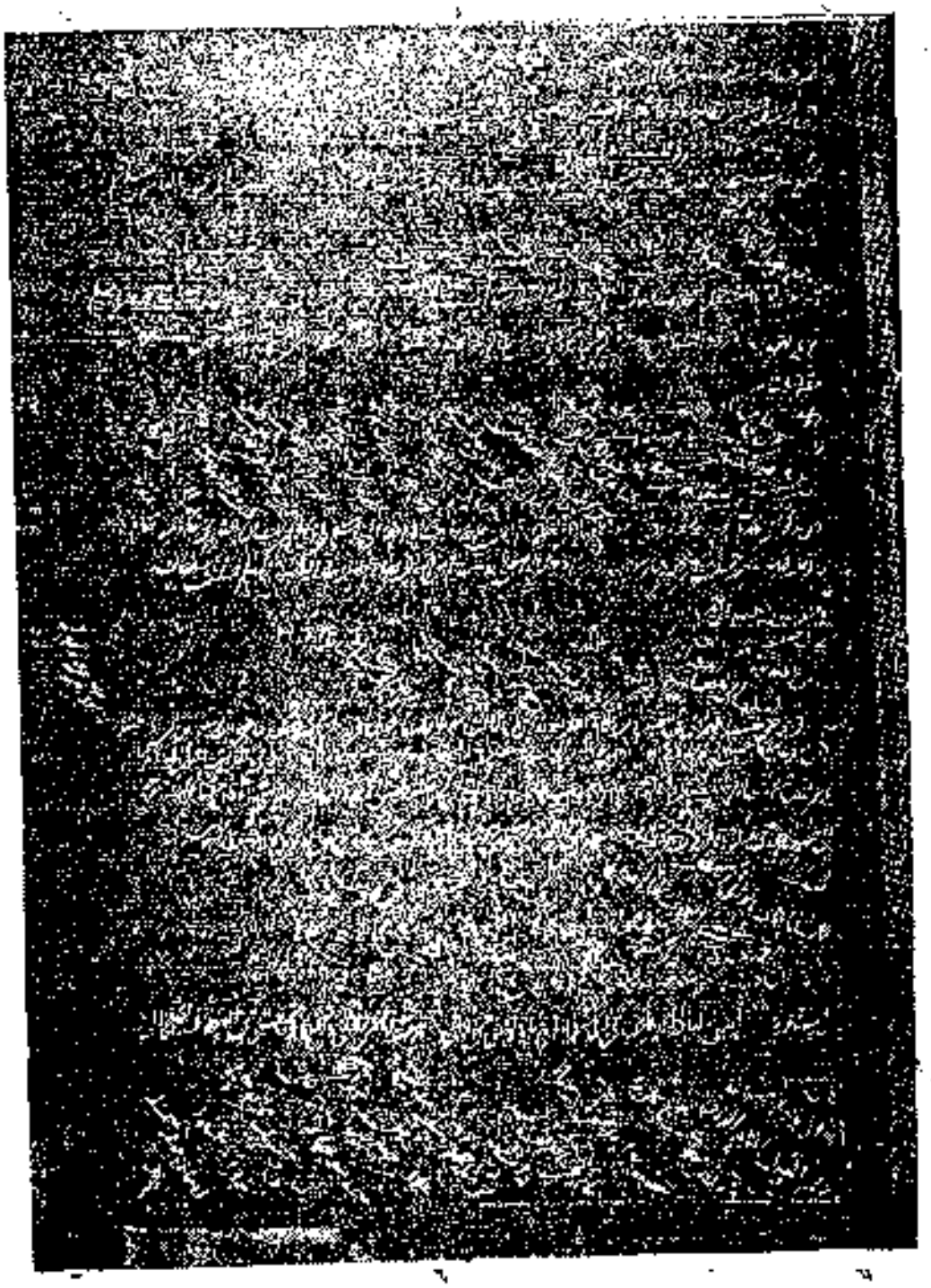

صفحة من تلخيص معجم الألقاب بخط مؤلفه ابن الفوطي

المستعصم بالله ووفاة هبة الله بن الحسن ابن الدواي ، فقد كانتا في سنة ٦٤٥ كما جاء في تاريخ الخزرجي « الورقة ١٧٢ ، ١٧٣ » ، وفي التاريخ أدلة أخرى على ذلك لا يمكن أحداً إدحاضها .

١٠٦ — وقال في حاشية الصفحة ١١٥ وهو يبرهن على أن كتاب الحوادث المطبوع

هو « الحوادث الجامعة » : « وبهذا السدد دارت مراسلة بيني وبين صاحب هذه النسخة وجاء في رسالتي اليه : تلقيت رسالتكم ... ومنها جزء منفل في التاريخ وقد استطلعتم رأيي في مؤلف هذا الكتاب أولاً ورغبتم بتعريف[1] ابن الفوطي ثانياً ، ومن رأيي ـ وقد تصفحت الكتاب ـ أنه كتاب الحوادث الجامعة لمؤلفه عبد الرزاق بن أحمـــد الفوطي البغدادي ... » . وأحال الأستاذ بذلك على مقدمة كتاب الحوادث المطبوع ، ومن يتأمل تلك المقدمة يجد تبايناً بين قوليه ، فقد قال في المقدمة : « ومن رأيي ـ وقد تصفحت الكتاب أنه كتاب الحوادث والتاريخ لمؤلفه العلامة عبد الرزاق بن أحمد الفوطي ... » ، ثم قال : « ومما يحز في النفس ألماً أن يمحى تاريخ العرب والاسلام وتاريخ بغداد والعراق خاصة بفقدان معظم آثار ابن الفوطي ومن جملتها أكثر أجزاء كتاب الحوادث على التاريخ ... » . وقد انقلب كتاب الحوادث والتاريخ أو الحوادث على التاريخ إلى « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » ، وصارت الأجزاء جزءاً واحداً ، وقد قدمت الكلام على كتاب « الحوادث والتاريخ » في ملحوظ سابقة وهو غير الحوادث الجامعة بالتحقيق والتأكيد .

١٠٧ ـــ واستدل الأستاذ الفاضل في كتابه « ص ١١٥ ـ ١٦٨ » بأدلة عامة من أقوال المؤرخين على دعواه أن كتاب الحوادث المطبوع هو كتاب « الحوادث الجامعة » ومنها أن مؤلف تلخيص معجم الألقـــاب ومؤلف كتاب الحوادث عُنيا بذكر أصحاب الكتب ومكتباتهم ، وذكر من الأمثلة على ذلك قول مؤلف الحوادث في ترجمة القفطي ـ ص٢٣٨ ـ : « كان محباً للكتب جمع منها ما لم يجمعه أحد من أبناء جنسه لأنه قال في أثمانها ... » ، ولو صح لقول الأستاذ الجليل وجه في هذا الاستدلال لكان ابن الفوطي قد ذكر القفطي في تلخيص معجم الألقاب في لقب « القاضي الأكرم » فقد قال مؤلف الحوادث في حوادث سنة ٦٤٦ : « وفيها توفي أبو الحسن علي[2] بن يوسف القفطي المعروف بالقاضي الأكرم ... »

---

(١) جاء في مختار الصحاح « رغب فيه : أراده وبابه طرب ورغبه أيضاً » .

(٢) قال الجزوبي في حوادث سنه ٦٤٦ : « وفي هذه السنة مات الوزير أبو الحسن علي بن يوسف بن=

وترى في الحاشية أن لقبه « القاضي الاكرم » كان مشهوراً بين الناس ، ولقبه به ياقوت الحموي في معجم الأدباء : « ٥ : ٤٧٧ » فكيف إذن أغفل ابن الفوطي لقب هذا الرجل إن صحّ أنه ذكره في كتاب « الحوادث الجامعة » المزعوم أنه هو هذا المطبوع ؟!

مؤلف كتاب الحوادث

١٠٨ — وقال في الصفحة ١١٧ في رد احتجاج من احتج بامكان اعتماد مؤلف «الحوادث» على تصانيف ابن الفوطي في التاريخ من قبيل معجمه المسمى « مجمع الآداب» وملخصه وغير ذلك من تصانيفه ، وكونه من المؤرخين المتأخرين قليلاً عن عصر ابن الفوطي الناقلين عنه ، على أن هذا وما ضاهاه من الأقوال ضرب من الظنون والاحتمالات » .

وفي هذا صواب من القول ، غير أننا نعتمد في تأييده على أن مؤلف الحوادث هو غير ابن الفوطي وأنه لم يعتمد على كتاب من كتب الفوطي كائناً ما كان ، فقد ذكر مؤلف الحوادث في كتابه أنه نقل من تاريخ تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي « ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ » ومن تاريخ ظهير الدين علي بن محمد السكازوني المتوفى سنة ٦٩٨ « ص٤٩٧ » وهما مؤرخان بغداديان ، توفيا ببغداد ، ثم إن نقله من تاريخ السكازوني [1] يدل على أنه ألف كتابه بعد سنة ٦٩٧ ، وإذ كانت نهاية تاريخه سنة « ٧٠٠ هـ » عُلم أنه كان حياً في تلك السنة، وأنه لم ينقل من كتب ابن الفوطي لأن ابن الفوطي توفي سنة ٧٢٣ كما هو معلوم، فالنقل من كتبه يكون

=ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن محمد بن اسحاق القفطي المعروف بالقاضي الاكرم ، وزير حلب ، وكان أحد الكتاب المشهورين ، قال الحافظ أبو عبد الله (محمد بن النجار) البغدادي : كان جم الفضائل ، عظيم القدر ، سخي الكف ، طلق الوجه ، حلو الشمائل ، مشاركا لأرباب كل علم في علمهم في النحو والفقه واللغة والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وله من التصانيف ... وكان جماعاً للعلوم ، محباً للكتب جمع منها ما لم يجمعه أحد من أبناء جنسه ... » ، « المسجد المسبوك الورقة ١٧٤ من النسخة المذكورة » ومعلوم أن وفاته لم تنقل من تاريخ ابن النجار لأن وفاته كانت قبل وفاته.

(١) قال كاتب جلبي في كشف الظنون : « روضة الأريب في التاريخ أي تاريخ بغداد للشيخ ظهير الدين علي بن محمد السكازوني المتوفى سنة تسع وتسعين وستمائة وهي في سبعة وعشرين سفراً » .

ممكناً بعد هذه السنة ، كما جرت به العادة ، وبذلك يستحيل نقل مؤلف الحوادث من تواريخ ابن الفوطي ، فحجة القائل بالنقل داحضة . ومن الأدلة على كون مؤلف الحوادث ببغداد أو في العراق سنة (٧٠٠) قوله في حوادث سنة ٦٩٧ : « وفيها عزل الأمير تاولدار شحنة بغداد ، وسبب ذلك أن نائبه رستم أساء السيرة وتعدّى الحد في الشنقصة [1] وأنواع التأويلات ، واعتمد ما أوجب قتله ، وعزل تاولدار ورُتب عوضه الأمير أذبغا ، فمهد العراق بحسن سيرته ، وعظم سطوته ، وشدة وزعته ، ولا تأخذه في المفسدين لومة لائم ، فالناس في أيامه آمنون على نفوسهم وأموالهم في البلاد والنواحي والطرق [2] » .

فتأمل قوله « ولا تأخذه في المفسدين لومة لائم فالناس في أيامه آمنون ... » فانه لم يقل « كانوا آمنين » ولا « كان لا تأخذه في المفسدين لومة لائم » ، وهذا يدل على أنه كان على الشحنكية أيام تأليف كتاب الحوادث ، قال ابن حجر : « آذينه الطغري ـ يعني التتري ـ شحنة بغداد من قبل التتار ، كان عادلاً صارماً ، ولي بغداد فهدها من المفسدين وقمع من بها المعتدين وخفف مكساً كثيراً وحمدت سيرته الى أن مات في أوائل سنة ٧٠٩ بناحية الكوفة وكان ديناً حسن الاسلام ، يمشي الى صلاة الجمعة [3] » .

وقال ابن الفوطي : « عز الدين أبو الفضل محمد بن علي بن محمد بن هبة الله ، يعرف بابن الوكيل البغدادي الكاتب... كتب بين يدي الأمير العادل آذبغة أحد في الانشاء وله حظ حسن

---

(١) قال الفيروزآبادي في القاموس : « الشنقصة : الاستقصاء ، مولدة ، والشناقصة : ضرب من الجند الواحد شنقاصي بالكسر » ويراد بالشنقصة جباية المال بالاحتيال وهي استقصاء جائر ، ولعل الشناقصة من الجند صلة بالشنقصة ، وقد وردت في أخبار سنة ٤٧٣ « المنتظم ٨ : ٣٢٧ » ، ولا يصح أن يقال إنها « عراقية مولدة في عصر الدول أي أنها ليست من المولد القديم ، شاعت في لهجة الثلة السابعة بمعنى القسر والاكراه أو التصدي للضرر (كذا) وعمل السوء » كما جاء في رسالة « أصول ألفاظ اللهجة العراقية ص ٦٦ ، ٦٧ » ، فقد عرفت قبل الثلة السادسة بسنين كثيرة وذكرت في القاموس .

(٢) كتاب الحوادث « ص ٤٩٦ » .

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة « ١ : ٣٤٢ » .

ونرسل مليح ، وتصرُّف جميل وينظم الشعر الجيد في المعاني ويجيد الضرب بالعود [1] » .

وكان آدينة هذا من المؤيدين لأخوال صفي الدين عبد العزيز الحلي الشاعر على خصومهم من آل أبي الفضل العلويين ، قال ابن مهنا المعروف بابن عنبة في أخبار السيد زين الدين هبة الله العلوي الحلي النقيب : « أما زين الدين هبة الله فتولى النقابة الطاهرية وصدارة البلاد الفراتية وغيرها ، وقتل بظاهر بغداد سنة إحدى وسبعمائة ، قتله بنو محاسن بدم صفي الدين بن محاسن ، وكان السيد [زين الدين] قد أمر به فرُفس فمات . وقتلوه قتلة شنيعة ، ورخص لهم في ذلك آدينه حاكم بغداد [2] » .

ومن الأخبار التي نشعر بمعاصرة مؤلف الحوادث لقسم من الحوادث قوله في حوادث سنة ٦٩٦ : « فيها أمر السلطان غازان بقتل صدر الدين محمد بن عبد الرزاق الخالدي صاحب ديوان المالك ، لما ظهر من سوء حركاته ، وكان غير محمود السيرة ، ظالماً ، أظهر الجاه وقسر الناس على المعاملة به فأضرَّ بهم وبطلت معايشهم وتعطلت أمورهم إلى أن لطف الله تعالى وألهم السلطان إبطاله [3] ... » . فقوله « إلى أن لطف الله تعالى وألهم السلطان » لا يقوله فيما أرى إلا مؤرخ معاصر له هوى في الدولة الايلخانية وسلطانها .

ومنها قوله في حوادث سنة ٦٨٨ يذكر قتل مجد الدين إسماعيل [4] بن الياس البغدادي الصاحب والد العالم الطبيب ويوسف بن إسماعيل بن الياس ابن الكتبي مؤلف كتاب « ما لا

(١) التلخيص ، ٤ : ٣٦ » .

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ٢٧٤ » من طبعة النجف .

(٣) الحوادث ، ص ٤٩٥ » .

(٤) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب في لقب مجد الدين « ٥ : الترجمة ٢٠٠ من الباب » ، وترجمه الذهبي في تاريخ الاسلام نقلا من تاريخ ابن الفوطي وترجمه الدكتور أحمد عيسى في معجم الأطباء الذي جعله ذيل عيون الأنباء نقلا من تاريخ الذهبي وشوه ترجمته بالتصحيف . قال الذهبي في وفيات سنة ٦٨٨ : إسماعيل بن إلياس الصاحب المعظم مجد الدين الكتبي . قال ابن الفوطي : قتل في جمادى الآخرة بالدار الشاطئية ، ذكر أنه كان يومئذ سائساً ، وكان من أفاضل الأعيان ، مليح الخط ، قد قرأ في الطب والهندسة والأدب ، وولي الأعمال الجليلة ، وكان جيل الجملة والتفصيل » . « نسخة دار الكتب البريطانية ١٤٤٠ الورقة ٧٦ » .

يسع الطبيب جهله [1] » في الأدوية المفردة : « وقتل مجد الدين في يوم الأربعاء ثاني عشري الشهر [جمادى الآخرة] تحت الدار الشاطئية ، وسلمت جثته إلى أولاده ، وكان قتله آخر النهار وهو صائم ، فطلب ماءاً ، فلما أتي به نظر إلى الشمس وقد قرب غروبها فلم يشربه . وقال للسياف : اضرب ضربة واحدة ، فقال له : نعم . وكان رحمه الله من محاسن الزمان ، عالماً فاضلاً أديباً جواداً سخياً كريماً ، يكتب خطاً جيداً ويقول الشعر [2] ... » . فقوله : « كان من محاسن الزمان » يدل على أنه كان معاصراً له ، عائشاً في زمانه المزين بمحاسنه ، وإن كان ذلك الزمان على ما كان في الحقيقة ، ولو كان غير معاصر له لوجب عليه أن يقول « كان من محاسن زمانه » ، ويا عجبا من هؤلاء ذوي السير المتناقضة ، ينهالكون على المناصب وهم من المتهترين بالعبادة ، إلى حدّ الصيام في شهر جمادى الآخرة .

ومنها قوله في حوادث سنة ٦٩٦ في أخبار السلطان غازان — ص ٤٩٢ — : « وفيها في المحرم سار السلطان غازان يريد العراق ... ثم توجه إلى بغداد بجيوش كثيرة وشمل الناس بالعدل والاحسان ، ولم يتعرض أحد من العسكر لأهل السواد بما جرت به العادة من دعي الزروع ، وغير ذلك وكانت [3] الرعية تسير بينهم ومعهم الأشياء المجلوبة للبيع ، فلا يأخذ أحد منهم شيئاً إلا ابتياعاً بالطف والين ، ورأى الناس من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته ، فلما دخل بغداد لم ينزل في دار إلا بأجرة وما أزعج أحد من منزله ثم إنه دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ الشايخ ... » . ثم قال : « وتألم الناس من إزامهم بإخراج ذهباً أحمر ، وكان جمال الدين المستجرداني قد استوفاه منهم في السنة الماضية كذلك ... فأمر السلطان بإجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد ، فتوفر عليهم

(١) منه نسخة في خزانة كتب الأوقاف ببغداد أرقامها في التسجيل الجديد « ٣٠٠٢ » كما في الكشاف عن مخطوطات خزانة كتب الأوقاف « ص ٢١٧ » وهي كاملة ، وفي خزائن الكتب في قسم من دول أوربة نسخ منه ناقصة .

(٢) الحوادث « ص ٤٠٨ » .

(٣) من هنا إلى قوله : ثم إنه ... أسقط من النسخة المطبوعة ، أسقطه ناسخ خبيث في أثناء النسخ .

شيء كثير من التفاوت فزادت أدمغتهم » .

ويلوح لي أن هذا الاسلوب من اقتصاص الخبر لا يأتيه إلا معاصر للسلطان غازان المذكور، وذلك يتبين جداً في قوله : « وزيادة دماغهم لدوام دولته » وقد انتهى هذا الجزء من تاريخه في أثناء دولته ، في سنة (٧٠٠) كما ذكرنا من قبل .

ومن المعلوم أن ابن الفوطيّ رجع الى بغداد من كرافة سنة ٦٧٩ كما صرّح هو به غير مرة في تلخيص معجم الألقاب [1] ، وهذا يوجب أن يكون مطلعاً على حوادث بغداد من كثب ، وملتزماً جانب الصاحب علاء الدين الجويني ، وهو الذي أعاده إلى العراق ووكل اليه كتابة التاريخ ، كما نقلنا من قبل ، وقد جاء في الحوادث لسنة (٦٨٠) قول مؤلفه : « وقبض السلطان [أبا ناخان] على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه وسلم الى الصاحب مجد الملك فاستوفى منه أموالا كثيرة [2] ... » فتأمل قوله كيف جرّد علاء الدين من لقب « الصاحب » الذي هو به أجدر وعليه أشهر ، وألحقه بمجد الملك عدوّه الأزرق ؟ أيجوز أن يكون هذا ابن الفوطي ؟

وجاء في حوادث سنة ٦٨١ قول مؤلفه : « وفيها سقط بعض الفقهاء بالمدرسة المستنصرية من غرفة [3] إلى صحن المدرسة فمات من يومه [4] » . ولو كان الكاتب ابن الفوطي لذكر اسم الفقيه ، ويُراد به طالب الفقه يومئذ ، ذلك لأن ابن الفوطي كان قريباً جداً من موضع الحادثة فلا تفوته معرفة اسم الفقيه ، على أن هذا غير لازم له .

وذكر مؤلف الحوادث في السنة المذكورة أنه « فيها فُقد الشيخ الظهير أحمد بن عبدالقادر

---

(١) كقوله في ترجمة أحمد بن علي بن محمود الفرغوني الصفار : « وحصلت بيني وبينه مودة مؤكدة أيام قدمت من حرانة سنة تسع وسبعين وستمائة » . « ٤ : ٢٢٣ » وكذلك ما في ترجمة منتجب الدين عثمان .

(٢) الحوادث « ص ٤١٥ ، ٤١٦ » .

(٣) الغرفة هي بيت يكون على سطح الطبقة الأولى من البنيان فما فوقها ، ومن الخطأ الشائع تسمية « الحجرة » بالغرفة .

(٤) الحوادث « ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ » .

الجيلي الحنبلي من مدرسة جده ... فوجد في سنة ست وثمانين [وستمائة] في بئر داره التي في مدرسة جده وعرف بخاتم كان في يده ، حكى بعض أصحابه أنه رآه في المنام بعد فقده بثلاثة أيام فسأله عن حاله فقال له : يضرب المثل بمن يديه تحت الرحى فكيف بمن قد حصل كله تحت الرحى [1] » . وهذا المنام على حسبان أن صحته ممكنة لا يذكره مؤرخ حنبلي كابن الفوطي على شيخ حنبلي من آل عبد القادر الجيلي هو الشيخ ظهير الدين المذكور ، ثم إنه لو كان القائل ابن الفوطي لقال « حدثني فلان من أصحابه ... » أو « حكى لي ... » ، ولو كان ابن الفوطي لكان يؤرخ السنين بالترتيب ولم يقل في ذكر رجل فُقد سنة ٦٨١ : « فوُجد في سنة ست وثمانين وستمائة في بئر داره ... » ، فهذا يدل على أن المؤرخ كان ينقل من كتب التاريخ وبلم أطراف الأخبار والتراجم بدراية وبراعة ، ومثل هذا قوله في أخبار السنة المذكورة ٦٨١ : « وفيها أبطلت الفلوس النحاس وضرب عوضاً عنها فلوس فضة وجعلت كل اثني عشر فلساً بدرهم وسميت (دناكش) ثم أبطلت في سنة ثلاث وثمانين ، وأميدت الفلوس المسّ وتعامل الناسُ بها ، كل ثلاثين فلساً بدرهم » .

وجاء في أخبار سنة ٦٨٦ قول مؤلف الحوادث : « ووقع بتبريز برد كثير أتلف الزروع في أعمال بغداد ، قال الشيخ ظهير الدين الكازروني في تاريخه : حكي لي قاضي طريق خراسان أن جماعة شهدُوا عنده أنهم رأوا في ناحية الخوزية من أعمال يراز الروز برداً كباراً فيه بردة طويلة عظيمة كالرجل النائم ، والله أعلم [2] » فلو كان المؤرخ ابن الفوطي لوصل إليه الخبر ولم يحتج الى تاريخ ظهير الدين ، ولم ينتظر وفاة ظهير الدين أي من سنة ٦٨٦ إلى سنة ٦٩٧ حتى يسجل هذا الخبر .

ومن الدلائل على أن المؤلف كان ينقل من التواريخ إلى ما بعد سنة ٦٩٤ وسنة ٦٩٨ المقدم ذكرها قوله في أخبار قتل فخر الدين مظفر بن الطراح في هذه السنة : « وله أشعار كثيرة

(١) الحوادث ، ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

(٢) الحوادث ، ص ٤٥٣ .

مدح بها الصاحب علاء الدين بن الجويني وأخاه شمس الدين وآخر ما قاله وهو في السجن بدار النيابة ببغداد قبل أن يقتل بأيام ، ووُجدتْ بخطه :

القول فيما مضى من عمرنا هـدرُ فدعه واصبر لما يأتي به القدرُ[1] »

فقوله « ووُجدَت » يعني به القصيدة ، ولو كان المؤرخ ابن الفوطي لاستطاع الحصول عليها بلا واسطة يُبنى الفعل للمجهول من أجلها ، هـذا ومن العجيب أن ينتهي هذا التاريخ بسنة ستمائة ولا نجد له خاتمة يختمه بها المؤلف ، كما جرت به عادة المؤلفين قاطبة ، أفات فجأة ؟ أم عاقه عن التسجيل عائق قهار ؟ أم هذا جزء من تاريخه ؟ إنه كان من الحاجة بحيث ألزق على أخبار من أخباره ورقات فكتب فيها غيرها كما رأيناه في نسخة الأصل المحفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

وإذ نفينا أن يكون كتاب « الحوادث » هـذا المطبوع ، من تأليف ابن الفوطي ، ينبغي لنا أن نولي الوجه شطر معاصريه من مؤرخي العراق ، وقد ذكر هو منهم جماعة ، يجوز نسبة كتاب الحوادث إلى غير واحد منهم فأولهم فخر الدين أبو الفضل محمد بن مجد الدين علي بن أبي اليمامن بن أمسينا الواسطي الصدر الكاتب ، قال ابن الفوطي بعد ذكره لقبه واسمه على النحو الذي ذكرته : « قدم مدينة السلام وحصل لي به أنس واجتماع وهو صدر فاضل ، من بيت الرئاسة والتقدم وكان عارفاً بالحساب والضبط ، في الكتابة والخط ، والتقط فوائد تاريخ شيخنا تاج الدين أبي طالب [علي بن أنجب ابن الساعي] وهو عالم بالحوادث والتواريخ . سألته عن مولده فذكر أنه ولد في شوال سنة اثنتين وأربعين وستمائة [2] » .

وقد ذكره ابن الفوطي أيضاً في ترجمة والده مجد الدين أبي الحسن علي بن أبي اليمامن بن أمسينا الواسطي الكاتب وبعد أن ذكر ، نقلاً من تاريخ ابن الساعي ، أن والده رتب مشرفاً بدار الشريفات العباسية ثم وكيلاً بباب الحجرة العباسية ثم ناظراً في طبق الافطار الرمضاني

(١) الحوادث « ص ٤٨٥ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٦٦ من نسختي بخطي » .

العباسي قال : ذكر لي ولده فخرالدين محمد قال : توفي والدي سنة إحدى وثمانين بيغداد[1] » .

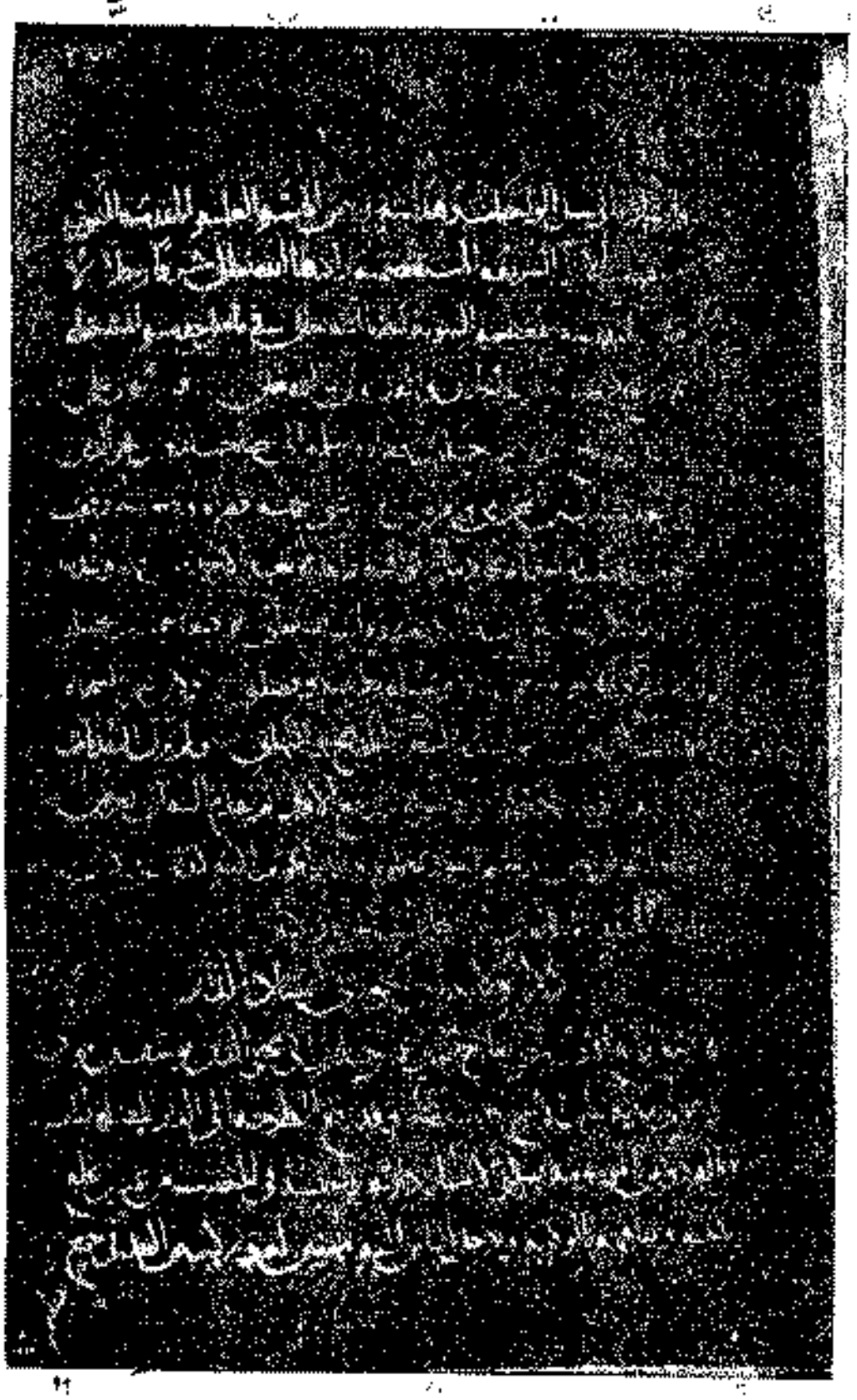

صفحة من كتاب « الحوادث » بخط مؤلفه

(١) التلخيص « ٥ » : الترجمة ٣٩٩ من الميم » .

وذكره في ترجمة رجل آخر من بني أمسينا قال : « عبد الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن أمسينا الواسطي ، ناظر واسط ، كان من الصدور الأكابر ، ولي الولايات الجليلة ، حدثني عنه نسيبه الصدر الرئيس فخر الدين محمد بن أمسينا سنة تسعين وستمائة[1] ... » .

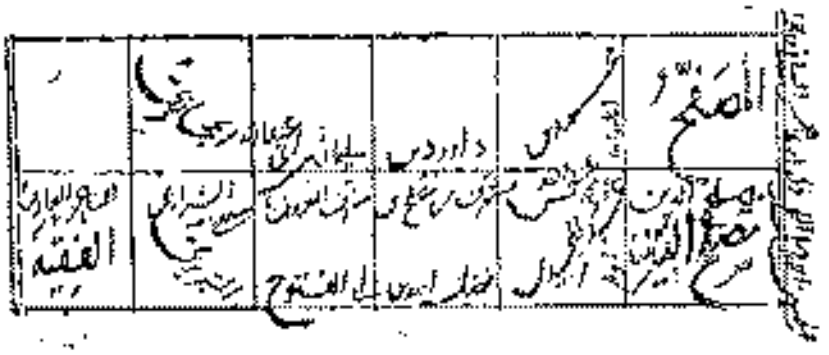

(٢)

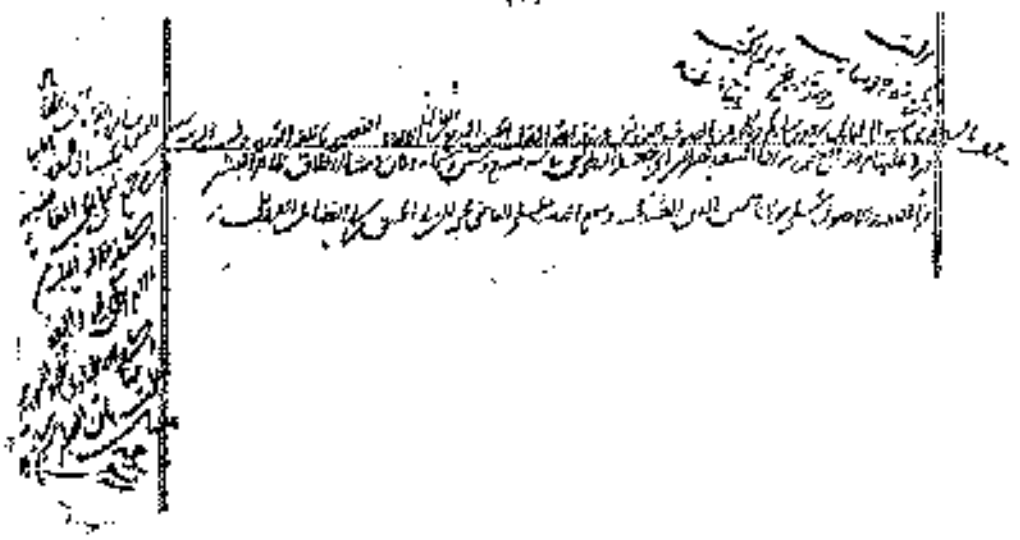

(مثالان من صفحتين متقابلتين من تلخيص معجم الألقاب بخط مؤلفه ابن الفوطي)

ولقائل أن يردّ عليّ قولي هذا بأنه لو كان مؤلف كتاب الحوادث فخر الدين محمد بن أمسينا

(١) التلخيص ٤ : ١٤٨ .

ما جاء ذكر والده في كتابه بغير إشارة إلى أبوة ولا الى قرابة [1]، فقد جاء في أخبار سنة ٦٣٥ من كتاب الحوادث : قوله « وفي شعبان رتب شمس الدين عبد العزيز محمد بن خليد مشرفاً بدار التشريفات نقلاً من الكتابة بها ، ورتب مجد الدين علي بن أبي اليامن بن أمسينا الواسطي كاتباً بها [2] » ، ولو كان هو مؤلفه لذكر وفاة والده سنة ٦٨١ مع أنه ذكر وفاة غيره ممن هم دونه شهرة ومقاماً ، وبهذا الاعتراض يهن الافتراض .

ومن المؤرخين الذين يجوز أن ينسب اليهم كتاب « الحوادث » المطبوع « عبد الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر الدلوي السكرجي ثم البغدادي المقرئ » ، قال ابن الفوطي بعد ذكر لقبه واسمه على الصورة المقدم ذكرها : « من العلماء الثقات ، والحفاظ الأثبات ، قرأ القرآن الكريم على والده ، وكان كثير التلاوة ، عارفاً بالتفسير والقراءات ... وكان كثير المطالعة عارفاً باللغة ، ورتب شيخ دار القرآن المعروفة بالبشيرية [3]، على ساحل دجلة بالجانب الغربي واشتغل عليه جماعة من الأعيان . سألته عن نسبه فذكر أنه ينتمي إلى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وسألته عن مولده فذكر أنه ولد في العاشر من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وستمائة ، وصنف تاريخاً على السنين ، وتوفي في صفر سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ، وكان قد سَلِمَ [فوجب [4]] ولم يعلم بموته غير زوجته ودفن بباب حرب [4] » .

وكتاب الحوادث منطبق على التاريخ الذي ألفه هذا الفاضل اللغوي المقرىء ، ويكون مزوه

---

(١) ومن الأدلة على نفي أن يكون ابن الفوطي مؤلفاً لهذا الكتاب ذكره الموفق عبد القاهر بن الفوطي بغير إشارة إلى قرابته منه « ص ٢٨ » وعدم ذكره في الشهداء الذين قتلوا صبراً بأيدي المغول ، كما نقلت قبلا.

(٢) الحوادث « ص ١٠٣ » .

(٣) جاء في حوادث سنة ٦٥٢ من كتاب الحوادث — ص ٢٢٥ — : وفي سلخ شعبان فتحت دار القرآن التي أمرت بعمارتها والدة الأمير أبي نصر محمد المظفة المستعصم المعروفة بباب بشير التي بنت المدرسة البشيرية ، وهذه الدار على شاطىء دجلة بغربي بغداد » ، وتفصيل تاريخها مذكور في المسجد المسبوك « الورقة ١٨٤ » . ولعلها كانت في أرض المستشفى العتيق فوق مسجد قرية العتيق المعروف بهذا الاسم الى اليوم .

(٤) استرجعت هذا الفعل ، وهو من أوهامه : « وجب الرجل إذا سقط ومات كما في الصحاح .

إليه راجحاً على غيره من الرزء ، وأمارات ميل المؤلف الى العلويين واضحة جداً ، ومع ذلك فالجزم في هذا الأمر غير ممكن لي ، وإنما قلت ذلك على سبيل الاسترجاح بعد نفيي أن يكون كتاب الحوادث من تأليف ابن الفوطي نفياً باتاً ، بما قدمت في هذه المقالة «ص ٣٧٢» وما أخرت فيها.

وبهذا اجتزىء من الكلام على هذا الجزء النفيس من كتاب « مؤرخ العراق ابن الفوطي » وهو بمثابة فضل الزينة للجميل ، وزيادة التوقير للجليل ، وقد اتبعت طريقة مؤلفه في الاستطراد لحذر الاملال ، وأجبت عما تعرّض لي به مؤلفه العلامة النبيل ، وإن لم يصرّح باسمي ، كما جاء في الصفحات ٢٨ ، ٢٩ ، ١١٢ ، ١٨٨ من كتابه ، وأشكر له عنايته بدراسة كتاب الحوادث ، وتنبيهه على بعض الخلل الذي وقع في «ص ٢١٩» وإصابته للصواب في إصلاحه «ص ١١٣» ، وقد حداني إفضاله على مطبوعي الذي طبعته سنة ١٣٥١ = ١٩٣٢ على أن أفضل ، بحسب جهدي ، على مطبوعه هذا الذي طبعه سنة ١٣٧٨ = ١٩٥٨ ، وما أحسن هذا التهادي ! وما أجمل أن يستديمه البادي ! والله تعالى الموفق للصواب ، الهادي إلى الرشد والسداد .

مصطفى جواد